دولة ليبيا

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

الجامعة الأسمرية الإسلامية

إدارة الدراسات العليا

كلية الدعوة وأصول الدين

قسم الدعوة – شعبة الدعوة والثقافة الإسلامية

الإمام الدهلوي

وجهوده في الإصلاح

﴿1114 ـ 1176 هـ﴾

إعداد الطالب: مصطفى عبد السلام محمد بابا

بإشراف الأستاذ الدكتور: جمعة مصطفى الفيتوري

رسالة مقدمة استكمالاً لمتطلبات الحصول على درجة الإجازة العالية (الماجستير)

في الدعوة والثقافة الإسلامية

العام الجامعي

﴿1434 – 1435 هـ / 2013 – 2014 م﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

أَعُوذُ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨ ﴾

{هود:88}

الإهداء

إلى من كان سبباً في وجودي في هذه الحياة بعد المولى سبحانه وتعالى .

إلى من رباني صغيراً وأرشداني كبيراً .

إلى من أنارا لي طريق الخير وأبعداني عن الشر .

إلى من انتفعت ببركتهما ودعائهما فكان التوفيق من الله بفضلهما .

إلى أبي العزيز الذي لبى نداء ربه أثناء كتابتي لهذه الرسالة

فرحمه الله رحمة واسعة وأسكنه فسيح جناته آمين .

وإلى أمي الغالية التي سهرت الليالي من أجلي، وبذلت الغالي والنفيس في سبيل نجاحي

أسأل الله أن يبارك لي فيها ويمدها بالصحة والعافية .

أهدي لهما ثمرة هذا البحث .

الباحث

الشكر والتقدير

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِي لَشَدِيدٌ ﴾[1]، وروى أبو هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مَنْ لاَ يَشْكُرِ النَّاسَ لاَ يَشْكُرِ اللهَ»[2].

وقال ابن عطاء الله السَّكَنْدَرِي رضي الله عنه في الحكم: ((مَنْ لَـمْ يَشْكُرِ النِّعَمَ فَقَدْ تَعَرَّضَ لِزَوَالِـهَا وَمَنْ شَكَرَهَا فَقَدْ قَيَّدَهَا بِعِقَالِـهَا))[3].

من هذا المنطلق أتقدم بالشكر إلى الله سبحانه وتعالى العلي الأعلى الذي مَدَّنِي بالعون الكبير حتى تأتى لي إتمام هذا البحث، وإظهاره في هذه الصورة التي أرجو أن تكون كما ينبغي، وأسأله المزيد من العون والسداد والتوفيق.

ثم أتقدم بخالص الشكر والعرفان للأستاذ الدكتور جمعة مصطفى الفيتوري الذي تفضل مشكوراً بالإشراف على هذه الرسالة، وما أغدقه عليّ بملاحظاته القيمة وتوجيهاته السديدة، مما كان سبباً في إظهار البحث بهذه الصورة العلمية اللائقة.

وأقول متمثلاً بقول القائل:

اللهُ يعلم أنّي لك شاكراً والحرّ للفعل الجميل شكورُ

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى كل من أعانني وقدم إلي يد المساعدة من أساتذتي وأصدقائي الأحباب الذين شاركوني دروب هذا العلم الشريف.

كما لا أنسى أن أشكر كل القائمين على هذه الجامعة الأسمرية المباركة من أساتذة وعاملين.

فإلى كل هؤلاء جميعاً لهم مني جزيل الشكر والعرفان.

---

(1) الآية رقم 7 من سورة إبراهيم عليه السلام.

(2) أخرجه الترمذي في سننه (4/ 339)، كتاب البر والصلة، باب: الشكر لمن أحسن إليك برقم 1954، وقال حديث حسن صحيح.

(3) الحكم العطائية، لابن عطاء الله السكندري (57).

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد:

فالحمد لله الذي تولَّى الناس بالرعاية والإصلاح، فأرسل إليهم كلما ظهر الفساد في حياتهم أنبياء ورسلاً بكتب تضمنت المنهج الأقوم لإصلاح أوضاعهم إصلاحاً شاملاً، ولم تنقطع هذه الرعاية الإلهية بعد ختم النّبوة بإرسال نبيّنا محمّد ﷺ، بل إنّ الله ﷻ لا يزال يصطفي من عباده الكمَّل منهم في عقولهم ونفوسهم من يقوم بمهمة الأنبياء بالعمل على تجديد صلة الناس بالدين لإصلاح ما ظهر منها من خلل وفساد فيهم، لذلك يبقى الأمل قائماً في علاج كل ما يطرأ من مظاهر الفساد في حياة الإنسانية حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

أولاً: أهمية الموضوع.

لقد سعدت الأمة الإسلامية في الأزمنة الماضية سعادة كاملة في هذه الحياة الدنيا، فكانت قوية لا تعرف الضعف، عزيزة لا تعرف الذل، فدانت لها الشعوب، وخضعت لها الدول، وظل المسلمون كذلك حتى خلف من بعدهم خلف هجروا كتاب الله تعالى ومكانته في حياتهم العملية، واستبدلوا منهجه وهديه بمناهج بشرية، ونظريات وضعية، ذاقت الأمة منها الويلات، وعاشت بسببها في متاهات، وكان من طبيعة هذا أن يتقدم الصفوف رجال الإصلاح، يشعرون بآلام شعوبهم كالطبيب الذي يتألم على مريضه؛ فيفكر في سبب الداء لكي يبحث عن الدواء الجيد، وكذلك زعماء الإصلاح يفكرون التفكير الجيد عن سبب داء الأمة لكي يبحثوا عن الدواء، وكل مصلح ينظر إلى المرض من زاويته، ويدعو إلى مداواته على حسب نظرته، فكان من ذلك مصلحون مختلفون، دعوا إلى الإصلاح في أقطارهم على

حسب بيئتهم؛ لأن كلاً منهم يعلم بيئته التي يعيش فيها، ويعلم ثقافة بيئته، وأبلوا في ذلك بلاءً حسناً، ولقوا في ذلك العناء، ولكنهم تحمَّلوا كما تحمل أولوا العزم من الرسل، وأخذوا بذلك شعار سيدنا شعيب عليه السلام، قال تعالى: ﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾[2]، وقول الرسول ﷺ: **"فَوَ اللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ"**[3].

ولم يقتصر جهد المصلحين في بلاد العرب فقط، بل ذاع ذكرهم في آفاق المشرق والمغرب؛ فآثرت أن أقف على تلك الجهود المضنية في أقصى المشرق بلاد الهند، ومن أبرزهم الإمام ولي الله الدهلوي.

لذلك اخترت هذا الموضوع لكي أحيي سيرة أحد رجال الإصلاح؛ لأن من الواجب علينا أن نجدد ذكر هؤلاء الرجال، ونبين مبادءهم؛ وإلا لجهل كثير من الناس في عصرنا الحاضر تاريخهم وأثرهم في إصلاح المجتمع الإسلامي، وقد اخترت عنواناً لهذا البحث وسميته: "الإمام الدهلوي وجهوده في الإصلاح".

ثانياً: أسباب اختيار الموضوع:

1. السبب المعرفي: لمعرفة من هم رجال الإصلاح في العصور السابقة، ومن بينهم الشيخ الإمام ولي الله الدهلوي.
2. رغبتي في إنارة شمعة على طريق الإصلاح، وتقديم ما أستطيع من جهد في هذا المجال.

---

(1) سورة هود، الآية: 88.

(2) سورة فصلت، الآية: 33.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه كتاب: المغازي، باب: غزوة خيبر. رقم 4210.

3. حال الأمة الأليم المتردِّي في غالب المجالات، وتغلغل عوامل الفساد ومظاهره في معظم المجتمعات.
4. المؤامرة الخبيثة التي يشنها أعداء الإسلام على الأمة الإسلامية؛ لصرف المسلمين عن دينهم والتشكيك في القدرة على إصلاح المجتمع.
5. حالة اليأس والقنوط التي أراها في كثير من الناس، وبخاصة المثقفين، ظناً منهم أن لا سبيل لإصلاح الأمة، ولا أمل لاستعادة مجدها.
6. الفشل الذريع في بعض الجهود والمجالات الإصلاحية عن طريق الأنظمة والمناهج والتيارات الفكرية غير المؤسسة على قاعدة إسلامية صحيحة.

ثالثاً: الدراسات السابقة.

هناك دراسات عديدة تناولت الحديث عن الإمام الدهلوي من جوانب متعددة، فمنها:

* **الدراسة الأولى بعنوان:** "رجال الفكر والدعوة" لأبي الحسن الندوي، ، وهو كتاب يحتوي على أربعة أجزاء، والجزء الرابع خاص بالإمام الدهلوي، ذكر فيه المؤلف حياة الإمام الدهلوي والأعمال الدعوية التي قام بها في شبه القارة الهندية.

* **الدراسة الثانية بعنوان:** "الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته" لمحمد بشير السيالكوتي، وهو كتاب مطبوع، ذكر فيه المؤلف حياة الإمام الدهلوي وأعماله الإصلاحية، وتحدث فيه أيضاً عن الجوانب الفكرية والاجتماعية والدينية والسياسية عند الدهلوي.

* **الدراسة الثالثة بعنوان:** "الدهلوي وآراؤه الكلامية والفلسفية" لوفاء العمري، ذكر المؤلف في هذه الدراسة حياة الدهلوي وآراؤه الفلسفية والكلامية.

* **الدراسة الرابعة بعنوان:** "إمام الهند شاه ولي الله الدهلوي حياته وآثاره" لإيهاب حفظي عز العرب، وهو كتيب لا يتعدى أربعين صفحة، وتناول المؤلف في هذه الدراسة حياة الدهلوي ونشأته وأهم أعماله ومؤلفاته.

* **الدراسة الخامسة بعنوان:** "نظرية المقاصد عند الإمام الدهلوي من خلال كتابه حجة الله البالغة" للباحث كوناتي ساليف، إشراف، أ. د عبدالسلام محمد الشريف العالم، وهي رسالة ماجستير نوقشت في كلية الدعوة الإسلامية، بطرابلس سنة، 2005-2006م، تناول الباحث في هذه الدراسة حياة الإمام الدهلوي مع استخراج المقاصد من كتابه حجة الله البالغة.

أما الجانب الإصلاحي فلم يحظ منها بدراسة منهجية.

رابعاً: الصعوبات.

لاشك أن لكل دراسة أو بحث صعوبات فلا ينال العلم إلا بالتعب والمشقة، وهذه الصعوبات تختلف من واقع إلى آخر ومن طبيعة إلى أخرى، ومن هذه الصعوبات التي واجهها الباحث ما يأتي:

1- قلة المصادر والمراجع التي تُعنى بدراسة الجهود الإصلاحية عند العلماء، فإن وُجدت فهي على استحياء.

2- عدم توفير أغلب مؤلفات الإمام الدهلوي في الأوساط العلمية وعدم ترجمتها مما جعل الباحث يعتمد على بعض مؤلفاته مثل "حجة الله البالغة" الذي اعتمدت عليه اعتماداً كبيراً.

3- الأحداث التي مرت بها البلاد حيث تعطلت المصالح وخاصة قفل بعض المكتبات أبوابها.

4- أضف إلى ذلك الظروف الاجتماعية التي فُرضت على الباحث فرضاً قهرياً فأخذت وقتاً من عمله ودراسته، إذ كان والده يصارع المرض طيلة دراسة الأربع

سنوات الماضية حتى وافاه الأجل في 6/ من شهر ربيع الأول 1435هـ،الموافق 8-1-2014 م، فرحمه الله رحمة واسعة واسكنه فسيح جناته.

خامساً: الإشكالية.

تتمثل إشكالية البحث في طرح التساؤلات التالية ومحاولة الإجابة عنها من خلال البحث، والتساؤلات هي:

كيف نجح الإمام الدهلوي في جهوده الإصلاحية؟.

وما الأساليب التي استخدمها؟.

وماهي الجوانب التي ركز عليها أكثر من غيرها؟.

وهل ينصح بدراسة جهوده الإصلاحية للاستفادة منها في الواقع المعاش؟.

سادساً: أهداف الدراسة.

تهدف هذه الدراسة إلى ابتغاء مرضات الله سبحانه وتعالى فهو أعظم هدف وأسمى غاية أرجوها من كتابة هذا البحث، وبيان الجهود والأساليب والمناهج التي استخدمها الإمام الدهلوي في دعوته الإصلاحية.

حدود هذه الدراسة:

الحدود الزمانية لم اقتصر في هذا البحث على فترة زمنية معينة.

أما الحدود المكانية فالمكان الذي عاش فيه الإمام الدهلوي هو شبه القارة الهندية، ولكن جهوده جُعلت نبراساً لبعض العاملين في حقل الدعوة والإصلاح في عالمنا الإسلامي.

سابعاً: المنهج المتبع:

سيعتمد الباحث في كتابة هذا البحث بعون الله تعالى على عدة مناهج بين المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي التحليلي؛ وذلك بأن استقرأت الجهود الإصلاحية في بعض كتب الإمام الدهلوي وحللتها، ثم صنفتها في فصول ومباحث ومطالب.

ثامناً: الخطوات المتبعة في البحث:

اتبع الباحث في بحثه الخطوات المتعارف عليها في البحث العلمي والمتمثلة في الآتي:

1. عزو الآيات القرآنية إلى مواضعها بذكر السورة ورقم الآية، واعتمت على مصحف المدينة المنورة برواية حفص عن عاصم.
2. تخريج الأحاديث النبوية والآثار، مشيراً إلى الموضع الذي جاء فيه الحديث، مكتفياً بذكر الكتاب والباب ورقم الحديث مع الحكم على الحديث إن كان في غير الصحيحين.
3. ترجمة الأعلام الواردة في البحث، ولم أترجم للصحابة والمعاصرين إلا للبعض منهم.
4. عزو أقوال العلماء الواردة في البحث إلى مصادرها الأصلية.
5. عمل فهارس عامة في نهاية البحث كما هو المتعارف عليه في الأبحاث الأكاديمية.

تاسعاً: خطة البحث.

اشتمل البحث على مقدمة، وتمهيد وثلاثة فصول وخاتمة.

أما المقدمة فضمنتها العناصر الأساسية لكتابة البحوث.

والتمهيد ذكرت فيه مفهوم الإصلاح وبعض نماذج من رجال الإصلاح.

أما الخاتمة فقد تضمنت النتائج التي توصل إليها الباحث من خلال هذا البحث وبعضاً من التوصيات.

وأما تقسيم الفصول فعلى النحو التالي:

الفصل الأول

ترجمة الشيخ ولي الله الدهلوي

- **المبحث الأول: عصر الإمام الدهلوي وبيئته.**

المطلب الأول: الحياة الدينية.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحياة السياسية.

- **المبحث الثاني: حياته ونشأته.**

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ووفاته.

المطلب الثاني: شيوخه ونشأته العلمية.

المطلب الثالث: رحلاته العلمية.

- **المبحث الثالث: آثاره العلمية وثناء العلماء عليه:**

المطلب الأول: تلاميذه.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.

الفصل الثاني

جهوده في الإصلاح الديني.

- **المبحث الأول: الإصلاح العقدي.**

المطلب الأول: التوحيد ومراتبه عند الدهلوي.

المطلب الثاني: اختلاف الطوائف في الاعتقاد.

المطب الثالث: صور من المعتقدات الشركية وإبطالها

- **المبحث الثاني: الإصلاح الفقهي.**

المطلب الأول: أسباب اختلاف الصحابة في الفروع.

المطلب الثاني: أسباب اختلاف الفقهاء.

المطلب الثالث: مسألتا الاجتهاد والتقليد عند الدهلوي.

- **المبحث الثالث: إصلاحاته في الجانب التعليمي.**

المطلب الأول عنايته بنشر علوم القرآن.

المطلب الثاني: اهتمامه بالسنة ونشر علومها.

الفصل الثالث

إصلاحات الإمام الدهلوي

في الجوانب السياسية والاجتماعية والدعوية

- **المبحث الأول: دفاعه عن الخلافة والخلفاء الراشدين.**

المطلب الأول: مفهوم الخلافة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلافة الخلفاء وموقف الرافضة منها.

المطلب الثالث: الأدلة على عودة الخلافة.

- **المبحث الثاني: إصلاحاته في الجانب الاجتماعي.**

المطلب الأول: الطبقية ومشكلاته.

المطلب الثاني: نظرة الإسلام إلى الطبقية.

- **المبحث الثالث: إصلاحاته في الجانب الدعوي.**

المطلب الأول: مفهوم الدعوة وأهميتها.

المطلب الثاني: خطاباته لمختلف طبقات الأمة.

المطلب الثالث: نماذج من وصاياه للأمة الإسلامية.

ثم أنهيت بحثي بخاتمة اشتملت على أهم النتائج والتوصيات ثم ذيلته بمجموعة من الفهارس.

تمهيد:

أولاً: مفهوم الإصلاح.

لغة:

تتفق أغلب معاجم اللغة العربية في تحديد مفهوم الصلاح والإصلاح بأنه: ما يقابل الفساد والإفساد، مع الإشارة إلى بعض التطبيقات العملية لكلمة الفساد مستخلصة من سياقات بعض النصوص القرآنية.

فقد أشار صاحب "معجم مقاييس اللغة" إلى أن كلمة صلاح وإصلاح تعود إلى الفعل الثلاثي (صَلَحَ)، وقال: (الصاد واللام والحاء) أصل واحد يدل على خلاف الفساد[1]، وأشار صاحب "لسان العرب" إلى أن مادة إصلاح مشتقة من الفعل صلح يصلَحُ ويصلُحُ صلاحاً وصلوحاً، والصلاح: ضد الفساد، والإصلاح نقيض الإفساد، وأصلح الشيء بعد فساده أي أقامه[2].

وقد وردت كلمة أصلح ومشتقاتها في آيات متعددة من القرآن الكريم منها: قوله تعالى: ﴿ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَاحٍ بَيْنَ النَّاسِ ﴾[3]، وقوله تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴿١١٧﴾ ﴾[4]، وقوله

(1) ينظر: معجم مقاييس اللغة، لابن فارس، تح، عبد السلام محمد هارون، دار الفكر، (ب، ط)، 1399هـ - 1979م ج: 3، ص: 303.

(2) ينظر: لسان العرب، لابن منظور الأفريقي المصري، مادة (ص، ل، ح)، دار صادر، بيروت، ط: 1، (ب، ت)، ج: 2، ص: 516.

(3) سورة النساء، الآية: 114.

(4) سورة هود، الآية: 117.

تعالى: ﴿إِنۡ أُرِيدُ إِلَّا ٱلۡإِصۡلَٰحَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُۚ وَمَا تَوۡفِيقِيٓ إِلَّا بِٱللَّهِۚ عَلَيۡهِ تَوَكَّلۡتُ وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ ٨٨﴾[1]، فالمقصود بلفظ إصلاح في الآية الأولى أن الإصلاح بين الناس هو من الخير الذي قد يترتب على إظهاره والتحدث به في الملأ شر كبير، وضرر مستطير، فينقلب الإصلاح المطلوب إفسادًا، وهذا مما لا يكاد يخفى على أحد عاش بين الناس، واختبر أحوالهم فيما يكون بينهم من الخصام والشقاق والتنازع والصلح والتراضي بسعي محبي الإصلاح، فإن منهم من إذا علم أن ما يطالب به من الصلح كان بأمر زيد من الناس، لا يستجيب ولا يقبل، ومنهم من يصده عن الرضا بذلك ذكره بين الناس وعلمهم بأنه كان بسعي وتواطؤ، ومِنهم من يشترط أن يكون خصمه هو الذي طلب مصالحته، ومِنهم من يشترط أن يظن الناس ذلك، والجهر بالحديث في ذلك قد يبطل ذلك، فالإصلاح بين الناس يحتاج فيه إلى الكتمان وأن يَكون الأمر به والسعي إليه بين من يتعاونون عليه بالنجوى فيما بينهم[2].

أما الآية الثانية يُقصد بالظلم هو الشرك أي إنه تعالى ليس من سنته أن يهلك القرى بشرك أهلها ما داموا مصلحين في أعمالهم الاجتماعية والعمرانية والمدنية، فلا يبخسون الناس حقوقهم كما فعل قوم شعيب، ولا يبطشون بالناس بطش الجبارين كقوم هود، ولا يذلّون لمتكبر جبار كقوم فرعون ولا يرتكبون الفواحش، ويقطعون السبيل، ويأتون في ناديهم المنكر كقوم لوط، بل لا بد أن يضموا إلى الشرك الإفساد في الأعمال والأحكام، ويفعلوا الظلم المدمّر للعمران، ومن ثم قالوا: الأمم تبقى مع الكفر ولا تبقى مع الظلم والجور[3].

---

(1) سورة هود، الآية: 88.

(2) ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ب، ط)، (ب، ت)، ج: 5، ص: 332.

(3) ينظر: تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، دار مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط: 1، 1365هـ- 1946م، ج: 12، ص: 97.

وفي الآية الثالثة أن الإصلاح العام للحياة والمجتمع الذي يعود صلاحه بالخير على كل فرد وكل جماعة فيه وإن خُيِّل إلى بعضهم أن اتباع العقيدة والخلق يفوت بعض الكسب الشخصي، ويضيع بعض الفرص. فإنما يفوت الكسب الخبيث ويضيع الفرص القذرة ويعوض عنهما كسباً طيباً ورزقاً حلالاً، ومجتمعاً متضامناً متعاوناً لا حقد فيه ولا غدر ولا خصام[1].

الإصلاح اصطلاحاً:

تعددت تعاريف الإصلاح عند العلماء في الجانب الاصطلاحي منها:

عرفه مالك بن نبي[2] من الناحية التربوية بأنه: «دفع النفس الإنسانية إلى حظيرة الإيمان من جديد»[3].

وعرفه عبد الحميد بن باديس[4] بأنه: «إرجاع الشيء إلى حالة اعتداله، بإزاء ما طرأ عليه

(1) في ظلال القرآن، سيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط: 17، 1412هـ، ج: 4، ص: 1921.

(2) هو: مالك بن نبي مفكر إسلامي جزائري، ولد بها في مدينة قسنطينة، سنة 1323هـ - 1905م، ودرس القضاء في المعهد الإسلامي المختلط، وتخرج مهندساً ميكانيكياً في معهد الهندسة العالي بباريس، وزار مكة، وأقام في القاهرة سبع سنوات أصدر فيها معظم آثاره باللغة الفرنسية جلها مطبوع، تُرجم بعضها إلى العربية. وكان من أعضاء مجمع البحوث الإسلامية بالقاهرة، وتولى إدارة التعليم العالي بوزارة الثقافة والإرشاد القومي الجزائري، توفي سنة 1393هـ- 1973م. ينظر الأعلام، للزركلي، دار العلم للملايين، ط: 15، 2012م ج: 5، ص: 266.

(3) شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر-دمشق، (ب، ط)، ص: 58.

(4) هو: عبد الحميد بن محمد المصطفى بن مكي بن باديس، ولد في قسنطينة، سنة 1305هـ-1887م، وأتم دراسته في الزيتونة بتونس، وكان شديد الحملات على الاستعمار، وحاولت الحكومة الفرنسية في الجزائر إغراءه بتوليته رياسة الأمور الدينية فامتنع واضطهد وأوذي، وقاطعه إخوة له كانوا من الموظفين، وقاومه أبوه، وهو مستمر في جهاده. وتوفي بقسنطينة في حياة والده. سنة 1359هـ- 1940م له عدة مؤلفات منها تفسير القرآن الكريم. ينظر الأعلام، للزركلي، ج: 3، ص: 289.

من فساد»[1].

وعرفه محمد البهي بأنه: «محاولة رد الاعتبار للقيم الدينية، ورفع ما أثير حولها من شبه وشكوك....ومحاولة السير بالمبادئ الإسلامية من نقطة الركود التي وقفت عندها في حياة المسلمين، إلى حياة المسلم المعاصر»[2]، ويمكن أن نستشف من هذا التعريف أمرين:

يتعلق الأول بالقضاء على مظاهر التأويل والتعطيل والتضليل والجمود التي لحقت بالقيم الإسلامية، ويتعلق الثاني بتحقيق هذا المفهوم الإصلاحي في حياة المسلم المعاصر، حتى يلابس ظروفه التي يعيشها، وذلك بما يبذله رجال الإصلاح من جهود لتغير حال الأمة ودفعها للاقتراب من النموذج الإسلامي الصحيح في تفكيرها وسلوكها[3].

وقيل الصلاح هو سلوك طريق الهدى، وقيل هو استقامة الحال على ما يدعو إليه العقل والشرع[4].

والإصلاح بهذه المعاني؛ أصل من الأصول المهمة التي دعا إليها القرآن، حيث كان وظيفة كل الأنبياء، ثم العلماء من بعدهم، باعتبارهم ورثة الأنبياء الذين عُهد إليهم القيام بالدعوة، وتقديم النصيحة، وإرشاد الأمة، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مصداقاً لقوله تعالى:

---

(1) تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس، تعليق، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1، 1416هـ - 1995م. ، ص: 77.

(2) فلسفة التجديد الإسلامي(الشيخ الإبراهيمي)، محمد زرمان، ، دار التيسير-القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت) ص:17.

(3) المرجع نفسه، ص17.

(4) الشيخ مصطفى الغلاييني في مفاهيمه الإصلاحية، منى حسين، المكتبة العصرية بيروت، ط: 1، 1419ه-1999م، ص: 69.

﴿ وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾[1].

ثانياً: نماذج من رجال الإصلاح.

* محمد بن علي السنوسي:

هو: محمد بن علي بن السنوسي أبو عبد الله، السنوسي الحسني الإدريسي، ولد في مستغانم بالجزائر سنة 1202هـ- 1787م، ثم رحل إلى مدينة تلمسان وأقام بها يتعلم على كبار شيوخها وكان يتألم كثيراً من حال الأمة وما وصلت إليه من الضعف والهوان، وقصد فاس بالمغرب طلباً للعلم، ثم رجع إلى الجزائر وجال في الصحراء إلى الجنوب من الجزائر يعظ الناس، ثم زار تونس وطرابلس وبرقة ومصر ومكة، واتخذ من برقة مركزا لدعوته حتى توفي سنة1276هـ- 1859م[2]، وكان أسلوب ابن السنوسي في الدعوة الى الله مستمداً من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن رسالته الى شيخ زاوية المدينة نلاحظ ذلك حيث قال: (. . . وحسنوا أخلاقكم ولينوا جانبكم للكبير والصغير، قال تعالى: ﴿وَقُولُوا لِلنَّاسِ حُسْنًا ﴾[3]، وقال جل وعلا: ﴿ ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ ۖ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ ۚ ﴾[4]، وقال ﷺ: **"ارفقوا فإن الرفق ما كان في شيء إلا زانه وأن الحمق ما كان في شيء إلا شانه"**[5]، وارفعوا همتكم عن

(1) سورة آل عمران، الآية: 104.

(2) ينظر: الأعلام، للزركلي، ج: 6، ص: 299.

(3) سورة البقرة، الآية: 83.

(4) سورة النحل، الآية: 125.

(5) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب فضل الرفق، رقم: 2594. بلفظ «إِنَّ الرِّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنْزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ».

الخلق. . .)[1].

وكانت الحركة الإصلاحية السنوسية تضرب في المشكل الليبي الذي كان هو افشاء الجهل في أغلب طبقات المجتمع، حيث ركزت هذه الحركة على التعليم بشكل أولى، لأنه من المعلوم أن بتعليم الأجيال يصلح كل شيء، لذلك اتجهت إلى بناء المدارس والمعاهد، في أنحاء البلاد، وأصبح التعليم يغلب عليه الطابع الإسلامي، فارتفع مستوى التعليم في الدروس العربية والإسلامية من حيث الكم والكيف في مدارسها ومعاهدها، ولم تكن هذه الحركة فطرية فقط، بل تجاوزت ذلك بانتشارها في مختلف البلاد الإسلامية، من خلال إنشاء الزوايا والمراكز الدينية، التي كان الإمام السنوسي يذهب بنفسه إليها؛ ليشرف على افتتاحها في أغلب الأحيان[2].

*** محمد عبده:**

هو محمد عبده بن حسن خير الله، من آل التركماني: مفتي الديار المصرية، ومن كبار رجال الإصلاح والتجديد في الإسلام. قال أحد من كتبوا عنه: «تتلخص رسالة حياته في أمرين: الدعوة إلى تحرير الفكر من قيد التقليد، ثم التمييز بين ما للحكومة من حق الطاعة على الشعب وما للشعب من حق العدالة على الحكومة»، ولد في شنرا «من قرى الغربية بمصر» سنة1266هـ-1849م، ونشأ في محلة نصر «بالبحيرة» وتعلَّم بالجامع الأحمدي بطنطا، ثم بالأزهر وعمل في التعليم، وكتب في الصحف وتولَّى منصب القضاء، ثم عُيِّن مستشارا في محكمة الاستئناف، فمفتيا للديار المصرية، واستمر إلى أن توفي بالإسكندرية سنة 1323هـ-

(1) الحركة السنوسية، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ط: 5، 1432هـ-2011م، ص120.

(2) بنظر: فجر الحركة الإسلامية المعاصرة (الوهابية، السنوسية، المهدية)، السيد يوسف، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط: 1، 2000م، ص: 61.

1905م[1]، وكانت نزعة الشيخ محمد عبده الإصلاحية استمدت أسبابها الأولى من نشأته في قريته التي تحوي ألوان الظلم والقهر والطغيان واستبداد المستبدين.

لذلك سلك سبيل الإصلاح الذي ابتغاه لنفسه وهو منهج الإصلاح (المتدرج)؛ لأنه يرى أن التدرج في الإصلاح هو الطريق الأقوم والأضمن باعتباره يحقق الغاية في تربية المواطن وتحريره من الجمود وهذا المنهج يُعتبر من أنجح المناهج في الإصلاح بما فيه من صبر وتيسير في المفاهيم وكان يعلم أن جهاده في سبيل تحرير الوطن والمواطن محتاج إلى صبر و إدارة قوية[2].

واتجه الإمام محمد عبده في دعوته الإصلاحية إلى ثلاثة أمور هي: إصلاح الدين، وإصلاح اللغة والأدب، وإصلاح السياسة، فأما إصلاحه الديني، فاتجه فيه إلى إصلاح الأزهر، وكان رأيه أنه أصلح خدم العالم الإسلامي لأنه سيخرِّج قوماً غُيُرا على الدين.

واتخذ أهم وسيلة لإصلاح العقيدة هو تفسيره للقرآن الكريم، وكان يرى أن إصلاح المسلمين عن طريق دينهم أيسر وأصح من الإصلاح المعتمد على مجرد العقل ومقياس المنفعة والتقليد الأوروبي، وأن هذا الطريق هو الذي سلكه جميع المصلحين المسلمين [3].

أما في جانب اللغة والأدب، فقد أخذ يكتب في جريدة الأهرام بأسلوب متأثر بالكتب الأزهرية، والأسلوب الذي شاع في ذلك العصر من السجع والازدواج، وارتقى أسلوبه في الكتابة حتى تجمل بجمال البساطة وتدفق المعاني، في سلاسة وقوة.

---

(1) ينظر: الأعلام، للزركلي، ج: 6، ص: 252.

(2) ينظر: تجديد الفكر الإسلامي، محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي-مصر، ط: 1، 1422هـ-2001م، ص: 41.

(3) ينظر: زعماء الاصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: 1، 1426ه-2005م، ص: 291.

وأما في الجانب السياسي، فكان في مجلس الشورى منذ عُين عضوا به، فكان قوة فعَّالة فيه[1].

*** الشيخ عثمان بن محمد فودي:**

ولد عثمان بن فودي سنة 1169 هـ في قرية طفل من أعمال إمارة كوبر (جوبير)، في نيجريا وقد نشأ في بيت علم وفتوى؛ إذ اعتنق أجداده الإسلام من زمن بعيد، واشتغل أبوه وأفراد أسرته بالعلم، وتلقى عثمان بن فودي دروسه الأولى على يد أبيه محمد، وأمه حواء، وجدته رقية، شب عثمان بن فودي في هذه البيئة المتدينة، ودرس علوم العربية وعلوم القرآن والحديث والفقه وصحيح البخاري على أيدي علماء عصره في بلاد الهوسة، وفي أغاديس، ولعل أقوى أساتذته تأثيرا فيه هو الشيخ جبريل بن عمر[2] وهو من أعلام عصره بالسودان، وقام بعدة رحلات في طلب العلم، ثم عاد إلى بلدته طفل وأخذت شهرته في الذيوع والانتشار وبدأ دعوته وعمره عشرون سنة، وكان مجتمعه يموج بأخلاط العقائد والوثنيات، وأنماط السلوك المتباين، وخالطوا كثيرا من عادات الجاهلية والوثنية.

فقام بعدة رحلات في سبيل الدعوة، وتوجه إلى عامة الناس، وخاصتهم، وإلى الحكام والملوك، الذكور منهم والإناث، فدعا إلى العمل بالكتاب والسنة، ورد كل مبتدع، ونشر حقائق الإسلام ومفاهيمه بالحكمة والوعي السليم، وحارب البدع والعادات الجاهلية، ودعا بحرارة إلى التخلق بأخلاق الإسلام، وترك في ذلك مؤلفات كثيرة باللغة العربية والفولانية[3].

---

(1) ينظر المرجع نفسه، ص: 294.

(2) ينظر: أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا، مصطفى مسعد، ، الناشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: 2، 1411هـ-1991م، ص: 432.

(3) ينظر: حاضر العالم الإسلامي، جميل المصري، الناشر مكتبة العبيكان، ط: 9، ذ1425ه-2004م، ص: 681.

يقول صاحب كتاب «إنفاق الميسور في تاريخ بلاد التكرور»: «وقد وجدت في هذه البلاد «بلاد الهوسة» من أنواع الكفر والفسوق والعصيان أمورا فظيعة، وأهوالا شنيعة، طبقت هذه البلاد وملأتها حتى لا يكاد يوجد في هذه البلاد من صحَّ إيمانه وتعبده إلا النادر القليل، ولا يوجد في غالبهم من يعرف التوحيد، ويحسن الوضوء، والصلاة، والزكاة، والصيام، وسائر العبادات، فمنهم كفار يعبدون الأحجار والجن، ويصرحون على أنفسهم بالكفر، ولا يصلون، ولا يصومون، ولا يزكون، ويسبُّون الله ويقولون في حقه ما لا يليق في جنابه الأعلى »[1].

ويضيف أحد علماء نيجيريا- إلى ذلك بقوله: « لما انتشرت البدع بين العلماء ودبَّ الفساد في نفوس المسلمين وعظَّموا الأشجار والأحجار ونسبوا إليها الرزق والولد والخير والشر، وتعمق الملوك في الجور والطغيان، حتى إذا مرض أحدهم ذبح عبدا أو أمة له ليفديه من الموت، تلك هي الأشياء التي أنهضت نية ابن فودي للقيام بالدعوة إلى إخماد البدع الشنيعة وإحياء الشريعة»[2].

هناك من يرى أن النظرية الجزئية تكون دائماً عقبة في سبيل الإصلاح، وما يصدق على الأسباب يصدق على أنواع العلاج التي يمكن لنا أن نعالج بها أمراض الإنسان الحديث، فإذا قررنا أن سبب المرض عامل اقتصادي، أو روحي، أو نفسي، فإن العلاج ينحصر في تلك الناحية المعينة، وأما إذا نظرنا نظرة متكاملة، وقررنا أن للظواهر المرضية نواح متعددة، وأسباباً متنوعة، فإن الإصلاح يتناول ميادين التوجيه الأخلاقي، والاقتصادي، والثقافي، والسياسي،

(1) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا، مصطفى مسعد، ص: 433.

(2) أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا، مصطفى مسعد، ص: 434.

والصناعي، أما الانصراف إلى إصلاح حالة واحدة فإنه لا يؤدي إلى نتيجة، بل يؤدي إلى الهدم والتخريب، فالإصلاح الاقتصادي دون تكوين الضمير الديني والخلقي، يؤدي إلى كوارث[1]

وأما فيما يتعلق ببعض المصلحين المسلمين رأوا أن التدهور الاجتماعي راجع إلى عدم تطبيق الإسلام، وإلى انفصال الإنسان المسلم عن الحقيقة القرآنية، ومعنى ذلك أن السبب ليس واحداً بل هو مجموعة عوامل وأسباب، لأن الحقيقة القرآنية، حقيقة متكاملة تشمل الحياة الأخلاقية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية أو ما يعبر عنه بالدين والدولة أو الدنيا، وليس الإسلام كالمسيحية التي اهتمت اهتماماً بالغاً بالإصلاح الروحي، وأهملت النظام الاجتماعي، وأما الإسلام اهتم بالجانب الروحي والجوانب الأخرى.

والإصلاح الاجتماعي يقوم على أساس أن الأخلاق تنبع من الداخل، وأن الوسيلة هي تطهير القلوب، وتغيير النفوس، وهذا يؤدي إلى تغيير المؤسسات الاجتماعية[2].

وهؤلاء رجال الإصلاح عرفوا في التاريخ الحديث وهم اتخذوا شعاراً للعودة إلى سماحة الإسلام كمنهاج عمل للنهوض بواقع الأمة الأليم.

(1) ينظر: آثار ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس، تح، عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط: 1، 1388 هـ- 1968م، ج: 1، ص: 100.

(2) ينظر: آثار ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس، تح، عمار طالبي، ج: 1، ص: 100.

الفصل الأول
ترجمة الإمام ولي اللّه الدهلوي

المبحث الأول: عصر الإمام ولي الله الدهلوي وبيئته.

المطلب الأول: الحياة الدينية.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.

المطلب الثالث: الحياة السياسية.

المبحث الثاني: حياته ونشأته.

المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده ووفاته.

المطلب الثاني: شيوخه ونشأته العلمية.

المطلب الثالث: رحلاته العلمية.

المبحث الثالث آثاره العلمية وثناء العلماء عليه.

المطلب الأول: تلاميذه.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.

المبحث الأول

عصر الإمام ولي الله الدهلوي وبيئته

المطلب الأول: الحياة الدينيةِ.

عُرفت الهند منذ القدم بأنها بلاد الديانات الوضعية منها الهندوسية والبوذية، وكان سبب وجودها تفشِّي الجهل، والاعتقادات الباطلة، وتفشِّي الشرك الجلي في هذه المنطقة

يقول أبو الحسن الندوي[1]: «يوجد الشرك الجلي في كثير من المواضع والأوساط بصور وأشكال لا يمكن أن تُعلل تعليلاً علمياً، فمنهم من يعبد القبور ويسجد بالتحية للمشائخ وتقديس الأماكن الخاصة للزيارة كتقديس الحرم ووضع الكسوة على القبور والنذور والقرابين والذبح بأسماء الأولياء والمشائخ والطواف بالقبور والأماكن المقدسة والمزورة والاحتفال وإقامة الأعياد بها»[2].

وعرف الهنود أيضا عبادة الحيوانات وبخاصة البقر كما عرفوا عبادة قوى الطبيعة، وعضو التلقيح معتقدين أنه هو سبب الخلق [3].

---

(1) هو: الشيخ أبو الحسن علي أبو الحسن الحسني الندوي، ولد بقرية تكية، مديرية رائي بريلي بالهند عام 1332هـ- 1913م، وبدأ في طلب العلم منذ نعومة أظفاره، وقد فوض الله تبارك وتعالى له شيوخا وأساتذة من أبرزهم الشيخ خليل بن محمد اليماني، والعلامة تقي الدين الهلالي المرَّاكي والأستاذ عزيز الرحمن، وفد قال عنه الشيخ وهبة الزحيلي: (تميز أبو الحسن الندوي بغيرته الإسلامية وإخلاصه في الدعوة وصدقه في العمل الإسلامي)، من مؤلفاته، روائع من أدب الدعوة في القرآن الكريم والسيرة، مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، رجال الفكر والدعوة في الإسلام، ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين. ينظر: أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، سيد عبد الماجد الفوري، دار ابن كثير، ط: 3، 1426هـ- 2005م، ص: 37-146-164-708.

(2) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ط: 3، دار القلم، الكويت، ج: 4، ص: 56.

(3) ينظر: أديان الهند الكبرى، د: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ، ط: 11، 2000، ص: 28.

يقول عباس العقاد[1]: «عبادة الهنود للحيوانات نشأت عن الفكر الطوطمي، أو اعتقادهم بأن الله يتجلَّى في بعض الأحياء فيحل فيها، فيحتمل حلوله في هذا الحيوان أو ذاك، أو لأنهم آمنوا بالتناسخ فجاز عندهم أن يكون الحيوان جداً قديماً أو صديقاً عائداً إلى الحياة»[2].

ومن الواضح أن أسباب هذا الاعتقاد هو أن المسلمين يعاشرون الهندوس والسيخ المشركين وعبدة الأوثان فكانوا يقتبسون من عاداتهم ويستسلمون لخرافاتهم طائعين أو مكرهين وكذلك تفاقم أمر الشيعة في تلك العصور وتغلغل نفود أمرائهم في البلاط الملكي فأصبحوا هم المسيطرون على الملوك، والمتصرفون بأمورهم، فكانوا ينصبون لهم الحبائل، ويبثُّون لهم الغوائل وينسجون لهم المكائد ويضربون بعضهم بعضاً فانتهزوا الفرص لنشر عقائدهم وبث أباطيلهم وأوهامهم، وعملوا على ترويج شبهاتهم وأهوائهم؛ فتأثر بهم الخاصة والعامة الذ ين لم يكونوا على علم كاف بكتاب الله تعالى وسنَّة رسوله ﷺ، وتشبعت بها عقولهم وأفكارهم وكذلك تشيعت ميولهم، وكان للجهال من الصوفية الذين يعيشون في ظلمات الجهل والشرك ويتخبطون في البدع والأوهام التي أخذوها من البراهمة والبوذيين دور كبير في ترويج عقائدهم في عامة الناس تحت ستار حب أهل البيت رضي الله عنهم[3].

---

(1) هو عباس بن محمود بن إبراهيم بن مصطفى العقاد ولد سنة(1306 ه، 1889 م)، أصله من دمياط، انتقل أسلافه إلى المحلة الكبرى، وتعلم في مدرستها الابتدائية، وشغف بالمطالعة، وسعى للرزق فكان موظفا بالسكة الحديدية وبوزارة الأوقاف بالقاهرة ثم معلما في بعض المدارس الأهلية. وانقطع إلى الكتابة في الصحف والتأليف، وأقبل الناس على ما ينشر. تعلم الإنكليزية في صباه وأجادها ثم ألمَّ بالألمانية والفرنسية، له مؤلفات كثيرة، منها كتاب (عن الله) و (عبقرية محمد) و (عبقرية خالد) و (عبقرية عمر) و (عبقرية علي) و(عبقرية الصديق)، وتوفي سنة «1383هـ-1964 م». ينظر: الأعلام، للزركلي، ج: 3، ص: 266.

(2) الله، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر، (ب، ط)، (ب، ت)، ص: 45.

(3) ينظر: الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، محمد بشير، دار ابن حزم- بيروت، ط: 1، 1420هـ، 1999م، ص: 15.

وهناك طوائف أخرى منهم النجّامون والمشركون والنصارى:

فالنجّامون ذهبوا إلى أن النجوم تستحق العبادة وأن عبادتها تنفع في الدنيا.

والمشركون ذهبوا إلى أن الصالحين من قبلهم عبدوا الله وتقربوا إليه، فأعطاهم الله الألوهية واستحقوا العبادة من سائر خلق الله، وقالوا: لا تُقبل عبادة الله إلا مضمونة بعبادتهم بل الحق في غاية التعالي فلا تفيد عبادته تقرباً منه، بل لابد من عبادة هؤلاء، ليقربوا إلى الله زلفى.

وقالوا: هؤلاء يسمعون ويبصرون وينفعون لعبّادهم ويدبرون لهم أمورهم، وينصرونهم فنحتوا أسماءهم على حجارة وجعلوها قبلة عند توجههم إلى هؤلاء، فخلف من بعدهم خلف فلم يقنطوا الفرق بين الأصنام وبين من هو على صورته فظنوها معبودات بأعيانها[1].

لذلك ردَّ الله عليهم وبَّين لهم أنها جمادات بقوله تعالى﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا ﴾[2].

الدهلوي في رأيه لاختلال مفهوم التوحيد عند المشركين يفسر اختلاط مفهوم الألوهية بين الله تعالى وموجودات أخرى هي الأوثان وقد عبدوها كنوع من عبادة الله لحكم سلطان التجلي الإلهي الذي اعتقدوه، وإنما مفهوم التوحيد هو اعتراف بالوحدة الذاتية للإله الحق، وإيمان عميق بها، والمسلم في هذا الموطن مكلف بنفي الألوهية عما سوى الله تعالى[3].

---

(1) ينظر: حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، السيد سابق، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط: 1، 1426 هـ - 2005م، ج: 1، ص: 116.

(2) سورة الأعراف، الآية: 195.

(3) نصوص تاريخية خاصة بنظرية التوحيد في التفكير الإسلامي، عثمان يحي، ص: 232، نقلاً عن الدهلوي وآراؤه الكلامية والفلسفية، وفاء العمري، ص: 88.

وهناك طوائف أخرى تعبد الشمس والقمر وتقدس النار ويلقون أجسادهم فيها تقرباً إليها

يرى الباحث أن الإنسان لا يستطيع أن يعيش دون أي معبود لابد له أن يجعل لنفسه معبودا ولو كان أقل منه، لذلك تجد من يعبد الحيوانات والجمادات سواء كانت طبيعية أو غيرها ومنهم من يُشرك بالله تعالى ويجعل له ندا، ويقولون ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى كما قال كفار قريش للرسول ﷺ في عبادتهم للأصنام والأوثان قال تعالى﴿ مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ ﴾ [1] تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً.

والتوحيد أصل أصول البر وعمدة أنواعه؛ وذلك لأنه يتوقف عليه الإخبات لرب العالمين الذي هو أعظم الأخلاق الكاسبة للسعادة، وهو أصل التدبير العلمي الذي هو أفيد التدبيريين، وبه يحصل للإنسان التوجه التام تلقاء الغيب، وتستعد نفسه للحوق به بالوجه المقدس، وقد نبَّه النبي ﷺ على عِظَمِ أمره، وكونه من أنواع البر بمنزلة القلب إذا صلح صلح الجميع وإذا فسد فسد الجميع، حيث أطلق القول فيمن مات لا يشرك بالله شيئاً [2]بقوله: **"مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ الْجَنَّةَ، وَمَنْ مَاتَ يُشْرِكُ بِاللهِ شَيْئًا دَخَلَ النَّار"**[3].

وحكى عن ربه في حديث قدسي **"وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً"**[4].

نجد كثيراً من المسلمين مقصرين في فهم التوحيد الصحيح؛ لذلك أحاطت بعقيدتهم غيوم من الجهالات والظنون الفاسدة، والعادات الجاهلية، فلابد للدعاة أن يبرزوا التوحيد

(1) سورة الزمر، الآية: 3.

(2) حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، ج1، ص206

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة، ، رقم، 151.

(4) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب العلم، باب الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى رقم، 2687.

الصحيح في نقائه ووضوحه، وشرح ما كان عليه أهل الجاهلية من اعتقاد في الله تعالى حتى يظهر الفرق بين عقيدتهم وبين ما جاء به الإسلام [1].

❋❋❋

(1) ينظر: مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، ط: 1، 1424ه، 2004م، ج: 2، ص: 510.

المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.

اتفقت كلمة المؤرخين على أن المجتمع الهندي كان قد بلغ درجة الانهيار الخلقي فانتشرت الخلاعة حتى في المعابد وأصبحت لا عيب فيها؛ لأن الدين قد أضفى عليها لونا من التقديس والتعبد، فكان الناس يدمنون على شرب الخمور والتمتع بالمغنيات، وقد تسربت هذه القبائح إلى المدارس وأصبح الطلاب يمارسون الترف ويعيشون حياة الدعارة[1].

وانغمس أكثر الأمراء في اللهو واللعب وانتشرت الرذيلة والفحشاء بين الخاصة والعامة إلا من عصمه الله، واضطرب حبل النظام وفُقد الأمن، وقلَّت وجوه الرزق والكسب الحلال وعمَّت المجاعات وفشا الجور والظلم وفسدت الأخلاق وفترت الهمم وخلا الجو للمفسدين وقطَّاع الطرق فأكثروا القتل والسلب والنهب [2].

وانتشر الفساد الداخلي في الإدارة، فالنظام يسود في جانب واحد أما الجانب الآخر فليس له أي صلاحية ولا مسؤولية في أعمال حكومته.

يقول الشيخ عبد العزيز الدهلوي [3]عن الفساد في النظام والإدارة: «كانت النساء في بيت النواب قمر الدين يغتسلن الغسل الأخير بماء الورد وكان يصرف في بيوت النوابين

---

(1) ينظر: محاضرات في الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ، دار ابن كثير، ط: 1، 1422هـ- 2001م، ج: 3، ص: 334.

(2) الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 14.

(3) هو: الشيخ الإمام العالم المحدث عبد العزيز بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي، ولد سنة تسع وخمسين ومائة وألف، أخذ العلم عن والده، فقرأ عليه بعضاً وسمع بعضاً آخر بالتحقيق والدراية، حتى حصلت له ملكة راسخة في العلوم، ولما توفي أبوه، أخذ عن الشيخ نور الله البرهانوي والشيخ محمد أمين الكشميري، وأجازه الشيخ محمد عاشق بن عبيد الله البهلتي، واستفاد منهم، وله رسالة فصل فيها ما قرأ على والده وعلى غيره من العلماء، فقال: إنه أخذ بعض كتب الحديث مثل أحاديث الموطأ في ضمن المسوى ومشكاة المصابيح بتمامها قراءة على والده، والحصن الحصين وشمائل الترمذي سماعاً عليه بقراءة أخيه=

والأمراء ثلاثمائة روبية على ورقة التبول والورود»[1].

ويقول الشيخ غلام علي آزاد البلكرامي[2] «يقول سكان أرنك آباد بإجماع منهم أن معظم الناس لم يكونوا يطبخون الطعام في بيوتهم في عهد أمير الأمراء حسين علي خان فكان طباخ الأمير يبيع حصته من الطعام، وكان الناس يشترون طبق «بلاو» الممتازة «وهو كالكبسة عند السعوديين » بفلوس معدودة»[3].

يرى الباحث أن دراسة الحياة الاجتماعية في الهند في زمن الإمام الدهلوي صعبة لأن المصادر لا تمد بمعلومات كافية في هذا الجانب.

=الشيخ محمد، وصحيح البخاري من أوله إلى كتاب الحج سماعاً، واشتغل بالدرس والإفادة وله خمس عشرة سنة فدرس وأفاد، حتى صار في الهند العلم المفرد، وتخرج عليه الفضلاء وقصدته الطلبة من أغلب الأرجاء، وتهافتوا عليه تهافت الظمآن على الماء، توفي بعد صلاة الفجر يوم الأحد لسبع خلون من شوال سنة تسع وثلاثين ومائتين وألف وله ثمانون سنة، وقبره بدهلي عند قبر والده خارج البلدة. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر ونخبة المسامع والنواظر، لمؤرخ الهند الكبير الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني، داربن حزم، بيروت، ط: 1، 1999م، ج: 7، ص1014، 1015.

(1) رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص55.

(2) هو: الشيخ الإمام غلام علي بن نوح الحسيني الواسطي البلكرامي، ولد سنة عشر ومائة وألف بمحروسة بلكرام ونشأ في مهد العلم والمشيخة، وقرأ الكتب الدراسية على السيد طفيل محمد الأترولوي، وأخذ اللغة والحديث والسير عن جده لأمه عبد الجليل بن مير أحمد البلكرامي، وأخذ العروض والقافية عن خاله محمد بن عبد الجليل، ثم رحل إلى الحجاز فحج وقرأ بالمدينة المنورة صحيح البخاري على الشيخ محمد حياة السندي وأخذ عنه إجازة الصحاح الستة وسائر مقروءا ته، ثم رجع إلى الهند، وسكن بأورنك آباد، وحصلت بينه وبين ناصر جنك بن آصف جاه الموافقه فأحبه حباً شديداً، فلما قام ناصر جنك بالملك مقام والده ألحَّ عليه بقبول منصب الإمارة فأبى وقال: هذه الدنيا مثلها كمثل نهر طالوت غرفة منه حلال والزيادة عليها حرام، له مصنفات، منها ضوء الدراري شرح صحيح البخاري إلى آخر كتاب الزكاة، وتوفي سنة مائتين وألف ببلدة أورنك آباد. ينظر: الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي، ج: 6، ص771.

(3) رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص53.

المطلب الثالث: الحياة السياسية.

يُعتبر عصر الإمام الدهلوي من الناحية السياسية عصر الفوضى والاضطرابات والثورات والنزاعات والحروب الداخلية وشهد تمرد السيخ وغيرهم واستيلاءهم على كثير من المناطق، وكانت ولادته في نهاية عصر الإمبراطور المغولي العادل الصالح الزاهد أبي المظفرأرانك زيب عالمكير [1]الذي حكم الهند أكثر من خمسين سنة من «1068هـ إلى 1118هـ»حكماً إسلامياً حازماً مثالياً[2].

لأنه تربَّى في صغره تربية دينية على يد كبار العلماء حتى تبحَّر في علوم الدين وهو لم يشرب الخمر قط، ولم يسمع الغناء مع مهارته في الإيقاع والنغم منذ صغره، ولم يستعمل الذهب والفضة وتزهّد وتقشّف طول مدة حكمه، هكذا ينبغي أن يتربى حكام المسلمين تربية إسلامية حسنة، ولكن واقعنا اليوم على عكس ذلك حيث تجد بعض حكام المسلمين قد تربوا تربية فاسدة فأتعبوا الرعية في حكمهم، وقد يتهاونون حتى في أمور دينهم [3].

وحكم الهند في عصر الإمام الدهلوي كثير من حكماء المغول من بينهم:

---

(1) هو السلطان أبو المظفر محي الدين محمد أورنك زيب عالمكير سلطان الهند ولد في كجرات بالهند سنة 1028 هـ، 1619م، أبوه السلطان شاه جيهان أحد أعظم سلاطين دولة المغول في الهند، وكان فارسا شجاعا ونشأ وترعرع محبا لمذهب أهل السنة والجماعة وتربى تربية إسلامية، حكم شبه القارة الهندية كاملة بجهوده العسكرية خاض المسلمون في عهده أكثر من ثلاثين معركة وقاد بنفسه بعضا منها وفرض الجزية على غير المسلمين وأقام المساجد والمدارس وأبطل الاحتفال بالأعياد الوثنية والانحناء له، وتوفي سنة 1118هـ، 1707م وأوصى بأن يدفن في أقرب مقابر المسلمين وألا يتعدى ثمن كفنه خمس روبيات وكان عمره تسعين سنة. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند، الشريف عبد الحي، ج: 6، ص: 737.

(2) ينظر: الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 8.

(3) ينظر: تاريخ لإسلام في الهند، د. عبد المنعم النمر، المؤسسة الجامعية للدراسات، ط: 1، 1401هـ-1981من ص: 342.

1ـ بهادر شاه الأول:

قبل وفاة عالمكير جعل ابنه الأكبر محمد معظم وليا للعهد وبعد وفاة والده جلس على العرش في دهلي سنة «1119هـ، 1708 م» ولُقِّب بشاه بهادر ولكن أخويه محمد أعظم وكام بخش أعلنا الخروج عليه على إثر وفاة والدهم بالرغم من أن عالمكير كان قد أوصى للأمير محمد أعظم بولاية «مالوه»[1] و«الكجرات» و«شمال الدكن »كما أوصى للأمير كام بخش بولاية «بيجابور »و«حيدر آباد » فخاض بهادر معهما حروبا كثيرة انتهت بهزيمتهما واستقر الملك له[2].

وكان بهادر شاه يميل إلى التشيع ولما قدم لاهور أمر علماءها بزيادة الكلمات «علي ولي الله ووصي رسول الله » في خطب الجمعة والعيدين فأبوا طاعة أمره وأنكروه أشد الإنكار وكان في مقدمتهم الشيخ اللاهوري [3] وبار محمد اللاهوري[4] وأيدهم عامة الناس وحضروا اجتماع الجمعة في الجامع الملكي بعدد كبير جدا للتعبير عن إنكارهم لأمره وطلب

(1) مالوه هي مدينة هندية توجد في الإقليم الثاني وهي مدينة حسنة كثيرة الوارد والصادر ولها قرى وعمارات وعمالات، ومن مدنها دده وتته. ينظر: نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الشريف الادريسي، عالم الكتب، بيروت، ط: 1، 1409هـ، ج: 1، ص: 194.

(2) الإسلام والمسلمون في باكستان وبنجلاديش والهند منذ الفتح العربي حتى العصر الحديث، د: حازم محمد محفوظ، قدم له، حسين مجيب المصري، دار رابطة آداب الحديث، القاهرة، «ب، ط»، ص: 83.

(3) الشيخ العالم الفقيه عناية الله الحنفي اللاهوري أحد الفقهاء المشهورين في عصره، له مصنفات كثيرة منها حاشية بسيطة على شرح الوقاية تسمى بغاية الحواشي وشرح بسيط على كنز الدقائق المسمى بملتقط الحقائق ذهب فيه إلى سنية الاشارة بالسبابة في التشهد، ورسالة في هبة الطاعات من الصوم والصلاة وغير ذلك، وتوفى سنة إحدى وأربعين ومائة وألف. ينظر: الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج: 6، ص: 769.

(4) هو: الشيخ العالم عصمة الله بن برخور دار بن محمد بن العلاء اللاهوري، ولد ونشأ بلاهور وقرأ العلم على الشيخ محمد تقي اللاهوري وتولى المشيخة، وتوفى لاثنتي عشرة خلون من رجب سنة سبع وثلاثين ومائة وألف، ينظر: الأعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج: 6، ص: 762.

الملك العلماء والفقهاء إلى مجلسه وجعل يستدل على صحة أمره من أقوال بعض المجتهدين فردوا على أدلته ردا شافيا لكنه أصرَّ على قوله وقبض على بعضهم وكاد الأمر يؤدي إلى فتنة عظيمة وفساد عريض ولولا أن تدخل ابن الملك عظيم الثاني الذي كان سُنِّيا وأقنع أباه بسحب أمره [1].

هكذا دائماً الحكام في كل مكان وزمان من خالف هواهم فلابد أن يقبض عليه ويسجن وربما تصل العقوبة إلى الإعدام.

2ـ محمد معز الدين جهاندارشاه:

ولما توفي بهادر شاه عام 1124هـ اندلعت حرب وراثية بين أبنائه الأربعة جها ندار وعظيم الشأن ورفيع الشأن وجها نشاه، ورغم وجود مؤيدين كثيرين لثاني أبنائه وهو عظيم الشأن إلا أن جهاندار أكبر الأبناء استطاع الجلوس على العرش بمعاونة من الوزير الذي دبر معركة بين جها ندار ورفيع الشأن، ثم معركة بين جها نشاه وعظيم الشأن حيث قتل أثناء هذه الحروب إخوته الثلاثة ليرتقي عرش شبه القارة الهندية جها ندار عام 1124هـ، 1712م ولقب بمحمد معز الدين جهاندار[2].

لم يستطع هذا الملك أن يكبح جماح شهواته فانصرف إلى حياة اللهو والمتعة، وأبعد ذوي الخبرة عن البلاط، إلى أن قدم جلال الدين محمد ابن أخيه عظيم الشأن فقتله هو ووزيره بعد أن حكم أحد عشر شهرا [3].

---

(1) الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص9.

(2) ينظر: الرسالة العلمية الماجستير، بعنوان بهادر شاه، تقديم، ابتسام صالح، تحت إشراف أ. د أمجد حسين، جامعة القاهرة 1980م، ص: 11.

(3) الإسلام والمسلمون في باكستان وبنجلاديش والهند، د: حازم محمد محفوظ، ص: 85.

3ـ فرخ سير.

حكم الهند نحو ست سنوات وكان ملكاً ذكياً حازماً وبصيراً بأمور الملك أوقع بالمتمردين أشد العقاب وقضى على ثورتهم[1].

وحينما رأى الأمور تزداد سوءاً حاول التخلص من نفوذ المراهتة لكنه فشل ووقع في الأسر وقتلوه عام 1131هـ[2].

4ـ رفيع الدرجات ورفيع الدولة:

نصبهما الشقيقان السيد عبد الله خان والسيد حسين خان بعد أن قتلوا فرخ سير وكان الأول مريضا ضعيفا، فتوفي بعد شهرين من توليته الملك وأخذ الملك الثاني ولكنه توفي بعد أيام وهما لم يكن لهما أي أثر ولا منزلة في الدولة، إذ لم يستمر حكمهما أكثر من ستة أشهر[3].

5ـ أبو الفتح ناصر الدين شاه:

وبعد وفاة رفيع الدولة أجلس السيد عبدالله خان والسيد حسين خان على عرش شبه القارة الهندية محمد روش بن رفيع الدولة عام 1131هـ ولقب بأبي الفتح ناصر الدين محمد شاه ومكث في الحكم مدة تسع وعشرين سنة واستقلَّ في حكمه كثير من الولايات وتمَّ القضاء على الشقيقين وأعوانهما قضاء نهائيا [4]واشتد في عصره قوة كفار المراهتة وتفاقم أمرهم حتى أغاروا على العاصمة وهزموا الجيش الملكي فصالحهم مضطرا وعلى شروط معينة [5].

---

(1) الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 10.

(2) ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، د: حازم محمد محفوظ، دار الثقافة للنشر، ط: 1، (ب، ت)، ص: 74.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص: 76، الإمام المجدد الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص: 10.

(4) ينظر: ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، حازم محمد محمود، ص: 77.

(5) ينظر: الإمام المجدد والمحدث، محمد بشير، ص: 11.

وفي الوقت نفسه هاجم الهند الملك الإيراني نادر شاه وهو مجدد شباب الدولة الإيرانية بعد ما رزحت كثيرا تحن حكم الأفغان؛ فقد استطاع أن يرجع حكمها إلى يد أبنائها وأن يزحف على ماجاوره من البلاد في العراق وأفغانستان [1].

وخرج الملك لقتاله لكنه لم يستطع مقاومته ورد هجومه رغم كثرة جيشه، وانقاد له الملك ودخل جيش نادر شاه العاصمة وكان يوما شديدا على أهلها إذ أغاروا عليهم وقتلوا كل صغير وكبير ونهبوا وأفسدوا، ويُقدَّر عدد القتلى الذين قتلوهم في بضع ساعات بحوالي مائة الف نسمة بأمر من أمراء الشيعة [2].

6ـ أحمد شاه:

بعد موت محمد شاه خلفه على سرير الملك ابنه أحمد شاه الذي حكم نحو ست سنوات ومازالت الدولة يتقلص ظلها شيئا فشيئا واضمحل سلطان الملك وضعف أمره حتى تجرأ أحدهم وأعمى بصره ثم حُبس في سجن ولم يعرف عن مصيره شيء [3].

7ـ شاه عالم الثاني:

كانت الدولة المغولية في عهد محمد شاه معروفة بالانحطاط الخلقي والإداري ومال المجتمع الهندي إلى طبقة الأمراء والأغنياء بصفة خاصة وانقادوا لقانون «الناس على دين ملوكهم» واتجه إلى حياة التمتع باللذات والترف والبذخ والراحة، والدولة أصيبت في عهده بالانحطاط السياسي؛ لأنها أصبحت ألعوبة في يد غيره وخضع للشركا ت الإنجليزية [4].

أسباب زوال الدولة المغولية الإسلامية:

هناك عدة أسباب أدَّت إلى انهيار الدولة المغولية الإسلامية من بينها:

---

(1) تاريخ الإسلام في الهند، عبدالمنعم النمر، ص: 390.

(2) ينظر: الإمام المجدد والمحدث، محمد بشير، ص: 11.

(3) ينظر: المصدر السابق، ص12

(4) ينظر: رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ج4، ص50

1- إن نواميس الحياة لا تتغير، فما من شيء وقع في هذه الدنيا إلا حاطه الله بعلمه، فبعد أن كانت الدولة قوية بحكامها الأقوياء، خلف من بعدهم خلف أضاعوا كل شيء في الدولة الإسلامية بسبب ضعفهم وانشغالهم بحياة اللهو واللعب والفجور.

2- الصراع على السلطة بين أفراد المغول عند وفاة ملك من ملوكهم.

3- كثرة المؤامرات للو صول إلى الأهداف والمصالح الشخصية دون الاهتمام إلى مصالح الدولة أي اتخاذ الحكم وسيلة للوصول إلى غاية.

4- الفساد الكبير في النظم الإدارية والسياسية في الدولة مما سبب إرباكا في مصالحها.

5- الإسراف على الحفلات الماجنة والحرص على حضورها والاهتمام بها أكثر من الاهتمام بالدولة والرعية.

6- انفاق المال العام على الشعراء، الأمر الذي أثار العصبية في نفوسهم بسب القصائد الشعرية.

7- تولية القيادة غير الأكفاء في المناصب الأساسية في الدولة [1].

وهذه الأمراض إذا دبت في دولة سببت لها المرض العضال وهو الانهيار.

(1) ينظر: إمام الهند، شاه ولي الله الدهلوي، د: إيهاب حفظي، ط: جامعة الأزهر- كلية اللغات والترجمة، «ب، ت» ص: 4، 3.

المبحث الثاني
حياته ونشأته

المطلب الأول اسمه ونسبه ومولده ووفاته.

أولاً: اسمه ونسبه:

هو أبو الفياض ولي الله أحمد بن الفيض عبد الرحيم الدهلوي المعروف بقطب الدين ولي الله الدهلوي ينتهي نسبه إلى الفاروق أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ وهذا من النسب البعيد من جهة الأب أما من جهة الأم فينتهي نسبه إلى الإمام موسى الكاظم ﷺ [1].

وهناك من انتقد هذه السلسة وقال لا يوجد بين أولاد عبدالله بن عمر رجل اسمه محمد ومنهم من يقول إن الإمام الدهلوي نقل هذه السلسلة ولم يتأكد من صحتها ولم يدرسها.

ثانياً: مولده ووفاته:

ولد الشاه ولي الله الدهلوي وقت طلوع الشمس يوم الأربعاء الرابع من شوال سنة 1114هـ في عهد الإمبراطور الصالح عالمكير الذي توفي بعد ولادته بأربع سنين بقرية «بهلت» وهي قرية صغيرة معروفة بعلمائها، ويقال: إن والده رأى مبشرات قبل ولادته، وكان عمر والده في الستين من عمره عندما ولد الإمام الدهلوي، وكانت والدته من العالمات الصالحات العابدات المواظبات على العبادات والأذكار [2].

---

(1) الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام الدهلوي، تعريب، سلمان الحسيني النَّدوي، دار الصحوة- القاهرة، ط2، 1407 هـ - 1986 م ص: 11.

(2) ينظر: رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص: 83، والإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص: 25.

وفاته:

توفي الإمام الدهلوي رحمه الله تعالى ظهيرة يوم السبت من شهر الله الحرام سنة 1176هـ بمدينة «دهلي» فدفن بجوار والديه خارج البلدة وعمره اثنان وستون سنة، بعد إحيائه للسنن ونشر الكتاب والسنة والتعليم والتربية أذن الرحيل الذي لا يستثني منه قوله ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ [1] يقول أبو الحسن الندوي: «لا تتوفر تفاصيل الوفاة في كتاب من كتب التراجم إلا رسالة من أحد أفراد أسرته كان قد وجهها إلى شخصية كبيرة يقول فيها «الحمد لله على النعماء والرضاء. . . . . حتى قال وبعد فإن حادث وفاة إمام أهل السنة والجماعة أدخل السرور على أهل البدع والضلال وأصيب أهل الدين والصلاح بالحزن والأسى فإنا لله وإنا إليه راجعون» [2].

(1) سورة ال عمران، الآية: 185.

(2) رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص: 101.

المطلب الثاني: شيوخه ونشأته العلمية.

أولاً: شيوخه.

تتلمذ الإمام الدهلوي على يد كثير من العلماء واستفاد منهم استفادة كبيرة من بينهم

1ـ والده هو الشيخ عبدالرحيم الدهلوي:

بدأ الإمام الدهلوي الدراسة منذ نعومة أظفاره لما بلغ سن الخامسة دخل الكُتَّاب وحفظ القرآن في السنة السابعة من عمره وبدأ قراءة الكتب الفارسية والأردية والابتدائية المختصرة في العربية و درس على والده كثيرا من الكتب منها الكافية، وتوفي والده سنة 1131هـ[1].

2ـ الشيخ أفضل السرهندي: وهو من أئمة الحديث في دهلي، وروى عنه الدهلوي صحيح البخاري والترمذي مدة اثنتي عشرة سنة قبل سفره إلى الحجاز في الثلاثين من عمره[2].

2ـ الشيخ المحدث وفد الله ابن الشيخ محمد بن محمد بن سليمان المغربي المالكي عندما جاء الإمام إلى الحرمين استقبله بالفرح والسرور ورحب به وقرأ عليه كتب الحديث ولما أجازه رواية الحديث عقد له مجلساً خاصاً فقرأ عليه موطأ الإمام مالك من أوله إلى آخره[3].

3ـ الشيخ العارف المحدث أبو الطاهر محمد ابن الشيخ إبراهيم بن حسن بن شهاب الدين المدني الشافعي[4] الذي صاحبه مدة وتلقى منه جميع صحيح البخاري من أوله إلى

---

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص: 84.

(2) ينظر: الدهلوي وآراؤه الكلامية، وفاء العمري ص: 27.

(3) ينظر: الإمام المجدد والمحدث، محمد بشير، ص: 28.

(4) هو: الشيخ محمد بن إبراهيم بن حسن، أبو الطاهر الكوراني المدني الشافعيّ: فقيه. ولي فيها إفتاء الشافعية مدة. له مؤلفات منها منتخب كنز العمال في سنن الاقوال للمتقي الهندي، واختصار شرح شواهد الرضيّ للبغدادي ـمولده ووفاته بالمدينة. (1081 - 1145 هـ = 1670 - 1733 م). ينظر: معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب الدمشقي، (ب، ط)، دار إحياء التراث العربي بيروت، ج: 8، ص: 196.

آخره وسمع منه شيئا من صحيح مسلم وجامع الترمذي وسنن أبي داود وسنن ابن ماجه وموطأ الإمام مالك وسنن الإمام أحمد والرسالة للشافعي والجامع الكبير وغيرها من الكتب[1].

5ـ الشيخ تاج الدين القلعي الحنفي:

هو الشيخ تاج الدين القلعي الحنفي مفتي مكة المكرمة وقد حضر الإمام الدهلوي دروسه في صحيح البخاري وسمع منه أطراف الكتب الستة وأجاز الشيخ جميع الحاضرين من بينهم الشيخ الدهلوي [2].

6ـ محمد أفضل السيالكوتي[3]:

المحدّث في دهلي، كان يختلف معه أثناء الدراسة على والده، فانتفع به في الحديث، وحصل على إجازته كما في العجالة النافعة وأجازه في مشكاة المصابيح وصحيح البخاري وغيره من الصحاح، وقال في "التفهيمات الإلهية"، أجازني الثقة الثبت الحاج محمد أفضل. . لمشكاة المصابيح، وصحيح البخاري وغيرها من الكتب الستة وقال بعضهم أنه أجازه عامة برواية الحديث[4].

---

(1) ينظر: الدهلوي وآراؤه الكلامية، وفاء العمري، ص: 27.

(2) ينظر: أسرار خلافة الخلفاء، الإمام الدهلوي، ترجمة، مصطفى محي الدين الهدوي، دار الكتب العلمية، – بيروت، ط: 1، 2009م، ج: 1، ص: 5.

(4) الشيخ العالم المحدث محمد أفضل الحنفي السيالكوتي أحد العلماء المشهورين في الحديث، قرأ على الشيخ عبد الأحد بن محمد سعيد السرهندي وانتفع به كثيراً وأسند الحديث عنه ثم سافر إلى الحرمين الشريفين فحج وزار وصحب الشيخ سالم بن عبد الله البصري فأحسن صحبته وانتفع به، ثم رجع إلى الهند وسكن بمدينة دهلي، وكان يدرس في مدرسة غازي الدين خان، أخذ عنه الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم الدهلوي والشيخ جانجانان العلوي. توفي سنة ست وأربعين ومائة وألف. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبدالحي الحسني، ج: 6، ص: 806.

(4) أثر الشاه ولي الله الدهلوي في العلوم، مقال للسيد محبوب، ترجمة محمد عارف جميل، مجلة شهرية تصدر عن دار العلوم ديوبند. العدد: 9.

7ـ عمر بن أحمد بن عقيل السقاف[1]، سبط عبد الله البصر، سمع عليه أطراف الستة وغيرها، وأجازه عامة، وذكر أنه حدثه من لفظه بالأولية مطلقة، وقيل إنه قرأ عليه جزءا من أول شرح السنن للبغوي[2] وأجاز ه بقراءته و قرأ عليه أول السنن الكبرى للبيهقي، وكذلك طرفاً من مسند الشافعي، وروى عنه الدر الثمين و النوادر وأجازه عامة برواية الحديث.

8ـ محمد فاضل السندي[3]، عن الشيخ ولي الله أنه قال: قرأت القرآن كله من أوله إلى آخره برواية حفص عن عاصم على الصالح الثقة الحاج محمد فاضل السندي سنة 1153هـ، قال: تلوته من أوله إلى آخره برواية حفص على الشيخ عبد الخالق شيخ القراء بمحروسة دهلي، قال: قرأت القرآن كله بالقراءات السبع على الشيخ محمد البقري». إلى آخر السند المشهور.

(1) هو هو أبو حفص عمر بن عقيل بن أبي بكر بن محمد بن أبي بكر بن السيد عبد الرحمن آل عقيل الحسيني العلوي المكي الشافعي الشهير بالسقاف، ولد بمكة سنة 1102ه، سمع منه كبار الشيوخ وانتفع به الطلبة، ومن أعظمهم انتفاعاً به وأكثرهم ملازمة له الحافظ مرتضى، والوجيه عبد الرحمن العيدروس وولي الله الدهلوي الهندي، قال عنه: أجازني السيد عمر ابن بنت الشيخ عبد الله بن سالم عن جده، وتوفي سنة 1174هـ. ينظر: فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني، تح، إحسان عباس، ط: 2، 1982م، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ج: 2، ص: 794.

(2) هو: الحسين بن مسعود بن محمد أبو محمد البغوي الفقيه الشافعي يعرف بابن الفراء ويلقب محيي السنة، وكان إماما في التفسير والحديث والفقه، من آثاره العلمية معالم التنزيل في التفسير ومصابيح السنة وشرح السنة، توفي سنة 510هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، تح، علي محمد عمر، دار مكتبة وهبة-القاهرة، ط: ا1، 1396هـ، ص: 38.

(3) الشيخ العالم المجود محمد فاضل السندي شيخ القراء بدهلي، أخذ القرآن برواية حفص بن عاصم عن الشيخ عبد الخالق الدهلوي، وأخذ عنه الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي وخلق كثير. لم يرد في ترجمته إلا هذا فقط، الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبدالحي الحسني، ج: 6، ص: 833.

ثانياً: نشأته العلمية:

نشأ هذا العالم على نهج قويم وشجاعة مدهشة وكان منذ صغره مشغوفاً بالعلوم الدينية، درس كثيراً من الكتب في هذا العلم وفرغ من تعلم سائر الكتب في المنهج التعليمي في الهند آنذاك وهو ابن خمس عشرة سنة [1].

هناك أسباب ساعدت الإمام الدهلوي في نشأته العلمية من بينها موطنه وهى مدينة دهلي التي تُعد من أهم مراكز الإشعاع الحضاري والثقافي في الهند الإسلامية وكانت المدينة تزخر بالعلماء والمدارس والمعاهد الإسلامية وتشجيع القادة ورجال الدولة لحركة البحث العلمي واتخاذ العلماء المساجد مدارس لتدريس العلوم الإسلامية وهذه العوامل أثرت في حياة الدهلوي وتوجهه للعلوم الإسلامية حتى صارفيها عالما من علماء الأمة الإسلامية[2].

❊❊❊

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص: 96.

(2) ينظر: الدهلوي وآراؤه الكلامية، وفاء العمري ص: 34.

المطلب الثالث: رحلاته العلمية.

في سنة 1142هـ اشتاق الإمام الدهلوي إلى زيارة الحرمين الشريفين عندما كان في الثلاثين من عمره فاستجاب هذا الشوق والحنين ورحل لذلك وبلغ الحجاز، وسعد بالحج والزيارة ومكث هناك عامين كاملين واستفاد من علماء الحرم المكي وبادلهم علماً بعلم، وفي المدينة المنورة تتلمذ لعلمائها أيضاً[1].

وتُعد رحلته إلى الحرمين من أهم العوامل التي أثرت في فكره ومنهجه العلمي ودفعته إلي تدريس الكتب الستة في الحديث حتى أصبح المرجع الأول للحديث في الهند وكل من تتلمذ له استفاد منه استفادة كبيرة في الحديث والعلوم الأخرى، وأعدَّ حسب فكره منهجاً جديدا في التدريس بعد عودته من الحجاز، ولكن مركز الثقل العلمي في ذلك العهد أصبح ضعيفا لأسباب سياسية في مدينة دهلي، حيث انتشر التدريس للمنطق والفلسفة بشكل واسع ويرجع ذلك إلى الهجمة الفكرية الغربية على العالم الإسلامي في ذلك الوقت مع بدء المطامع الإنجليزية في الهند، وكان لتلك الظروف الفكرية والسياسية أثر واضح في توقف حركة النهضة الإسلامية في الهند[2].

(1) ينظر: حجة الله البالغة الإمام الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص: 11.

(2) ينظر: الفوز الكبير، الإمام الدهلوي، ص: 12.

المبحث الثالث

آثاره العلمية وثناء العلماء عليه

المطلب الأول: تلاميذه.

تتلمذ على يد الإمام الدهلوي كثير من طلبة العلم واستفادوا من علمه وكان لهم دور مهم في امتداد علومه وإحياء منهجه، وأشهرهم أبناؤه الأربعة:

1ـالشاه عبدالعزيز الدهلوي[1].

وكان من علماء الهند البارزين حمل لواء العلم والإصلاح عن أبيه وتصدى للاستعمار الإنجليزي في الهند، ودفع المسلمين للنضال والجهاد ضد الاحتلال وكان صاحب أول فتوى في الجهاد، فقد أصدر فتوى أعلن فيها أن تسلط الشركات الإنجليزية على السلطة الهندية الإسلامية تجعل الهند دار حرب، وعلى المسلمين أن يهبوا للجهاد[2].

2ـ الشيخ رفيع الدين الدهلوي[3]:

تتلمذ على والده وله مؤلفات اشتهر بها في الهند منها أسرار المحبة وتكميل الأذهان.

3ـالشيخ عبدالغني الدهلوي.

---

(1) الشاه عبدالعزيز الدهلوي، تقدمت ترجمته، ص: 17.

(2) ينظر: زهرة البساتين من مواقف علماء الربانيين، جمع وترتيب، د: سيد حسين العفاني، دار العفاني القاهرة، ج: 2، ص: 176.

(3) هو: الشيخ الإمام رفيع الدين عبد الوهاب بن ولي الله ابن عبد الرحيم العمري الدهلوي، ولد بمدينة دهلي، ونشأ بها، واشتغل بالعلم على صنوه عبد العزيز وقرأ عليه ولازمه مدة، وبرع في العلم، وأفتى ودرس، وله مؤلفات كثيرة منها رسالة في العروض ورسالة في مقدمة العلم ورسالة في التاريخ ورسالة في إثبات شق القمر وإبطال البراهين الحكمية على أصول الحكماء، ورسالة في تحقيق الألوان، ورسالة في آثار القيامة، ورسالة في الحجاب، ورسالة في برهان التمانع وغيرها. توفي رحمه الله في حياة صنوه الكبير عبد العزيز في السادس من شوال سنة ثلاث وثلاثين ومائتين وألف بمدينة دهلي فدفن بها خارج البلدة عند أبيه وجده. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبدالحي الحسني، ج: 7، ص: 574.

4ـ الشيخ الشاه عبد القادر[1] عرف بالحلم والتواضع والصلاح والتقوى والحرص على اتباع السنة اشتغل بالتدريس، وله ترجمة القرآن الكريم باللغة الأردية[2].

5ـ الشيخ الشاه محمد عاشق البهلتي[3]لازم الإمام الدهلوي زمناً طويلاً وصاحبه صحبةً حسنةً، وكان يلازمه في السفر والحضر وكان معه في رحلته الحجازية.

6ـ الشيخ محمد أمين الكشميري[4]لازم الإمام الدهلوي وأخذ عنه الشيخ عبد العـزيز

(1) هو: الشيخ الإمام عبد القادر بن ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي أحد، توفي والده في صغر سنه، فقرأ العلم على صنوه الكبير عبد العزيز بن ولي الله، وجمع العلم والعمل والزهد والتواضع وحسن السلوك، ووضع الله سبحانه له المحبة في قلوب عباده، لما اجتمع فيه من خصال الخير فصار مرجوعاً إليه في بلدته، ومرجوعاً إليه بعلم الرواية والدراية، وتوفي سنة ثلاثين ومائتين وألف بدهلي فدفن عند والده، وقالوا: عنه يوم دفن: إنا لا ندفن الإنسان بل ندفن العلم والعرفان. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبدالحي الحسني، ج: 7، ص: 1027.

(2) ينظر: الإمام المجدد والمحدث، محمد بشير، ص: 51، 52.

(3) هو: الشيخ العالم المحدث محمد عاشق بن عبيد الله بن محمد الصديقي البهلتي أحد كبار المشايخ يرجع نسبه إلى محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه بإحدى وعشرين واسطة، اشتغل بالعلم من صباه ولازم الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي وأخذ عنه العلم والمعرفة وسافر إلى الحرمين الشريفين معه فحج وزار وشاركه في الأخذ والقراءة على أساتذة الحرمين أجلهم الشيخ أبو طاهر محمد بن إبراهيم الكردي المدني وأجازه، أخذ عنه الشيخ عبد العزيز وصنوه رفيع الدين، وخلق كثير. ومن مصنفاته سبيل الرشاد بالفارسية في السلوك والقول الجلي في مناقب الولي كتاب في أخبار شيخه ولي الله، ومن أعظم مآثره تبييض المصفى شرح الموطأ للشيخ ولي الله الدهلوي، توفي نحو سنة سبع وثمانين ومائة وألف. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبدالحي الحسني، ج: 6، ص: 827.

(4) هو: الشيخ العالم الكبير الخواجه محمد أمين الكشميري من أجل أصحاب الشيخ ولي الله الدهلوي، ينتسب إلى شيخه ويعرف بالنسبة إليه، وهو الذي أخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن ولي الله بعد وفاة والده، كما صرح به الشيخ المذكور. توفي نحو سنة سبع وثمانين ومائة وألف،. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج: 6، ص: 808.

بعد وفاة والده[1].

7ـ الشيخ محمد معين السندي هو الشيخ الفاضل العلامة محمد معين بن محمد أمين بن طالب الله السندي ولد ونشأ بإقليم السند وهو أحد العلماء المبرزين في الحديث والكلام والعربية، وقرأ العلم على الشيخ عناية الله بن فضل الله السندي وسافر إلى دهلي وأخذ عن الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي ثم رجع إلى بلاده وتوفي سنة إحدى وستين ومائة وألف [2].

8-الشيخ نور الله الصديقي:

الشيخ العالم الكبير المحدث نور الله بن معين الدين الصديقي البرهانوي أحد فحول العلماء، ولد ونشأ بقرية بُرهانه واشتغل بالعلم من صباه وسافر إلى دهلي ولازم دروس الشيخ الكبير ولي الله بن عبد الرحيم العمري الدهلوي وأخذ عنه ولازمه ملازمة طويلة حتى صار من كبار العلماء في حياة شيخه، أخذ عنه الشيخ عبد العزيز بن ولي الله وقرأ عليه كتب الفقه، ومات نحو سنة سبع وثمانين ومائة وألف[3].

(1) ينظر: الدهلوي وآراؤه الكلامية، وفاء العمري، ص: 28، ورجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص: 267.

(2) ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج6، ص: 838، 839.

(3) ينظر: المصدر نفسه، ج: 6، ص: 855.

المطلب الثاني: مؤلفاته.

كان الإمام ـ رحمه الله ـ غزير العلم، وله مشاركات في شتى المجالات العلمية؛ ومؤلفاته شاهدة على ذلك، وسيتناول الباحث مؤلفاته حسب التصنيف الموضوعي باختصار:

أ- كتبه في التفسير وعلوم القرآن:

لقد ترك الشاه ولي الله الدهلوي تراثا كبيرا فيما يتعلق بالقرآن الكريم وعلومه، والكتب المعروفة والمتداولة للشيخ ولي الله الدهلوي في موضوعات علوم القرآن هي التالية:

ـ فتح الرحمن في ترجمة القرآن كتبه الشيخ بالفارسية.

ـ الزهراوين في تفسير سورتي البقرة و آل عمران.

- الفوز الكبير في أصول التفسير، هذا الكتاب ألفه الشيخ باللغة الفارسية، لكنه تُرجم إلى اللغات الأخرى، وهذه التراجم هي المتداولة الآن، تُرجم إلى اللغة العربية مرتين؛ الترجمة الأولى قام بها الشيخ محمد منير الدمشقي الأزهري، والترجمة الثانية للشيخ سيد سليمان الندوي.

- فتح الخبير بما لابد من حفظه في علم التفسير: كتبه الشيخ باللغة العربية، ويعتبر تكملة للفوز الكبير، تناول فيه حسب السور القرآنية تفسير غريب القرآن، وبعض أسباب النزول وخاصة ما لا يمكن فهم الآية إلا بها.

- تأويل الأحاديث في رموز قصص الأنبياء: كتاب صغير كتبه باللغة العربية وقد تناول فيه قصص بعض الأنبياء.

- المقدمة في قوانين الترجمة: هذه الرسالة التي لا يتجاوز حجمها عشر صفحات كتبها الشيخ أثناء ترجمته للقرآن الكريم، وهي رسالة مهمة جدا؛ لأن الشيخ عانى من مشاكل الترجمة بنفسه، ومن هنا تكون لها قيمتها وأهميتها برغم صغرها.

ب- كتبه في الحديث وعلومه:

لقد ترك الشيخ الدهلوي كتباً متنوعة في الحديث وعلومه، وهذه الكتب تدل على مكانة الحديث في مشروعه التجديدي، نتعرف بصورة موجزة على كتبه الحديثية على النحو التالي:

- الأربعين: مجموعة من أربعين حديثاً جامعاً، جمعها الشيخ على طريقة الأئمة السابقين بالسند المتصل عن طريق شيخه أبي طاهر المدني إلى علي بن أبي طالب ﷺ.

- الإرشاد إلى مهمات الإسناد: كتاب باللغة العربية جمع فيه الشيخ أحوال مشايخه الذين درس عليهم في رحلة الحج، وتكلم فيه على أسانيدهم.

- شرح تراجم أبواب البخاري: وهو كتاب باللغة العربية، تحدث فيه عن شرح تراجم الأبواب «عناوين الأبواب» في «صحيح البخاري»، وتحدث فيه عن كيفية الاستدلال بالأحاديث الواردة في كل باب على ترجمة الباب، فإن هذين الأمرين يدق فهمهما على العلماء وشراح الحديث، ومن هنا قالوا: فقه البخاري في تراجمه، وقد وُفق الإمام ولي الله الدهلوي أيما توفيق في ذلك.

- تراجم أبواب البخاري: رسالة مختصرة باللغة العربية، تحدث فيها عن قواعد وأصول لفهم تراجم الإمام البخاري في كتابه «الصحيح».

- فضل المبين في المسلسل من حديث النبي الأمين: كتاب صغير كتبه الشيخ باللغة العربية عن الحديث المسلسل.

- المسوّى شرح الموطا: شرح وجيز لـموطأ الإمام مالك باللغة العربية، اهتم فيه ببعض القضايا المتعلقة بشرح الحديث [1].

- المصفى شرح الموطأ: ترجمة لـموطأ مالك، وشرحه الإمام شرحا وجيزا باللغة الفارسية

(1) ينظر: زهرة البساتين من مواقف العلماء الربانيين، جمع وترتيب، د: سيد بن حسين العفاني، ص129.

- النوادر من أحاديث سيد الأوائل والأواخر.

- الدر الثمين في مبشرات النبي الأمين.

- إنسان العين في مشايخ الحرمين: رسالة مختصرة جمع فيها تراجم مشايخه في الحجاز المقدس، وضمنه كتابه أنفاس العارفين[1].

ج- كتبه في أصول الدين والفلسفة الإسلامية:

من أهم كتب الشيخ ولي الله الدهلوي ما يتعلق بفلسفة الإسلام والشريعة، وكتبه في العقيدة وأصول الدين، وسنتعرف على كتبه في هذين المجالين هنا:

- حجة الله البالغة: يعتبر هذا الكتاب لدى المحققين من أهم كتب الإمام ولي الله الدهلوي على الإطلاق، كتبه باللغة العربية، ويرى بعض المحققين أنه أول كتاب يدون في موضوع فلسفة الدين عموما وفي فلسفة الإسلام خصوصا، تحدث فيه عن أسرار الشريعة، يقول الشيخ المودودي[2]: قدم الشيخ من خلاله تصوره الكامل للنظام الحضاري المتكامل للإسلام. وهو كتاب متداول معروف، وقد تُرجم إلى لغات كثيرة منها اللغة الأردية، واللغة الفارسية، واللغة الإنجليزية (ترجمه إلى اللغة الإنجليزية الدكتور محمد الغزالي)[3].

---

(1) بنظر: الدهلوي وآراؤه الكلامية، وفاء العمري، ص: 37، وحجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، ص: 16، والفوز الكبير في أصول التفسير الإمام الدهلوي، ص: 27.

(2) هو: الشيخ الفاضل شرف الدين محمد الحسيني المودودي الدهلوي المشهور بسيد بودهن، ولد ونشأ بدهلي وقرأ العلم على الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي ولازمه مدة مديدة وأخذ عنه وتخرج عليه وله له مصنفات عديدة في الحقائق والمعارف منها القول الفصل في إرجاع الفرع إلى الأصل وله تعليقات على الهوامع للشيخ ولي الله الدهلوي، لم يذكر تاريخ ميلاده ولا وفاته. ينظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج: 6، ص: 730.

(3) ينظر: الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، د. محي الدين الألوائي، دار القلم دمشق، ط: 1، 1406هـ، 1986م، ص: 224.

- البدور البازغة: هو أيضا من أهم كتب الإمام ولي الله الدهلوي، وموضوعه يقرب من موضوع الكتاب السابق، كتبه باللغة العربية.

- حسن العقيدة: رسالة مختصرة بالعربية عن العقيدة.

- «المقدمة السنية في انتصار الفرقة السنية».

- التفهيمات الإلهية: كتاب باللغتين العربية والفارسية، وعدّه البعض من كتبه في التصوف والسلوك، لكنه في الحقيقة كتاب جمع فيه الشيخ آراءه في مسائل متنوعة جدا، على غرار كتاب «صيد الخاطر» لابن الجوزي، منها قضايا متعلقة بالتصوف والسلوك، ومنها حوادث ووقائع وقعت للمؤلف، ومنها آراؤه في تفسير بعض الآيات، ومنها شرحه لبعض الأحاديث، ومنها قضايا متعلقة بطبيعة الدين والشريعة، وفلسفتهما، ومنها قضايا متعلقة بالإصلاح والتقويم للأوضاع القائمة في عصره، ومنها الإشارات إلى الانحرافات العقدية، فهو كشكول عالم حوى معارف متنوعة[1].

د- كتبه في التصوف والسلوك:

وقد ترك الإمام ولي الله الدهلوي تراثاً كبيراً فيما يتعلق بالسلوك والتصوف، هذه الكتب هي التالية:

- ألطاف القدس: كتبه باللغة الفارسية.

- فيوض الحرمين: كتبه باللغة العربية.

- القول الجميل في بيان سواء السبيل: كتبه باللغة العربية، تحدث فيه عن آداب الشيخ والمريد، وعن البيعة، وتاريخ نظام التصوف والسلوك.

- سطعات: كتبه الشيخ ولي الله الدهلوي بالفارسية

- الانتباه في سلاسل الأولياء: كتب هذا الكتاب باللغة الفارسية

---

(1) ينظر: المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، عبد المتعال الصعيدي، تقديم د: محمد صابر عرب ص: 441.

- همعات: كتبه باللغة الفارسية.
- شفاء القلوب: باللغة الفارسية.
- لمعات: باللغة الفارسية.
- كشف الغين عن شرح الرباعيتين: باللغة الفارسية
- فتح الودود لمعرفة الجنود: كتبه باللغة العربية.
- رسالة في جواب رسالة الشيخ عبد الله بن عبد الباقي حسب اقتضاء كشفه.
- الهوامع: كتاب شرح فيه القصيدة الدعائية بعنوان «حزب البحر» للشيخ أبي الحسن الشاذلي.

هـ- كتبه في الفقه وأصوله:

لقد تناول الشيخ المباحث الأصولية والفقهية من خلال مختلف كتبه ومؤلفاته، لكن مع ذلك أفرد بعض الموضوعات المهمة التي كانت تشغل باله، وهذه الكتب هي:

- الإنصاف في أسباب الاختلاف: هذا الكتاب مع وجازته من أفضل الكتب المؤلفة في هذا الموضوع، وخاصة إذا نظر الإنسان إليه في الظروف التي أُلف فيها، وقد طُبع الكتاب مرات عديدة باللغة العربية، آخرها طبعة دار النفائس، بيروت، بتحقيق: الشيخ عبد الفتاح أبو غدة، وقد تُرجم إلى عدة لغات، منها اللغة الأردية، ترجمه إليه الشيخ صدر الدين إصلاحي، وهذه الترجمة متداولة معروفة، وتُرجم إلى اللغة الفارسية كذلك.

- عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد: تحدث في هذا الكتاب عن حكم الاجتهاد، وعن شروط المجتهد، وأنواعه، ومواصفاته، وعن تقليد المذاهب الأربعة، عن تقليد العالم للعالم، وغير ذلك من المسائل المتعلقة بهذا الموضوع [1].

(1) ينظر: موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، سامح كريم، مكتبة الدار العربية للكتاب، ط: 1، 2010م، القاهرة، ج: 2، ص: 398.

و- كتبه في السير والتاريخ والأدب:

لقد ترك الإمام ولي الله الدهلوي تراثاً كبيراً في هذا المجال، ولم يكن عمله سرداً للحوادث بل كان عمله تحليلا، وقد عبِّر من خلال هذه الكتب عن نظرياته السياسية كما فعل ذلك من خلال كتابه «إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء»، وكان السبب وراء كتاباته عن سيرة الخلفاء الراشدين الرد على الشيعة الطاعنين في الخلفاء الراشدين خصوصاً وفي الصحابة عموماً.

- قرة العينين في تفضيل الشيخين: كتبه الإمام باللغة الفارسية.

- إزالة الخفاء عن خلافة الخلفاء: كتبه باللغة الفارسية، ويعتبر من أشهر كتب الشيخ الشاه ولي الله وأهمها بعد «حجة الله البالغة»، هذا الكتاب ضمَّنه الشيخ أفكاره السياسية، وتحدث فيه عن مفهوم الخلافة وإثباتها بالكتاب والسنة، ويتضمن الرد على كثير من فِرى الشيعة والروافض، وتُرجم هذا الكتاب باللغة العربية.

- أنفاس العارفين في الغالب، تتضمن هذه الرسائل السبع تراجم آباء الشيخ ولي الله الدهلوي وأجداده ومشايخه.

- سرور المحزون: لخص فيه سيرة الرسول ﷺ بالفارسية.

- أطيب النغم في مدح سيد العرب والعجم.

- ديوان الشعر العربي، جمعه ابنه الشاه عبد العزيز، ورتبه ابنه الثاني الشاه رفيع الدين[1].

(1) ينظر: الخير الكثير الملقب بخزائن الحكمة، الإمام الدهلوي، ، دار الطباعة المحمدية، ط: 1، 1974م ص: 11.

المطلب الثالث: ثناء العلماء عليه.

لقد أثنى على الإمام الدهلوي كثير من العلماء الأجلاء منهم:

1ـ قال شيخه أبو طاهر محمد بن إبراهيم المدني في إجازته له العلامة الأوحد، والفهامة الأمجد الحبر الذي لا يبلغ الفحول شأوه في مضمار البيان الخطير، والجهبذ الحائز قصب السبق في ميادين التقرير والتحرير، الوارث للكمالات عن أسلافه الكرام ذوي التقريب، البالغ في شبيبته من الكمال ما لا يبلغه الشيب: قال فيه: إنه يسند عني اللفظ وكنت أصحح منه المعنى. أو كلمة تشبه ذلك، وكتبها في ما كتب له، وهذا يقرب من قول البخاري في أبي عيسى الترمذي حين قال له: ما انتفعت بك أكثر مما انتفعت بي، وليس وراء مفخرة ترام ولا فوقها منقبة تتمنى [1].

2ـ الشيخ المرزا مظهر العلوي الدهلوي[2]:

ذكر وقال: «إن الإمام الدهلوي له أسلوب خاص في تحقيق أسرار المعارف وغوامض العلوم، وإنه عالم رباني من العلماء الأجلاء» [3].

---

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، ص94.

(2) هو: الشيخ الإمام المحدث الفقيه شمس الدين حبيب الله مرزا جانجانان بن مرزا جان بن عبد السبحان بن محمد أمان العلوي الدهلوي، يرجع نسبه إلى محمد ابن الحنفية، ولد سنة إحدى عشرة أو ثلاث عشرة بعد المائة والألف في أيام عالمكير، فتربى في مهد أبيه وتعلم اللغة الفارسية عنه وقرأ القرآن على الحافظ عبد الرسول الدهلوي ثم أحرز الكمالات العلمية، ثم لازم الشيخ محمد أفضل السيالكوني وقرأ عليه المطولات وأخذ عنه الحديث واستفاض منه فيوضاً كثيرة ثم تصدَّر للتدريس ودرس وأفاد مدة، توفي رحمه الله سنة خمس وتسعين ومائة وألف. ينظر: الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج: 6، ص: 705.

(3) ينظر: حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي ـ تح سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص: 13.

3ـ وقال الشيخ شرف الدين محمد الحسيني وهو من تلاميذ الإمام الدهلوي في كتابه الوسيلة إلى الله وهو يتحدث عن المفاسد التي استبدت بالمجتمع الإسلامي في الزمن الذي وجد فيه الإمام، وأدت إلى اختلاط الحابل بالنابل والتلبيس الذي مارسه الجهال والملاحدة لإضلال المسلمين، حتى إن الزنادقة والملاحدة تستَّروا في زي الصوفية وتطاولت أيديهم بعبارات القرآن العظيم والأحاديث النبوية وكلمات المشايخ الكبار وحملوها على غير المراد فضلُّوا وأضلُّوا فكاد الزمان أن يكون شبيهاً بزمان الجاهلية وشاء القدر أن يخرج عالم من علماء هذه الأمة يفرق بين العلوم ومراتبها فهو يقنن قوانين ويدوِّن قواعد يحصل بها الامتياز التام بين علوم النبوة والولاية بل بين العلوم المعتدة كلها من التفسير والحديث والفقه والكلام والتصوف والسلوك فينزل كل علم منزلته ويبلغ كل عبارة وإشارة مبلغه وهو الكامل المكمل زبدة المتقدمين وقدوة المتأخرين قطب المدققين غوث المحققين الشيخ ولي الله المحدث الدهلوي[1].

4ـ وذكر محسن بن يحيى الترهتي في اليانع الجني أنه سمع شيخه العلامة فضل حق بن فضل إمام الخير آبادي مرتين يثني عليه فيحسن الثناء، من ذلك ما سمعه حين وقعت في يده نسخة من كتاب إزالة الخفاء فكان أولع بها ويكثر النظر فيها أوان فراغه من دروسه وسائر ما يشغله من شأنه، فلما وقف على كثير منها قال بمحضر من الناس: إن الذي صنف هذا الكتاب لبحر زخَّار لا يُرى له ساحل، هذا وليس يقع فيه إلا جاهل غبي من الجهال لا يُرجى أن يستطب ما به من دائه العضال أو حاسد يحسده على ما أكرمه الله تعالى به [2].

5ـ وقد حكى عن المفتي عناية أحمد الكاكوروي أنه علية الخصال وجلية سجايا الشرف والكمال كان يقول: «إن الشيخ ولي الله مثله كمثل شجرة طوبى أصلها في بيته

(1) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج: 6، ص: 859.

(2) ينظر: أثر الشاه ولي الله الدهلوي في العلوم، مقال للسيد محبوب، ترجمة وتعليق محمد عارف جميل، مجلة الداعي الشهرية دار العلوم ديوبند – العدد9.

وفرعها في كل بيت من بيوت المسلمين، فما من بيت ولا مكان من بيوت المسلمين وأمكنتهم إلا وفيه فرع من تلك الشجرة لا يعرف غالب الناس أين أصلها»[1].

6ـ وقال السيد صديق حسن القنوجي في الحطة بذكر الصحاح الستة في ذكر من جاء بعلم الحديث في الهند: «ثم جاء الله ﷻ من بعدهم بالشيخ الأجل والمحدث الأكمل ناطق هذه الدورة وحكيمها وفائق تلك الطبقة وزعيمها الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي المتوفي سنة ست وسبعين ومائة وألف وكذا بأولاده الأمجاد وأولاد أولاده أولى الإرشاد المشمرين لهذا العلم عن ساق الجد والاجتهاد فعاد لهم علم الحديث غضاً طرياً بعد ما كان شيئاً فرياً وقد نفع الله بهم وبعلومهم كثيراً من عباده المؤمنين ونفى بسعيهم المشكور من فتن الإشراك والبدع ومحدثات الأمور في الدين ما ليس يخاف على أحد من العالمين»[2].

7ـ وقال ابنه الشاه عبد العزيز: «شيخنا وقدوتنا في كل العلوم والأمور، الشيخ ولي الله الدهلوي، وقال أيضاً والدي الشيخ الأجل الأكمل، مسند الوقت، ومحدّث الزمان، وحافظ العصر، وحجة الله على الخلق».

(1) حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف ص13

(2) الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج6، ص860

8ـ وقال عبد الحي اللكنوي[1]: «تصانيفه كلها تدل على أنه كان من أجلاء النبلاء وكبار العلماء، موفقاً من الحق بالرشد والإنصاف، متجنباً التعصب والاعتساف، ماهراً في العلوم الدينية، متبحراً في المباحث الحديثية»[2].

❋❋❋

(1) هو: الشيخ الفاضل أحمد عبد الحق بن محمد سعيد بن الشيخ الشهيد قطب الدين محمد الأنصاري السهالوي اللكنوي، ولد في سنة ثلاث ومائة وألف بقرية سِهالي، ثم قدم لكهنؤ واشتغل على عمه الشيخ نظام الدين محمد الأنصاري السهالوي حتى برع وفاق أقرانه ودرس وأفتى وصار من أكابر العلماء في حياة شيخه نظام الدين. له شرح بسيط على سلم العلوم للقاضي محب الله بن عبد الشكور البهاري، وله حاشية على حاشية مير زاهد على الرسالة وعلى حاشيته على شرح التهذيب للدواني وعلى حاشيته على شرح المواقف، وتوفي سنة سبع وثمانين ومائة وألف ببلدة لكهنؤ. الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، الشريف عبد الحي الحسني، ج: 6، ص: 655.

(2) الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد، ولي الله الدهلوي، تعليق، بدر بن علي العتيبي، دار الأفاق، ط: 1، 1974م ص: 21.

الفصل الثاني
جهود الإمام الدهلوي في الإصلاح الديني

المبحث الأول: الإصلاح العقدي.

المطلب الأول: التوحيد ومراتبه عند الدهلوي.

المطلب الثاني: اختلاف الطوائف في الاعتقاد.

المطب الثالث: صور من المعتقدات الشركية وإبطالها.

المبحث الثاني: الإصلاح الفقهي.

المطلب الأول: أسباب اختلاف الصحابة في الفروع.

المطلب الثاني: أسباب اختلاف الفقهاء.

المطلب الثالث: مسألتا الاجتهاد والتقليد عند الدهلوي.

المبحث الثالث: إصلاحاته في الجانب التعليمي

المطلب الأول عنايته بنشر علوم القرآن.

المطلب الثاني: اهتمامه بالسنة ونشر علومها.

المبحث الأول

الإصـــلاح العقـــدي

المطلب الأول: التوحيد ومراتبه عند الدهلوي.

أولاً: معنى التوحيد في اللغة.

التوحيد في اللغة: الحكم بأن الشيء واحد والعلم بأنه واحد [1].

يقول الإمام الحسين أحمد بن فارس[2]: التوحيد لغة مشتقة من وحَّدَ الشيء إذا جعله واحداً وهو مصدر وَحَّدَ يُوحِّد أي جعل الشيء واحداً[3].

والتوحيد لا يتحقق إلا بنفي وإثبات، نفي الحكم عما سوى الموَحَّد وإثباته له؛ نقول لا يتم التوحيد حتى يشهد أن لا إله إلا الله فينفي الألوهية عما سوى الله ﷻ ويثبتها لله وحده وذلك أن النفي المحض تعطيل محض والإثبات المحض لا يمنع مشاركة الغير في الحكم فلو قلت مثلا: محمد قائم، فهنا أثبت له القيام، لكن لم يوحد في القيام، لأنه من الجائز أن يشاركه غيره في القيام، ولو قلت لا قائم، فقد نفيت نفيا محضاً ولم تثبت القيام لأحد، فإذا قلت لا قائم إلا محمد، فحينئذ تكون وحدت محمدا بالقيام حيث نفيت القيام عن سواه وهذا هو تحقيق التوحيد في الواقع، أي أن التوحيد لا يكون توحيداً حتى يتضمن نفياً وإثباتاً[4].

---

(1) كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية بيروت، ط: 1، 1403هـ-1983م ص: 89.

(2) ابن فارس: أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا القزويني، لغوي سلفي مالكي، كان رأساً في الأدب بصيراً بمذهب الإمام مالك، وكان على طريقة الكوفيين في النحو، من شيوخه: الطبراني وأبو الحسن القطان، من تلاميذه: حمزة السهمي والصاحب بن عباد، ومن مؤلفاته: (مقاييس اللغة) و (مجمل اللغة) و (فقه اللغة)، ت 395هـ. تاريخ إربل. المبارك بن أحمد المبارك، تح، سامي بن سيد خماس، دار الرشيد، العراق، (ب، ط))1980م، ج2، ص: 271.

(3) مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تح. زهير عبدالمحسن سلطان، دار مؤسسة الرسالة، ط: 2. 1405هـ- 1986م، ص: 1084.

(4) ينظر: المدخل المفيد إلى علم التوحيد، د. محمد يسري، (ب، د)، ط: 1، 2004م، ص: 75.

ثانياً: معنى التوحيد في الاصطلاح.

له إطلاقات عام وخاص، فالعام باعتباره فعلا من أفعال القلوب، والخاص باعتباره علما على علم معين، وعلى هذا فالتوحيد بالمعنى المصدري العام هو: إفراد الله بالعبادة، مع الجزم بانفراده في أسمائه وصفاته وأفعاله وفي ذاته فلا نظير له، ولا مثيل له في ذلك كله[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية[2]: هو عبادة الله وحده لا شريك له، مع ما يتضمنه من أنه لا رب لشيء من الممكنات سواه[3].

وقال أبو عبد الله السنوسي في كتابه "شرح أم البراهين في علم الكلام"، هو إفراد المعبود بالعبادة مع الاعتقاد بوحدته ذاتاً وصفاتاً وأفعالاً[4].

وهذا المعنى العام للتوحيد متفق عليه بين أهل السنة، وعلى هذا فالتوحيد في معناه الاصطلاحي يقترب من أحد معاني اللغة وهو نسبته تعالى إلى الوحدانية واعتقاد ذلك التقسيم الثلاثي للتوحيد بين الأشاعرة وابن تيمية.

---

(1) ينظر: الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم الأصبهاني، دار الراية الرياض، ج: 1، ص: 308.

(2) هو: الشيخ أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام بن عبد الله بن أبي القسم الخضر بن علي بن عبد الله، شيخ الإسلام تقي الدين أبو العباس بن أبي المحاسن شهاب الدين بن أبي البركات مجد الدين، ولد بحران في سنة إحدى وستين وستمائة، وقدم دمشق مع والده، وسمع الحديث من أحمد بن عبد الدائم، ومجد الدين بن عساكر، وابن أبي اليسر، أثني عليه، علماء عصره، مثل الشيخ تقي الدين بن دقيق العيد، والقاضي شهاب الدين الخويي، وتوفي بدمشق سنة ثمان وعشرين وسبعمائة: ينظر: المنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي، يوسف بن تغري الحنفي، تح د. محمد محمد أمين، د. سعيد عبد الفتاح عاشور، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ب، ط)، (ب، ت)، ج: 1، ص: 358.

(3) درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تح، محمد رشاك، الناشر، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ط: 2، 1411هـ، 1991، ج: 8، ص: 246م.

(4) شرح أم البراهين في علم الكلام، لأبي عبدالله السنوسي، ص: 33، نقلا عن الدهلوي وآراؤه الفلسفية، وفاء العمري، ص: 77.

1- عند ابن تيمية.

أ-توحيد الأسماء والصفات وهو الإقرار بتفرده ﷻ بما له من الأسماء والصفات بأنه منفرد لا شبيه له في ذاته ولافي صفاته ولافي أفعاله.

بـ-توحيد الربوبية معناه توحيد الله في شؤون الربوبية كالخلق والرزق والتدبير والإحياء ولهذا يعبر عنه، أنه توحيد بأفعاله وذلك بالإقرار أنه لا شريك له في أفعاله [1].

ج - توحيد الألوهية هو إفراد الله بالعبادة، والإقرار بأنه لا معبود بحق سواه، فهو الإله الحق الذي لا يستحق العبادة سواه ويتحقق ذلك بالفعل وهو تخصيصه تعالى بالعبادة [2].

2- والأشاعرة قسموا التوحيد إلى ثلاثة أقسام: وهي توحيد الذات، وتوحيد الصفات، وتوحيد الأفعال [3].

ثالثاً: مراتب التوحيد عند الدهلوي.

يرى الإمام الدهلوي أن التوحيد يكون في أربع مراتب:

1- حصر وجوب الوجود فيه تعالى فلا يكون غيره واجباً.

2-حصر خلق العرش والسماوات والأرض وسائر الجواهر فيه تعالى.

3-حصر تدبير السماوات والأرض وما بينهما فيه تعالى.

4-أنه لا يستحق غيره العبادة[4].

وهذا التوحيد هو الذي اهتم به الإمام الدهلوي في حركته الإصلاحية وقام بنشره مستدلاً بالكتاب والسنة؛ لأن الاعتقاد بالتوحيد أصل من أصول الدين وهو حق الله في عباده

---

(1) ينظر: شرح العقيدة الوسطية، محمد بن خليل حسن هراس، دار الصحوة للنشر، ط: 3، 1415هـ، ، ص: 265 ـ 266.

(2) ينظر: شرح العقيدة الطحاوية، عبدالرحمن بن ناصر بن براك، دار التدمرية، ط: 2، 1429هـ- 2008م، ص: 26.

(3) ينظر: رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، دار الشروق القاهرة، ط: 1، 1414هـ- 1994م، ، ص: 136.

(4) حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، سعيد أحمد يوسف ج: 1، ص: 206.

والدعوة إلى توحيد الله ﷻ منهج الأنبياء والرسل، فما من نبي أو رسول أرسله الله إلى قومه إلا ودعاهم إلى التوحيد من لدن آدم عليه السلام إلى نبينا محمد ﷺ، قال تعالى: ﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ ﴿٢٥﴾ ﴾[1].

وقال تعالى﴿ لَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

وقال تعالى: ﴿ وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمۡ هُودٗاۚ قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓۖ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُفۡتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ﴾[3].

والمدة التي مكثها الر سول ﷺ في مكة منذ البعثة حتى الهجرة كلها يدعو إلى توحيد اللهﷻ، وهذا المنهج جعله الإمام الدهلوي نبراساً في الإصلاح العقدي إسوة بالرسول ﷺ والأنبياء من قبله قال تعالى ﴿ لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرٗا ﴿٢١﴾ ﴾[4].

وقال تعالى ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡ ﴾[5].

وأي عمل يقوم به الإنسان فيه إشراك لله تعالى فهو عمل محبط غير مقبول، فلابد أن يكون العمل خالصا لله ﷻ يقول الله تعالى: ﴿ وَلَقَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ لَئِنۡ أَشۡرَكۡتَ لَيَحۡبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾[6].

---

(1) سورة الأنبياء، الآية: 25.

(2) سورة الأعراف، الآية: 59.

(3) سورة هود، الآية: 50.

(4) سورة الأحزاب، الآية: 21.

(5) سورة الأنعام الآية: 90.

(6) سورة الزمر الآية: 65- 66.

المطلب الثاني: اختلاف الطوائف في الاعتقاد.

لقد اختلفت الطوائف في بلاد الهند في الاعتقاد إلى عدة طوائف منها عبدة النجوم والكواكب والمشركين والنصارى.

أولاً: عبدة النجوم والكواكب.

وهذه الطائفة تعتقد بأن النجوم والكواكب لها نفوس مجردة عاقلة ولها أثر عظيم في الحوادث اليومية وفي سعادة الإنسان وشقوته وصحته ومرضه، أي لا تغفل عن عبادها فبنوا هياكل على أسمائها وعبدوها، ولم ينقل للهند مذهب في عبادة الكواكب إلا فرقتان توجهتا إلى النيرين: الشمس، والقمر ومذهبهم في ذلك مذهب الصابئة [1]في توجههم إلى الهياكل السماوية دون قصر الربوبية والإلهية عليها[2].

والطائفة التي تعبد النجوم والكواكب انقسمت إلى قسمين منهم عبدة الشمس ومنهم عبدة القمر.

1- عبدة الشمس:

زعموا أن الشمس ملك من الملائكة ولها نفس وعقل، ومنها نور الكواكب، وضياء العالم، وتكون الموجودات السفلية كلها عندهم منها، وهي ملك الفلك فتستحق التعظيم والسجود والتبخير والدعاء وهؤلاء يسمون «بالدينيكتية» أي عباد الشمس، من سنتهم أن اتخذوا لها صنما بيده جوهر على لون النار، وله بيت خاص بنوه باسمه، ووقفوا عليه ضياعا وقرباناً وله سدنة وقوام، فيأتون البيت ويصلون ثلاث مرّات في اليوم ويأتيه أصحاب العلل

---

(1) قوم كانوا يعبدون الكواكب أو الملائكة أو النجوم ويزعمون أنهم على ملة نوح وقبلتهم مهب ريح الشمال عند منتصف النهار، معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد، دار عالم الكتاب، ط: 1، 1429 هـ - 2008 م، ج: 2، ص: 1260.

(2) الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، (ب ط)، 1404هـ، ج: 2، ص: 257.

والأمراض فيصومون له ويصلون ويدعون ويستشفون به، وعند طلوع الشمس أو غروبها أو توسطت أي قبل الزوال سجدوا لها كلهم [1]، لذلك نهانا الرسول ﷺ عن الصلاة في هذه الأوقات مخالفة لهم في الحديث الذي رواه البخاري عَنْ نَافِعٍ، أَنَّ عَبْدَ الله ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ ﷺ **"يَنْهَى عِنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، وَعِنْدَ غُرُوبِهَا"**[2].

2- عبدة القمر:

زعموا أن القمر ملك من الملائكة يستحق التعظيم والعبادة، وإليه تدبير هذا العالم السفلي والأمور الجزئية فيه، ومنه نضج الأشياء المتكونة وإيصالها إلى كمالها، وبزيادته ونقصانه تعرف الأزمان والساعات، وهو تلو الشمس وقرينها ومنها نوره وبالنظر إليها تكون زيادته ونقصانه؛ وهؤلاء يسمون «الجندريكينية » أي: عبَّاد القمر [3].

قال ابن القيم[4] رحمه الله تعالى: «. . . . وطائفة أخري اتخذت للقمر صنماً وزعموا أنه يستحق التعظيم والعبادة وإليه تدبير هذا العالم السفلي ومن شريعة عباده أنهم اتخذوا لهم صنماً على شكل عجل ويجره أربعة وبيد الصنم جوهرة ويعبدونه ويسجدون له ويصومون له أياماً معلومة من كل شهر ثم يأتون إليه بالطعام والشراب والفرح والسرور، فإذا فرغوا من الأكل أخذوا في الرقص والغناء وأصوات المعازف بين يديه، ومنهم من يعبد أصناماً اتخذوها على

(1) ينظر: معارج القبول شرح علم الأصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تح، عمر بن محمود، دار ابن القيم، الدمام، ط: 1، 1410هـ، 1995م، ج: 2، ص: 471.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الحج، باب الطواف بعد الصبح والعصر، رقم 1549.

(3) الملل والنحل، محمد عبدالكريم الشهرستاني، ج2، ص: 257.

(4) هو: محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد بن حريز الزرعي الدمشقي شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبلي ولد سنة 691هـ، وأخذ العلم على علماء عصره من أبرزهم الصفي الهندي وابن تيمية، ومن مؤلفاته، تهذيب سنن أبي داود وإيضاح مشكلاته وسفر الهجرتين ومراحل السائرين والكلم الطيب وزاد المسافرين وزاد المعاد وإعلام الموقعين عن رب العالمين، وتوفي سنة 751هـ. ينظر: الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تح، محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد، الهند، ط: 2، 1392هـ-1972م، ج: 5، ص: 137.

صور الكواكب وروحانياتها بزعمهم وبنوا لها هياكل ومتعبدات لكل كوكب منها هيكل يخصه وصنم يخصه وعبادة تخصه»[1].

وهؤلاء سماهم الإمام الدهلوي بالنجامين لأنهم يعبدون النجوم ويزعمون أنها تستحق العبادة أن عبادتها تنفع في الدنيا.

ولكن الله ﷻ نهاهم عن ذلك وأمرهم بأن يسجدوا له ويعبدوه، لأن الشمس والقمر آية من آياته ومخلوقات من خلقه ولا يجوز أن يعبد المخلوق دون الخالق، قال تعالى: ﴿ وَمِنْ ءَايَـٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ ۚ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ﴾[2].

وذكر القرآن الكريم قوماً كانوا يعبدون الشمس أيضاً وهم قوم سبأ عند ما ذكر الهدهد ذلك لسليمان عليه السلام قال تعالى: ﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَـٰنُ أَعْمَـٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾[3] ولكن بعد ذلك هدى الله ملكتهم وآمنت بالله رب العالمين قال تعالى: ﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّى ظَلَمْتُ نَفْسِى وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَـٰنَ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾[4].

ثانياً: المشركون.

يقول الإمام الدهلوي: «إن المشركين وافقوا المسلمين في تدبير الأمور العظام وفيما أبرم وجزم ولم يترك لغيره خيرة، ولم يوافقوهم في سائر الأمور، المشركون ذهبوا إلى أن الصالحين

(1) معارج القبول شرح علم الوصول إلى علم الأصول، للحكمي، ج: 2، ص: 471.

(2) سورة فصلت، الآية: 37.

(3) سورة النمل، الآية: 24.

(4) سورة النمل، الآية: 44.

من قبلهم عبدوا الله وتقربوا إليه، فأعطاهم الله الألوهية فاستحقوا العبادة من سائر خلق الله»[1].

ويرى الدهلوي أن حقيقة الشرك هي اعتقاد الإنسان باتصاف البعض بصفات الكمال مما لم يعهد في جنس البشر بل يختص بالواجب جل مجده لا يوجد في غيره، إلا أن يخلع هو خلعة الألوهية على غيره أو يفنى غيره في ذاته، ويبقى بذاته [2].

والمرضى بهذا المرض على أصناف عدة، منهم من يعتقد أن الله هو المدبر وهو الخالق ولكن يجعلون له شريكاً في العبادة قال تعالى: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾[3] يعلمون أن الله هو الخالق ولكنهم اتخذوا واسطاً لعبادته مثلهم كمثل كفار قريش عندما قالوا ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾[4].

ومنهم من نسي الله ﷻ بالكلية فانصرفت عبادتهم إلى شركائهم بل تطورت الأمور عندهم حتى جعلوها آلهة، وهؤلاء مثل قوم نوح عليه السلام

قال تعالى: ﴿ وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾ وَقَدْ أَضَلُّوا۟ كَثِيرًا ۖ وَلَا تَزِدِ ٱلظَّٰلِمِينَ إِلَّا ضَلَٰلًا ﴿٢٤﴾ ﴾[5].

وهذه الأسماء معروفة عندهم بأسماء صالحين ولكنهم بمرور الزمن جعلوها آلهة يعبدونها من دون الله.

---

(1) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ، ص: 208.

(2) المرجع نفسه، ص: 212.

(3) سورة لقمان، الآية: 25.

(4) سورة الزمر، الآية: 3. .

(5) سورة نوح، الآية: 23 -24.

ثالثاً: النصارى.

والنصارى هم أمة عيسى ابن مريم -عليهما السلام- ولقد ذُكرت قصته في القرآن الكريم وكان ميلاده معجزة وآية من آيات الله ﷻ قال تعالى ﴿ وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا ١٦ فَٱتَّخَذَتۡ مِن دُونِهِمۡ حِجَابٗا فَأَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهَا رُوحَنَا فَتَمَثَّلَ لَهَا بَشَرٗا سَوِيّٗا ١٧ قَالَتۡ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحۡمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيّٗا ١٨ قَالَ إِنَّمَآ أَنَا۠ رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَٰمٗا زَكِيّٗا ١٩ قَالَتۡ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَٰمٞ وَلَمۡ يَمۡسَسۡنِي بَشَرٞ وَلَمۡ أَكُ بَغِيّٗا ٢٠ قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٞ وَلِنَجۡعَلَهُۥٓ ءَايَةٗ لِّلنَّاسِ وَرَحۡمَةٗ مِّنَّاۚ وَكَانَ أَمۡرٗا مَّقۡضِيّٗا ٢١ ﴾[1].

فالنصرانية الآن تقوم على الإيمان بالتثليث، فالله في معتقدهم جوهر واحد ذو ثلاثة أقانيم أحدها الأب والثاني الابن والثالث روح القدس، وأن المسيح قد صلب فداء عن الخليقة وأن يدين الأحياء والأموات [2].

وكانوا يعتقدون أن أقنوم الابن تدرع بروح عيسى أي كما أن جبريل عليه السلام يظهر في صورة الإنسان كذلك ظهر الابن في صورة روح عيسى عليه السلام، فعيسى إله وابن إله وبشر أيضاً في وقت واحد، وتجري عليه الأحكام البشرية والألوهية معاً.

وكانوا يتمسكون في إثبات هذه العقيدة ببعض نصوص الإنجيل التي أطلق فيها لفظ الابن على عيسى عليه السلام وكذلك يستدلون بالآيات التي نسب فيها عيسى عليه السلام بعض أفعال الله تعالى إلى نفسه[3].

ولكن الله ﷻ ردَّ على هذا المذهب الباطل وبين أن عيسى عبده ورسوله وروح منه نفخه في رحم السيدة مريم وأحاطه بعنايته الخاصة قال تعالى: ﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ لَا تَغۡلُواْ فِي دِينِكُمۡ وَلَا تَقُولُواْ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡحَقَّۚ إِنَّمَا ٱلۡمَسِيحُ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ وَكَلِمَتُهُۥٓ

(1) سورة مريم، الآية: 16 - 21.

(2) ينظر: المسيحية، أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية، ط: 10، 2000م، ص: 116.

(3) الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام الدهلوي ص36ـ37، نقلاً عن الاصحاح الثامن من إنجيل متى.

أَلْقَىٰهَآ إِلَىٰ مَرْيَمَ وَرُوحٌ مِّنْهُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ۖ وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ ۚ ٱنتَهُوا۟ خَيْرًا لَّكُمْ ۚ إِنَّمَا ٱللَّهُ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ سُبْحَٰنَهُۥٓ أَن يَكُونَ لَهُۥ وَلَدٌ ۘ لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿١٧١﴾ [1].

وقال تعالى: ﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۖ وَأُمُّهُۥ صِدِّيقَةٌ ۖ كَانَا يَأْكُلَانِ ٱلطَّعَامَ ۗ ٱنظُرْ كَيْفَ نُبَيِّنُ لَهُمُ ٱلْءَايَٰتِ ثُمَّ ٱنظُرْ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٧٥﴾ [2].

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٥٩﴾ [3].

أما استدلالهم بنصوص الإنجيل على تقدير صحة نصوص الإنجيل وأنه ليس فيها تحريف أن لفظ «الابن» في العهد القديم كان مستعملاً بمعنى المحبوب والمقرّب والمجتبى كما تدل عليه كثير من القرائن في الإنجيل[4].

وفي هذا يقول الإمام الدهلوي: «النصارى ذهبوا إلى أن المسيح عليه السلام قريب من الله، علوا على الخلق فلا ينبغي أن يُسمى عبدا، فيسوى بغيره؛ لأنَّ هذا سوء أدب معه، وإهمال لقربه من الله، ثم قال بعضهم عند تلك الخصوصية إلى تسميته ابن الله؛ نظرا إلى أن الأب يرحم الابن، ويربيه على عينيه، وهو فوق العبيد فهذا الاسم أولى به، وبعضهم ذهب إلى تسميته بإله، نظرا إلى أن الواجب حلَّ فيه، صار داخله ولهذا يصدر منه آثار لم تعهد من البشر مثل إحياء الأموات وخلق الطير، فكلامه كلام الله وعبادته هي عبادة الله»[5].

---

(1) سورة النساء، الآية: 171.

(2) سورة المائدة، ا لآية: 75.

(3) سورة آل عمران، الآية، 59.

(4) ينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام الدهلوي، تعريب سليمان الندوي، ص: 37.

(5) حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، السيد سابق، ج: 1، ص: 116.

فخلف من بعدهم خلف لم يفطنوا لوجه التسمية وجعلوا البنوة حقيقة، أو يزعمون أنه الواجب من جميع الوجوه ولذلك رد الله تعالى تارة بأنه لا ولد له ولا صاحبة بقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٞ وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٞۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَيۡءٖۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٞ ١٠١ ﴾[1].

وتارة بأنه إذا قضى أمرا فإنه يقول له كن فيكون بقوله تعالى: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرٗا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ١١٧ ﴾[2].

ويعتقدون أيضا بالجزم بأن عيسى عليه السلام قد قُتل مع أن الواقع خلاف ذلك وهو شُبِّه لهم كما ذكر القرآن الكريم، والتبس عليهم الأمر فظنوا رفعه إلى السماء قتيلا ورووا هذا الخطأ كابراً عن كابر فكشف الله سبحانه وتعالى عن حقيقة الأمر بقوله تعالى: ﴿ وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧ بَل رَّفَعَهُ ٱللَّهُ إِلَيۡهِۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمٗا ١٥٨ ﴾[3].

وأما ما ذكر في الإنجيل من قتل عيسى عليه السلام فمعناه: أن الإخبار بجرأة اليهود وإقدامهم على قتله؛ ولكن الله تعالى أنجاه من هذه المهلكة.

وأما كلام الحواريين فإنه ناشئ عن اشتباه الأمر، وعدم وقوفهم على حقيقة الرفع الذي لم يكن مألوفا لعقولهم ولا لأسماعهم[4].

وهذه الطوائف لها دعاوى عريضة وخرافات كثيرة لا تخفى على المتتبع والباحث في دراستها؛ لكن القرآن الكريم ردَّ عن شبهاتهم وخرافاتهم رداً مشبعاً لم يترك للعقل فيه مجال.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 101.

(2) سورة البقرة، الآية: 117،

(3)سورة النساء: الآية: 157- 158.

(4) الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام الدهلوي، تعريب سليمان الندوي، ص: 38-39.

المطلب الثالث: صور من المعتقدات الشركية وإبطالها.

يشير الإمام الدهلوي إلى ثماني صور من مظاهر الشرك كانت في الجاهلية وحرّمت في الإسلام وبعض منها موجودة إلى الآن في ديار الإسلام وخاصة في بلاد الهند.

وأشار يقوله: نحن نريد أن ننبهك على أمور جعلها الله تعالى في الشريعة المحمدية على صاحبها الصلوات والتسليمات مظنات الشرك فنهى عنها، وهي:

1- السجود لغير الله.

لقد أمرنا الله تعالى بالسجود والعبادة له في كثير من الآيات منها قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾[1]، وقوله تعالى: ﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴾[2].

والإشراك في السجود كان متلازما للإشراك في التدبير، وليس الأمر كما يظن بعض المتكلمين من أن توحيد العبادة حكم من أحكام الله تعالى مما يختلف باختلاف الأديان لا يطلب بدليل برهاني كيف ولو كان كذلك لم يلزمهم الله تعالى بتفرده بالتخليق والتدبير[3].

كما قال تعالى: ﴿ قُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَىٰٓۗ ءَآللَّهُ خَيۡرٌ أَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ ٱلۡأَرۡضَ قَرَارٗا وَجَعَلَ خِلَٰلَهَآ أَنۡهَٰرٗا وَجَعَلَ لَهَا رَوَٰسِيَ وَجَعَلَ بَيۡنَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ حَاجِزًاۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ ٱلۡمُضۡطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكۡشِفُ ٱلسُّوٓءَ وَيَجۡعَلُكُمۡ خُلَفَآءَ ٱلۡأَرۡضِۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ قَلِيلٗا مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهۡدِيكُمۡ فِي ظُلُمَٰتِ ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ وَمَن يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا

(1) سورة الحج، الآية: 77.

(2) سورة النجم: الآية: 62.

(3) الدهلوي وآراؤه الكلامية، وفاء العمري، ص: 93.

بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِۦٓ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ تَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾ أَمَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ أَءِلَٰهٌ مَّعَ ٱللَّهِ ۚ قُلْ هَاتُوا۟ بُرْهَٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾[1].

ولقد نهى النبي ﷺ معاذا لما قدم من الشام وسجد للنبي ﷺ عَنْ عَبْدِ الله بْنِ أَبِى أَوْفَى قَالَ: لَمَّا قَدِمَ مُعَاذٌ مِنَ الشَّامِ سَجَدَ لِلنَّبِيِّ ﷺ قَالَ «**مَا هَذَا يَا مُعَاذُ**».

قَالَ أَتَيْتُ الشَّامَ فَوَافَقْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لأَسَاقِفَتِهِمْ وَبَطَارِقَتِهِمْ فَوَدِدْتُ فِي نَفْسِي أَنْ نَفْعَلَ ذَلِكَ بِكَ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **"فَلاَ تَفْعَلُوا فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِغَيْرِ الله لأَمَرْتُ الْمَرْأَةَ أَنْ تَسْجُدَ لِزَوْجِهَا وَالَّذِى نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لاَ تُؤَدِّى الْمَرْأَةُ حَقَّ رَبِّهَا حَتَّى تُؤَدِّىَ حَقَّ زَوْجِهَا وَلَوْ سَأَلَهَا نَفْسَهَا وَهِىَ عَلَى قَتَبٍ لَمْ تَمْنَعْهُ"**[2].

وفي حديث آخر، عَنْ قَيْسِ بْنِ سَعْدٍ، قَالَ: أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَقُلْتُ: رَسُولُ الله أَحَقُّ أَنْ يُسْجَدَ لَهُ، قَالَ: فَأَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ، فَقُلْتُ: إِنِّي أَتَيْتُ الْحِيرَةَ فَرَأَيْتُهُمْ يَسْجُدُونَ لِمَرْزُبَانٍ لَهُمْ فَأَنْتَ يَا رَسُولَ الله أَحَقُّ أَنْ نَسْجُدَ لَكَ، قَالَ: **"أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي أَكُنْتَ تَسْجُدُ لَهُ؟ » قَالَ: قُلْتُ: لَا، قَالَ: «فَلَا تَفْعَلُوا، لَوْ كُنْتُ آمِرًا أَحَدًا أَنْ يَسْجُدَ لِأَحَدٍ لَأَمَرْتُ النِّسَاءَ أَنْ يَسْجُدْنَ لِأَزْوَاجِهِنَّ لِمَا جَعَلَ الله لَهُمْ عَلَيْهِنَّ مِنَ الْحَقِّ "**[3].

ويقول الشيخ عبد الأحد السرهندي[4] في النهي عن سجدة التحية للسلاطين والأمراء والملوك: « إنه لا يليق بالسلاطين العظام إلا التواضع أمام ربهم ﷻ والنظر إلى عجزهم

(1) سورة النمل، الآية، 59 ـ 64.

(2) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب النكاح، باب حق الزوج على المرأة، رقم 1853، قال السندي: إسناده صحيح.

(3) أخرجه أبو داود في سننه، كتاب النكاح، باب في حق الزوج على المرأة، رقم 2140. وصححه الذهبي في التلخيص.

(4) هو: الشيخ أحمد بن عبد الأحد بن زين العابدين، ولد بسرهند سنة إحدى وسبعين وتسعمائة، وأخذ أكثر العلوم عن أبيه، واستفاد ببعض العلوم العقلية عن الشيخ كمال الدين الكشميري، وأسند الحديث عن الشيخ يعقوب بن الحسن الصرفي الكشميري الذي أخذ عن الشيخ شهاب ابن حجر الهيتمي المكي، ومن مؤلفاته: =

وضعفهم، وأن لا يسمحوا أبدا بهذا الذل، وعناية الخضوع إلا لله تعالى وقد سخر الله لهم البلاد وأحوج لهم العباد، فعليهم أن يشكروا هذه النعمة الجسيمة ويخضعوا هذا النوع من الخضوع والذل والاستكانة لحضرة ذي الجلال والجبروت، ولا يجوز الإشراك به في ذلك وإن كانت طائفة من الفقهاء رأت جواز ذلك، ولكن ينبغي لهؤلاء السلاطين بتحليهم بالتواضع والأدب أن لا يبيحوا ذلك لأحد»[1] وذلك لقوله تعالى: ﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴿٦٠﴾ ﴾[2].

وهذا السجود أي سجود التحية كان شرعاً في الشرائع السابقة والله ﷻ أمر الملائكة بالسجود لأدم قال تعالى: ﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ فَسَجَدُوٓاْ إِلَّآ إِبۡلِيسَ أَبَىٰ ﴿١١٦﴾ ﴾[3].

وسجد يعقوب لابنه يوسف عليهم السلام قال تعالى: ﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدٗا ﴾[4]، ولكن في شريعتنا الإسلامية نهانا النبي ﷺ عندما نهى معاذ بن جبل وقيس بن سعد أن يسجدوا له في الأحاديث السابقة هذا للنبي ﷺ وهو أفضل الخلق على وجه الأرض نهى عن السجود له فما بالك عن عامة الخلق.

=الرسالة التهليلية ورسالة في إثبات النبوة ورسالة في المبدأ والمعاد، ، ورسالة في المعارف اللدنية، ورسالة في الرد على الشيعة، وتوفي سنة أربع وثلاثين وألف. ينظر: االإعلام بمن في تاريخ الهند، الشريف عبد الحي، ج: 5، ص: 473.

(1) رجال الفكر والدعوة (السرهندي) أبو الحسن الندوي، ج: 3، ص: 229.

(2) سورة الرحمن الآية: 60.

(3) سورة طه: الآية 116.

(4) سورة يوسف الآية: 100.

2- الاستعانة بغير الله في قضاء الحوائج.

ومن صور الشرك أيضاً استعانة بعض الناس بغير الله في قضاء حوائجهم من شفاء المريض، وغنى الفقير، وينذرون لهم، ويتوقعون نجاح مقاصدهم بتلك النذور ويتلون أسماءهم رجاء بركتها.

والله ﷻ أمرنا أن تكون جميع أعمالنا خالصة لوجه الكريم قال تعالى: ﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾[1] وأوجب علينا أن نقول في جميع صلواتنا إياك نعبد وإياك نستعين.

يقول الإمام الدهلوي وليس المراد من الدعاء العبادة كما قال بعض المفسرين، بل هو الاستعانة لقوله تعالى: ﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَاءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴿٤١﴾ ﴾[2][3].

والرسول ﷺ قال لابن عباس أعلمك كلمات من بينها الاستعانة بالله، عن ابن عباس قال: **كُنْتُ خَلْفَ رَسُولِ الله ﷺ يَوْمًا، فَقَالَ: "يَا غُلاَمُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ، احْفَظِ الله يَحْفَظْكَ، احْفَظِ الله تَجِدْهُ تُجَاهَكَ، إِذَا سَأَلْتَ فَاسْأَلِ الله، وَإِذَا اسْتَعَنْتَ فَاسْتَعِنْ بِالله، وَاعْلَمْ أَنَّ الأُمَّةَ لَوْ اجْتَمَعَتْ عَلَى أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَنْفَعُوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله لَكَ، وَلَوْ اجْتَمَعُوا عَلَى أَنْ يَضُرُّوكَ بِشَيْءٍ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلاَّ بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ الله عَلَيْكَ، رُفِعَتِ الأَقْلاَمُ وَجَفَّتْ الصُّحُفُ"**[4].

ولعل الإمام الدهلوي نظر إلى هذا الحديث؛ لأنه يشتمل على السؤال وهو الدعاء لله تعالى والاستعانة بالله لكشف الضر.

---

(1) سورة الأنعام الآية: 162 - 163.

(2) سورة الأنعام، الآية: 41.

(3) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ، ص: 219.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب الطب، باب قول لحنظلة ساعة بساعة، رقم 2516، وقال حديث حسن صحيح.

3-كانوا يسمون بعض شركائهم بنات الله وأبناء الله قال تعالى: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا وَإِن يَدْعُونَ إِلَّا شَيْطَٰنًا مَّرِيدًا ﴿١١٧﴾ لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنْ عِبَادِكَ نَصِيبًا مَّفْرُوضًا ﴿١١٨﴾ وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ ٱللَّهِ ۚ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيْطَٰنَ وَلِيًّا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدْ خَسِرَ خُسْرَانًا مُّبِينًا ﴿١١٩﴾ يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ ۖ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿١٢٠﴾ ﴾[1].

أي يدعون من دون الله أوثاناً صوروها وقالوا إنها تشبه الملائكة التي يزعمونها بنات الله لذلك عبدوها وسموها بأسماء الإناث مثل اللات والعزى ومناة وغيرها، والذي أمرهم بذلك هو الشيطان لعنه الله عندما حسَّن لهم ذلك وزينه في أعينهم، فكانت طاعتهم له عبادة[2].

والله ﷻ أبطل ذلك وبينه بياناً كافياً شافياً في سورة الإخلاص أنه سبحانه لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفؤا أحد ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾ ﴾[3].

4- اتخاذ الأحبار أرباباً من دون الله.

بمعنى أنهم كانوا يعتقدون أن ما أحله هؤلاء الأرباب حلال ولابأس به في نفس الأمر، وأن ما حرمه حرام يؤاخذون عليه في نفس الأمر؛ عَنْ عَدِيِّ بْنِ حَاتِمٍ، قَالَ: **"أَتَيْتُ النَّبِيَّ ﷺ وَفِي عُنُقِي صَلِيبٌ مِنْ ذَهَبٍ، فَقَالَ: يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ هَذَا الوَثَنَ، وَسَمِعْتُهُ يَقْرَأُ فِي سُورَةِ بَرَاءَةٌ: ﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ﴾**[4]، قَالَ: أَمَا إِنَّهُمْ لَمْ

(1) سورة النساء الآية: 117 -120.

(2) ينظر: الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، جمع وإعداد علي بن نايف الشحود، دار المعمور بهائج ماليزيا، ط: 1، 1432هـ- 2010م، ص: 128.

(3) سورة الإخلاص الآية: 1-4.

(4) سورة التوبة الآية: 31.

يَكُونُوا يَعْبُدُونَهُمْ، وَلَكِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا أَحَلُّوا لَهُمْ شَيْئًا اسْتَحَلُّوهُ، وَإِذَا حَرَّمُوا عَلَيْهِمْ شَيْئًا حَرَّمُوهُ"[1].

وسر ذلك أن التحليل والتحريم عبارة عن تكوين نافذ في الملكوت «أي قانون» أن الشيء الفلاني يؤاخذ به، أو لا يؤاخذ به فيكون هذا التكوين سبباً للمؤاخذة وتركها وهذا من صفات الله تعالى.

أما نسبة التحليل والتحريم إلى النبي ﷺ فبمعنى أن قوله أمارة قطعية لتحليل الله وتحريمه وأما نسبتها إلى المجتهدين من أمته فبمعنى روايتهم ذلك عن الشرع من نص الشارع أو استنباط معنى من كلامه.

والله تعالى إذا بعث رسولاً وثبت رسالته بالمعجزة، وأحل على لسانه بعض ما كان حراما عندهم، ووجد بعض الناس في نفسه امتناعاً عنه، وبقي في نفسه ميل إلى حرمته لما وجد في ملته من تحريمه فهذا على وجهين:

1- إن كان لتردد في ثبوت هذه الشريعة، فهو كافر بالنبي.

2- وإن كان لاعتقاد وقوع التحريم الأول تحريماً لا يحتمل النسخ لأجل أنه تبارك وتعالى خلع على عبد خلعة الألوهية، أو صار فانياً في الله باقياً به، فصار نهيه عن فعل أو كراهيته له مستوجباً لحرم في ماله وأهله، فذلك مشرك بالله تعالى، مثبت لغيره غضباً وسخطاً مقدسين وتحليلاً وتحريماً مقدسين. [2].

5- التقرب إلى الأصنام والنجوم بالذبح.

أي أنهم كانوا يتقربون إلى الأصنام والنجوم بالذبح لأجلهم، إما بالإهلال عن الذبائح بأسمائهم وإما بالذبح على الأنصاب المخصوصة لهم فنهاهم الله عن ذلك

6- الحلف بالأسماء المباركة المعظمة في معتقدهم.

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب تفسير القرآن، باب سورة التوبة، ، رقم 3095، وقال حديث غريب.

(2) ينظر: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، ج1 ص: 220.

كانوا يعتقدون في أناس أن أسماءهم مباركة معظمة وأن الحلف بها على الكذب يستوجب النقصان في المال والأهل لذلك كانوا يستحلفون خصماءهم بتلك الأسماء، فنهوا عن ذلك.

يقول الرسول ﷺ: **"مَنْ كَانَ حَالِفًا، فَلْيَحْلِفْ بِاللهِ أَوْ لِيَصْمُتْ"**[1].

وفي حديث آخر عن عُبَيْدَةَ، أَنَّ ابْنَ عُمَرَ سَمِعَ رَجُلاً يَقُولُ: لاَ وَالكَعْبَةِ، فَقَالَ ابْنُ عُمَرَ: لاَ يُحْلَفُ بِغَيْرِ اللهِ، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ يَقُولُ: **"مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ اللهِ فَقَدْ كَفَرَ أَوْ أَشْرَكَ"**[2].

يقول الإمام الدهلوي: وقد فسَّره بعض المحدثين على معنى التغليظ والتهديد، ولا أقول بذلك، إنما المراد عندي اليمين المنعقدة واليمين الغموس باسم غير الله تعالى باعتقاد ما ذكرنا[3].

7- الحج لغير الله تعالى.

أي أنهم يقصدون مواضع متبركة مختصة بشركائهم، ويكون الحلول بها تقرباً من هؤلاء، فنهى الشرع عن ذلك بقول النبي ﷺ: **"لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ إِلَّا إِلَى ثَلاَثَةِ مَسَاجِدَ: المَسْجِدِ الحَرَامِ، وَمَسْجِدِ الرَّسُولِ ﷺ، وَمَسْجِدِ الأَقْصَى"**[4].

8- تسمية الأبناء عبد العزى وعبد شمس ونحوهما.

يقول الإمام الدهلوي أنهم كانوا يسمون أبناءهم عبد العزى وعبد شمس ونحوهما، فقال تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ۖ فَلَمَّا تَغَشَّىٰهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ۖ فَلَمَّآ أَثْقَلَت دَّعَوَا ٱللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ ءَاتَيْتَنَا صَٰلِحًا لَّنَكُونَنَّ مِنَ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب فضل الصحابة، باب أيام الجاهلية، رقم 2533.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، أبواب النذور والأيمان، باب ما جاء في كراهية الحلف بغير الله، ، رقم 1535، وقال حديث حسن.

(3) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح سعيد أحمد بن يوسف، ج1، ص221

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الصوم، باب صوم يوم النحر، رقم 1995.

ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿١٨٩﴾ فَلَمَّآ ءَاتَىٰهُمَا صَٰلِحًا جَعَلَا لَهُۥ شُرَكَآءَ فِيمَآ ءَاتَىٰهُمَا ۚ فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿١٩٠﴾﴾[1].

ووصف الدهلوي هذه الصور بأنها أشباح وقوالب أي صور وهيئات للشرك وقد سبق أن ذكرنا أن للعبادة جوهراً وهيئة عند الدهلوي، فجوهرها هو أقصى التذلل بصورتها وهي السجود والركوع وما يتبع ذلك من صور الخضوع والتعظيم لا تنبغي إلا لله ﷻ[2].

ويصف الدهلوي أيضاً الشرك بأنه مرض قد أصاب جمهور اليهود والنصارى والمشركين وبعض الغلاة من المنافقين المسلمين وهم على أصناف؛ فمنهم من نسي تعظيم الله وجلاله بالكلية فجعل لا يعبد إلا غير الله من الشركاء، ولا يرفع حاجته إلا إليهم فلا يذكر الله تعالى ولا يتوجه إليه بالدعاء ولا يرفع إليه حاجة وإن كان يعلم بيقين ذاته، ويعلم أن الله هو الخالق لهذا الكون وهو المدبر ولكن يعتقدون أن لشركائهم بعض التصرف في الأمور التي هي من صفات الله تعالى فمن هنا تأتي تسمية لعبد المسيح وعبد العزى[3]تعالى الله عما يقولون علواً كبيرا يقول الله تعالى: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَى ٱلْبَٰطِلِ فَيَدْمَغُهُۥ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ۚ وَلَكُمُ ٱلْوَيْلُ مِمَّا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾[4].

(1) سورة الأعراف الآية: 189 – 190.

(2) ينظر: الدهلوي وآراؤه الفلسفية، وفاء العمري، ص: 97.

(3) ينظر: الدهلوي وآراؤه الفلسفية، وفاء العمري، ص: 98، وحجة الله البالغة، تح سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص: 222.

(4) سورة الأنبياء: الآية 18.

المبحث الثاني

الإصلاح الفقهي

المطلب الأول: أسباب اختلاف الصحابة في الفروع.

يقول الإمام الدهلوي: اعلم أن رسول الله ﷺ لم يكن الفقه في زمانه الشريف مدوناً ولم يكن البحث في الأحكام يومئذ مثل بحث هؤلاء الفقهاء حيث يبينون بأقصى جهدهم الأركان والشروط والآداب كل شيء متميز عن الآخر بدليله ويفرضون الصور من صنائعهم ويتكلمون على تلك الصور المفروضة ويحدون ما يقبل الحد ويحصرون ما يقبل الحصر إلى غير ذلك[1].

أما في عهد الرسول ﷺ فكان يتوضأ فيرى أصحابه وضوءه فيأخذون به من غير أن يبين أن هذا ركن وذلك أدب، وكان يصلي فيرون صلاته فيصلون كما رأوه يصلي، وهذا كان غالب حاله ﷺ ولم يبين أن فروض الوضوء ستة أو أربعة، وقلَّما كان الصحابة يسألونه عن هذه الأشياء[2] يقول ابْنِ عَبَّاسٍ: «**مَا رَأَيْتُ قَوْماً كَانُوا خَيْراً مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ مَا سَأَلُوهُ إِلاَّ عَنْ ثَلاَثَ عَشَرَةَ مَسْأَلَةً حَتَّى قُبِضَ، كُلُّهُنَّ فِي الْقُرْآنِ مِنْهُنَّ: ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ ﴾، ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾، قَالَ: مَا كَانُوا يَسْأَلُونَ إِلاَّ عَمَّا يَنْفَعُهُمْ**»[3].

عَنْ عُمَيْرِ بْنِ إِسْحَاقَ قَالَ: "**أَدْرَكْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله ﷺ أَكْثَرَ مِمَّنْ سَبَقَنِي مِنْهُمْ، فَمَا رَأَيْتُ قَوْماً أَيْسَرَ سِيرَةً وَلاَ أَقَلَّ تَشْدِيداً مِنْهُمْ**"[4].

---

(1) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح أحمد راتب، راجعه عبدالفتاح أبو غدة، دار النفائس، ط: 1، 1431هـ، ص: 15.

(2) ينظر: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح سعيد أحمد بن يوسف، ج1 ص470.

(3) رواه الدارمي في مسنده، كتاب العلم، باب كراهية الفتيا، رقم 127. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد، ج: 1، ص: 65: ((فيه عطاء بن السائب وهو ثقة ولكنه اختلط وبقية رجاله ثقات)).

(4) المرجع نفسه، كتاب العلم باب كراية الفتيا، رقم128. قال المحقق حسين سليم أسد الداراني، إسناده جيد.

وبالجملة كان تشريع الرسول ﷺ يجيب على كل مسألة يسأل عنها فرأى كل صحابي ما يسره الله له من عبادته وفتواه وأقضيته فحفظها وعقلها، فأحاط بها القرائن فحمل بعضها على الإباحة، وبعضها على الاستحباب، وبعضها على النسخ، وانقضى عصره ﷺ وهم على ذلك، ثم بعد ذلك تفرقوا رضوان الله عليهم في الأمصار وصار كل واحد منهم قدوة للناس فكثرت الوقائع والمسائل، فاستفتوا فيها، فأجاب كل واحد منهم حسب ما حفظه واستنبطه وإن لم يجد اجتهد برأيه وعرف العلة التي أدار رسول الله ﷺ عليها الحكم في منصوصاته وجعل الحكم عاماً، فعند ذلك وقع الاختلاف بينهم[1].

هناك أمور تجزم اختلاف الصحابة رضوان الله عليهم بعد وفاته، ﷺ، ولقد اختلفوا في دفنه ﷺ، واختلفوا في من يخلفه، واختلفوا حول قتال مانعي الزكاة واختلفوا حول أرض فدك، وأرض السواد، وفي جمع القرآن، واختلفوا بعد مقتل عثمان ﷺ، كما اختلفوا حول قضايا تشريعية كثيرة. . . واختلف التابعون، ومن بعدهم من العلماء وأئمة المذاهب. . . ولا تزال هذه السنة ماضية فينا وفي من يأتي بعدنا إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها [2].

وهناك عدة أسباب لهذا الاختلاف منها:

أولاً: الأسباب المتعلقة بفهم القرآن الكريم.

وتشتمل على الاختلاف بسبب ما يأتي:

1 - وجود النصوص الظنية.

ويظهر ذلك في الألفاظ الظنية المحتملة لأكثر من معنى أو ذات الدلالة المشتركة، التي يصعب الجزم بتبين المراد منها، فيظهر من هنا الاختلاف حولها، ومثال ذلك: قول الله تعالى:

---

(1) ينظر: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص: 472

(2) ينظر: محاضرات في أدب الحوار، د. أحمد بو سجادة، ألقيت على طلبة الدراسات العليا الجامعة الأسمرية، ليبيا، 2009 - 2010م، ص: 8.

﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾ [1] فلفظة قروء تطلق ويراد بها الحيض، وتطلق ويراد بها الطهر، كما تحتمل إرادة المعنيين معا قال أبو عمرو بن العلاء: من العرب من يسمي الحيض قرءًا، ومنهم من يسمي الطهر قرءًا، ومنهم من يجمعهما جميعاً فيسمي الطهر مع الحيض قرءًا. . . »[2].

ونظرًا لاحتمال لفظة القروء، لأكثر من معنى فقد اختلف الصحابة في الفهم لهذا اللفظ وترتبت على هذا الاختلاف أحكام شرعية، فذهبت عائشة وابن عمر وزيد بن ثابت ﷺ إلى أن المراد بالأقراء هي: الأطهار، وذهب أبوبكر وعمر وعلي وعثمان وجمهرة من الصحابة إلى أن الأقراء هي الحيض[3].

2 - الحقيقة والمجاز.

اختلف الصحابة حول آيات عديدة في القرآن، في حملها على الحقيقة أو المجاز، فحملها بعضهم على الحقيقة والبعض الآخر على المجاز ومثال ذلك.

قول الله تعالى: ﴿ وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُوا۟ مَآءً فَتَيَمَّمُوا۟ صَعِيدًا طَيِّبًا ﴾ [4].

حيث اختلف في المراد من قوله تعالى: ﴿ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ ﴾ فإن العرب تطلق اسم اللمس مرة على اللمس باليد أي: اللمس العادي ومرة تكنى به عن الجماع. . . . . فذهب قوم منهم – ابن مسعود وابن عمر وعبيدة – إلى أن المراد من اللمس حقيقة الملامسة، وهي المس باليد.

---

(1) سورة البقرة، الآية: : 228.

(2) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط: 2، 1384هـ- 1964م، ج: 3، ص: 113

(3) ينظر: المرجع نفسه، ج: 18، ص: 153.

(4) سورة النساء، الآية: 43.

وذهب آخرون - ومنهم علي وابن عباس والحسن إلى أن اللمس هنا (مجاز) وهو كناية عن الجماع[1].

3- تعارض ظواهر النص:

قد تتعارض بعض ظواهر الآيات القرآنية، فيختلف الصحابة في الجمع بين ظواهرها والتوفيق بين معانيها، أو في ترجيح بعضها على بعض، مما ينتج عنه اختلاف في الأحكام الفقهية ومثال ذلك.

اختلاف الصحابة ﷺ حول عدة المتوفى عنها زوجها، هل تعتد بوضع الحمل أو تعتد بأبعد الأجلين، فابن عباس وعلي - رضي الله عنهما- يريان أنها تعتد بأبعد الأجلين، جمعا بين الآيتين: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا ﴾[2] وآية ﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ﴾[3]، وذهب عمر وابن مسعود إلى أنها تعتد بوضع الحمل، عملا بآية الطلاق؛ لأنها مخصصة[4].

ثانياً: اختلافهم حول فهم السنة.

أسباب اختلاف الصحابة حول فهم السنة كثيرة منها:

1- أن يبلغه الحديث ولكن لا على الوجه الذي يقع به غالب الظن فلم يترك اجتهاده بل طعن في الحديث.

مثاله: أن فاطمة بنت قيس شهدت عند عمر بن الخطاب بأنها كانت مطلقة الثلاث فلم يجعل لها رسول الله ﷺ نفقة ولا سكنى فرد عمر شهادتها وقال لا نترك كتاب الله بقول امرأة لا

(1) أثر الخلاف الفقهي في القواعد المختلف فيها، د. محمود إسماعيل مشعل، دار السلام، ط: 1، 2007، ص: 101.

(2) سورة البقرة، الآية: 234

(3) سورة الطلاق، الآية: 4.

(4) محاضرات في أدب الحوار، د. أحمد بو سجادة، ص: 5.

ندري أحفظت أم نسيت لها النفقة والسكنى، وقالت عائشة رضي الله عنها: يا فاطمة ألا تتقي الله، يعني في قولها لا سكنى ولا نفقة[1].

2- الشك في ثبوت الحديث.

ومثاله: اختلافهم في ثبوت الشفعة للشريك.

فالذين يرون أن الشفعة تكون للجار فقط احتجّوا بحديثين ثابتين بالنسبة إليهما. فالحديث الأول: هو حديث جابر بن عبد الله – رضي الله عنهما – قال: **"قَضَى رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالشُّفْعَةِ فِي كُلِّ مَا لَمْ يُقْسَمْ، فَإِذَا وَقَعَتِ الْحُدُودُ، وَصُرِّفَتْ الطُّرُقُ فَلاَ شُفْعَةَ"**[2].

وحديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إِذَا قُسِّمَتِ الْأَرْضُ وَحُدَّتْ، فَلَا شُفْعَةَ فِيهَا"**[3].

والحديثان صريحان في ثبوت الشفعة للشّريك دون الجار.

3ــ أن لا يصل إليه الحديث أصلاً.

مثاله: ما أخرج مسلم أن ابن عمر كان يأمر النساء إذا اغتسلن أن ينقضن رؤوسهن، فسمعت عائشة رضي الله عنها بذلك فقالت: **"يا عجباً لابن عمر هذا، يأمر النساء أن ينقضن رؤوسهن! ، أفلا يأمرهن أن يحلقن رؤوسهن! ، لقد كنت أغتسل أنا ورسول الله ﷺ من إناء واحد وما أزيد على أن افرغ على رأسي ثلاث إفراغات"**[4].

4-مِنْهَا اخْتِلَاف الضَّبْط.

مِثَاله مَا روى ابْن عمر - أَو عمر - عَنهُ ﷺ: **"من أَن الْمَيِّت يعذب ببكاء أَهله عَلَيْهِ"**، فقضت عَائِشَة عَلَيْهِ بِأَنَّهُ لم يَأْخُذ الحَدِيث على وَجهه، مر رَسُول الله ﷺ على يَهُودِيَّة يبكي عَلَيْهَا

(1) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح أحمد راتب، ص: 23.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب البيوع، باب بيع الشريك من شريكه، حديث رقم: 2214.

(3) أخرجه أبو داوود في سننه، كتاب البيوع، باب في الشفعة، حديث رقم: 3515. وقال الصنعاني رجاله ثقات.

(4) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح أحمد راتب، ص: 25.

أَهلهَا فَقَالَ: **"إِنَّهُم يَبْكُونَ عَلَيْهَا وَأَنَّهَا تُعذب فِي قبرها"**[1] فَظن الْعَذَاب معلولاً للبكاء، فَظن الحكم عَاماً على كل ميت[2].

❋❋❋

(1) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الجنائز، باب ما جاء في الميت يعذب بما نيح عليه، حديث رقم: 1595.

(2) حجة الله البالغة ولي الله الدهلوي، تح سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص: 475.

المطلب الثاني: أسباب اختلاف الفقهاء.

اعلم أن الله تعالى أنشأ بعد عصر الصحابة نشأ من حملة العلم، إنجازاً لما وعده الرسول ﷺ حيث قال: **"يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ مِنْ كُلِّ خَلَفٍ عُدُولُهُ، يَنْفُونَ عَنْهُ تَحْرِيفَ الْغَالِينَ، وَانْتِحَالَ الْمُبْطِلِينَ وَتَأْوِيلَ الْجَاهِلِينَ"**[1].

فأخذوا عمن اجتمعوا معه منهم صفة الوضوء والغسل والصلاة والحج والنكاح والبيوع وسائر ما يكثر وقوعه، ورووا عنهم حديث النبي ﷺ وسمعوا من القضاة قضايا عدة، وسألوا عن المسائل واجتهدوا في ذلك حتى صاروا كبراء قوم ووُسد إليهم الأمر فنسجوا على منوال شيوخهم ولكنهم اختلفوا اختلافا محموداً الذي دفعت إليه حاجة التشريع والمصالح العامة للمسلمين، وابتعدوا عن الاختلاف المذموم[2].

وهناك عدة أسباب جعلتهم يختلفون منها:

أولاً: اختلاف القراءات.

كثير من الآيات التي وردت عن الرسول ﷺ بقراءات متواترة مختلفة والاختلاف في القراءة يؤدي في كثير من الأحيان إلى الاختلاف في الحكم المستنبط، ومثال ذلك:

قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ

(1) أخرجه الطبراني في "مسند الشاميين"، حديث رقم: 599، ج: 1، ص: 344، والبيهقي في السنن الكبرى، حديث رقم: 21439، ج: 10، ص: 209، والخطيب في "الجامع لأخلاق الراوي"، ج: 1، ص: 128، كلهم من حديث أبي هريرة ﷺ، إلا البيهقي فقد رواه عن إبراهيم بن عبد الرحمن العذري مرسلاً، والحديث مختلف فيه بين العلماء؛ فمنهم من صححه كالإمام أحمد، ومنهم من ضعفه، والراجح -كما قال العراقي- أن أسانيده كلها ضعيفة لا يثبت منها شيء. ينظر تفصيل ذلك: في "نصب الراية"، للزيلعي، ج: 1، ص: 258 - 259، و"التقييد والإيضاح للعراقي، ص: 121، وتدريب الراوي، للسيوطي، ص262-263.

(2) ينظر: الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح: أحمد راتب، ص: 31.

إِلَى ٱلْمَرَافِقِ وَٱمْسَحُواْ بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى ٱلْكَعْبَيْنِ ﴾[1].

فقرأ نافع وابن عمر والكسائي «وأرجلَكم» بالنصب، وقرأ أبو عمر وحمزة «وأرجلِكم» بالجر.

فذهب الجمهور مذهب الفريق الأول النصب، ويترتب على ذلك: أن فرض الرجلين هو الغسل دون المسح، وتكون أرجلكم معطوفة على قوله تعالى: ﴿ فَٱغْسِلُواْ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ ﴾ أي اغسلوا وجوهكم وأيديكم وأرجلكم؛ ولأن الثابت عن رسول الله ﷺ هو الغسل وليس المسح، ولو كان المسح يكفي لفعله ﷺ ولو مرّة واحدة لبيان الجواز.

بل العكس هو الصحيح، فعن عبد الله بن عمرو – رضي الله عنهما – قال: **"تخلف عنَّا النبي ﷺ في سفر سافرناه، فأدركنا وقد أرهقنا العصر، ونحن نتوضأ، فجعلنا نمسح على أرجلنا، فنادى بأعلى صوته: ويل للأعقاب من النار مرّتين أو ثلاثاً"**[2].

وذهب الإمامية من الشيعة مذهب الفريق الثاني (الجرّ) ويترتّب على ذلك أن فرض الرجلين هو المسح؛ لأن الرجلين معطوفة على الرأس، وقالوا: إن القراءة بالفتح (وأرجلَكم) الأرجل هنا معطوفة على محل الجار والمجرور باعتبار أن الباء في ﴿ بِرُءُوسِكُمْ ﴾ زائدة، وتقدير الكلام: وامسحوا رؤوسكم وأرجلكم إلى الكعبين.

ونقل القول بالمسح عن ابن عبّاس وأنس بن مالك – رضي الله عنهما – وذهب ابن جرير الطبري مذهب التخيير بين الغسل والمسح [3] وكذلك أهل الظاهر عملاً بالقراءتين.

ثانياً: الاشتراك في دلالة اللفظ.

"والمراد به الاختلاف الذي يحصل بسبب دلالة اللفظ على المعنى المقصود، واللفظ العربي له أقسام متعددة من حيث احتماله للمعاني المفهومة منه، فمن ذلك المجمل والظاهر والمطلق

(1) سورة المائدة الآية: 6.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الوضوء، باب غسل الأعقاب، حديث رقم: 165.

(3) أثر الاختلاف في القواعد الأصولية، د. مصطفى الخن، مؤسسة الرسالة، ط: 2، 2003م، ص: 38 –39.

والمقيد و "المشترك " الذي يؤدي غالبا إلى اختلاف الفقهاء في فهم المراد منه "[1].

ومن أمثلته قوله ﷺ: **"يَا مَعْشَرَ الشَّبَابِ مَنِ اسْتَطَاعَ مِنْكُمُ الْبَاءَةَ فَلْيَتَزَوَّجْ فَإِنَّهُ أَغَضُّ لِلْبَصَرِ وَأَحْصَنُ لِلْفَرْجِ وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَعَلَيْهِ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ لَهُ وِجَاءٌ"**[2].

ذهب الظاهرية إلى أن الأمر في قوله ﷺ(فليتزوج) للوجوب عملاً بالقاعدة: إن من صيغ الوجوب المضارع المقرون بلام الأمر. . . ثم إنه لا توجد قرينة تصرفه عن الوجوب إلى غيره واللفظ محمول على الحقيقة.

وذهب الجمهور إلى أن الأمر هنا للندب؛ لأن الأصل في الزواج الندب، ومن القرائن التي تدل على ذلك تعليل الأمر بغض البصر وإحصان الفرج «إذ مقتضى هذا التعليل أن من يستطيع غض بصره وإحصان فرجه بغير الزواج، لم يكن الزواج واجبًا عليه عملاً بالقاعدة التي تقتضي بأن الحكم يدور مع علته وجودًا وعدمًا »[3].

ثالثاً: اختلافهم في حجية الحديث المرسل.

«الحديث المرسل في اصطلاح المحدّثين: هو ما رفعه التابعي خاصّة إلى النبي ﷺ.

وفي اصطلاح الفقهاء والأصوليين: هو الحديث الذي رفعه غير الصحابي إلى رسول الله مباشرة»[4].

حيث اختلف الفقهاء حول حجية الحديث المرسل اختلافًا واسعًا؛ ومن أمثلة ذلك: ما روي عن أبي بكر بن عبد الرحمن بن أم الحكم: أن رجلاً سأل رسول الله ﷺ عن امرأة كان

(1) ينظر: الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي، عبد العزيز بن صالح الخليفي، دار الأهلية – قطر، ط: 1، 1994 م، ص: 29.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب النكاح، باب استحباب النكاح، حديث رقم: 3464.

(3) منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب، د. عبد السميع أحمد إمام، دار المدار الإسلامي، ط: 1، 2001 م، ص: 44.

(4) أصول الحديث، د محمد عجاج الخطيب، دار الفكر العربي، ط: 1، 1998 م، ص: 222.

زنى بها في الجاهلية أينكح الآن ابنتها؟ ، قال ﷺ: **"لا أرى ذلك، ولا يصحّ لك أن تنكح امرأة تطلع من ابنتها على ما اطلعت عليه منها"**[1].

وما روي عن أبي هاني قال: قال رسول الله ﷺ: **"من نظر إلى فرج امرأة لم تحل له أمّها ولا ابنتها"**[2].

ذكر الحديثين ابن حزم وقال: إنهما مرسلان ولا حجّة في مرسل، فالحديثان يدلان على أن الزنا يحرّم ما يحرّمه النكاح الحلال وتحريم النكاح بسبب الزنا مختلف فيه بين العلماء.

فمنهم من يقول: إن الزنا لا يحرّم ما يحرّمه النكاح، وهو قول الشافعي.

ومنهم من يقول: إن الزنا يحرّم ما يحرّمه النكاح الحلال، وهذا قول أبي حنيفة والثوري والأوزاعي وأحمد وغيرهم.

وابن حزم يرى أنه لا يحرم إلا في موضع واحد، وهو أن يزني الرجل بامرأة، فلا يحل نكاحها لأحد ممّن تناسل منه أبدا، أمّا غير هذا فالزنى لا يحرم ما يحرّمه النكاح الحلال.

ومن أدلة أصحاب القول الثاني: الحديثان السابقان، وقد قال عنهما ابن حزم: إنهما مرسلان ولا حجّة في مرسل، وهكذا فإن من يعمل بالمرسل لا يعمل بهما، ولا يجعل الزنا كالنكاح الحلال في التحريم [3].

رابعاً: ومنها أنه لم تكن قواعد الجمع بين المختلفات مضبوطة عندهم فكان يتطرق بذلك خلل في مجتهداتهم، فوضع لها أصولاً ودونها في كتاب، وهذا أول تدوين كان في أصول الفقه.

---

(1) أخرجه عبد الرزاق الصنعاني، كتاب الطلاق، باب الرجل يزني بامرأة ثم يتزوجها، حديث رقم: 12784.

(2) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه، كتاب النكاح، باب الرجل يقع على أم امرأته أو ابنة امرأته ما حال امرأته، حديث رقم: 16235.

(3) أثر الخلاف الفقهي في القواعد المختلف فيها، د. محمود مشعل، ص: 115 – 116.

مثاله: ما بلغنا أنه دخل على محمد بن الحسن[1] وهو يطعن على أهل المدينة في قضائهم بالشاهد الواحد مع اليمين ويقول هذا زيادة على كتاب الله فقال الشافعي أثبت عندك أنه لا تجوز الزيادة على كتاب الله بخبر الواحد.

قال: نعم، قال: فلم قلت إن الوصية للوارث لا تجوز لقوله ﷺ: "**ألا لا وصية لوارث**"[2]، وقد قال الله تعالى: ﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ﴾[3] وأورد عليه أشياء من هذا القبيل فانقطع كلام محمد بن الحسن[4].

خامساً: ومنها أنه رأى قوماً من الفقهاء يخلطون الرأي الذي لم يسوغه الشرع بالقياس الذي أثبته فلا يميزون واحداً منهما من الآخر، ويسمونه تارة بالاستحسان، وأعني بالرأي أن ينصب مظنة حرج أو مصلحة علة لحكم، وإنما القياس: أن تخرج العلة من الحكم المنصوص ويدار عليها الحكم فأبطل هذا النوع أتم إبطال، وقال: من استحسن فإنه أراد أن يكون شارعاً، حكاه ابن الحاجب في "مختصر الأصول".

مثاله: (رشد اليتيم) أمر خفي فأقاموا مظنة الرشد وهو بلوغ خمس وعشرين سنة مقامة وقالوا إذا بلغ اليتيم هذا العمر سلم إليه ماله قالوا هذا استحسان والقياس ألا يسلم إليه.

---

(1) هو: محمد بن الحسن بن فرقد الشيباني أصله من قرية بدمشق يقال لها حرستا ومولده بواسط صاحب أبا حنيفة وعنه أخذ الفقه ثم عن أبي يوسف وروى عن مالك ومسعر والثوري وغيرهم، وهو الذي نشر علم أبي حنيفة وولى قضاء الرقة للرشيد ثم قضاء الري وبها مات سنة189هـ، ينظر: تاج التراجم في طبقات الحنفية، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني، تح، محمد خير رمضان يوسف، دار القلم- دمشق، ط: 1، 1413 هـ - 1992 م، ج: 2، ص: 47.

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب الوصايا، باب ما جاء لا وصية لوارث حديث رقم: 2121. وقال حديث حسن صحيح.

(3) سورة البقرة، الآية: 180.

(4) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح: أحمد راتب، ص: 38.

وبالجملة فلما رأى الشافعي في صنيع الأوائل مثل هذه الأمور أخذ الفقه من الرأس فأسسَّ الأصول وفرَّع الفروع وصنَّف الكتب فأجاد وأفاد واجتمع عليها الفقهاء وتصرفوا اختصاراً وشرحاً واستدلالاً وتخريجاً ثم تفرقوا في البلدان فكان هذا مذهب الشافعي رحمه الله تعالى[1].

يرى الباحث أن سبب ذكر الإمام الدهلوي أسباب الاختلاف بين الصحابة ﷺ وبين الفقهاء رحمهم الله في الفروع ليبيّن لعلماء الأمة في عصره والعصور المتوالية من بعده أن هؤلاء خيرة البشر بعد رسول الله ﷺ اختلفت آراؤهم ولكن لم تختلف قلوبهم، اختلفوا ولكن لم يفسد بينهم الود والمحبة.

وما أشرنا إليه من نقاط الخلاف بين الصحابة قليل من كثير لا يمكن الإحاطة به كلياً، والذي يعنينا هو ذلك الجو الأخوي الذي كان بينهم لقد كان الله غايتهم شعارهم مخلصين له الدين، فإن اتحدوا ففي ذات الله وإن اختلفوا ففيها أيضا مادامت الجهود والقلوب مرتبطة بالمقصد الكريم، وكانت أخوّة الإسلام بينهم أصلا من أصول الإسلام المهمة التي لا قيام للإسلام دونها وهي فوق الخلاف أو الوفاق في المسائل الاجتهادية [2].

وينبغي للدعاة المصلحين في الدعوة إلى الله أن يجعلوا هؤلاء نبراساً لهم في دعوتهم للإصلاح، حتى وإن اختلفوا فلا تختلف القلوب؛ لأن القلوب إذا اختلفت تباعدت، ينبغي أن تكون هناك روح التسامح والتصافح.

يقول الدكتور طه جابر العلواني: « إن التفريط بالأخوة الإسلامية أو المساس بها لمجرد اختلاف في الرأي أمر لا يجوز لمسلم أن يفعله، أو أن يسقط في شراكه، ولا سيما في هذه الظروف التي تداعت فيها علينا الأمم، تريد أن تطفئ جذوة الإيمان التي بدأت تتقد في القلوب، وتبيد البذرة الطيبة التي بدأت تشق التربة رغم الأيدي العابثة التي تنهال عليها

(1) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح: أحمد راتب، ص: 41.

(2) ينظر: محاضرات في أدب الحوار، د. أحمد بو سجادة، ص: 30.

وتحاول اجتثاثها، إن الأخوة في الله ووحدة القلوب بين المسلمين تحتل المراتب الأولى للواجبات، بل هي في مقدمتها لأنها شقيقة التوحيد وقرينته، كما أن هناك مراتب للمنهيات يقع النيل من الأخوة في مقدمتها كذلك؛ ولذلك فإن علماء السلف كثيراً ما يفعلون المفضول ويتركون الأفضل منه مراعاة للائتلاف وخروجا من الخلاف، وقد يتركون المندوب، في نظرهم، ويفعلون الجائز تحقيقاً لذلك»[1].

فالخلاف واقع لا محالة، ولكن لا يجوز أن يتحول إلى خلاف مذموم بين الدعاة وطلبة العلم الصادقين في الدعوة إلى الله؛ لأنه سيؤدي إلى تباغض وتقاطع وتهاجر، وتشاحن وتدابر، فأخوة الدين، وصفاء القلوب، وطهارة النفوس فوق الخلافات الجزئية، والمسائل الفرعية، واختلاف وجهات النظر، لا ينبغي أن يقطع حبال المودة، فقد اختلف السلف فيما بينهم، وبقيت بينهم روابط الأخوة الدينية.

ويقول الدكتور أحمد عمر هاشم: «اتَّسم علماء المسلمين بأدب الاختلاف الذي يتمثل في عدم التعصب والجمود على الرأي وعدم رمي غيرهم بالخطأ أو الكفر أو الفسوق، بل كان أحدهم يقول في تسامح: رأيي صواب يحتمل الخطأ، ورأي غيري خطأ يحتمل الصواب، فاتسم علماء السلف بالأدب العالي والذوق الرفيع، والتواضع الجم، فلم يعنف أحد أحداً خالفه في الرأي ولا رماه بالخطأ أو الفسق، ولا كانت بينهم خصومة؛ لأن الاختلاف في الفروع من الأمور الطبيعية. . . وما دام الخلاف ليس في الأصول، وإنما في الفروع، فلا خصومة، بل التسامح والتناصح والتقريب بين الجميع، لأن الخلاف في الفرعيات لا يمس أصول الإسلام »[2].

(1) أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر فياض العلواني. دار الوفاء، ط: 1، 1980م، ص: 169.

(2) ينظر: الاجتهاد بين التجديد والتفريط الملتقى الإسلامي الأول بمجمع الشيخ أحمد كفتارو بدمشق، ص: 357.

يقول الشيخ محمد الغزالي: «ومما يساعد على التسامح وتبادل العذر فيما اختلف فيه، الاطلاع على اختلاف العلماء، ليعرف منه تعدد المذاهب، وتنوع المآخذ والمشارب، وأن لكل منهم وجهته وأدلته التي يستند إليها، ويقول عليها، وكلهم يغترف من بحر الشريعة وما أوسعه، ومن أجل ذلك أكد علماؤنا فيما أكدوه وجوب العلم باختلاف الفقهاء كوجوب العلم بما أجمعوا عليه، فإن اختلافهم رحمة واتفاقهم حجة»[1].

ولكن انظر إلى واقعنا اليوم كيف أصبح حال الكثير العاملين في حقل الدعوة والإصلاح أصبحت آراؤهم مختلفة، واختلفت قلوبهم حتى وصلوا إلى السب والشتم، هذا يسب هذا وهذا يشتم ذاك وهذا يتعصب إلى جماعته ومذهبه، وهذه الأمراض إذا دبت في حقل الدعوة أصابتها بالفشل.

يقول الشيخ حبنكة الميداني: «على حامل الرسالة أن يغرس في المسلمين مشاعر الانتماء والولاء لله ولرسوله ولصحابته وللتابعين لهم بإحسان، ولسائر الأمة الإسلامية في مشارق الأرض ومغاربها وأن يستغل كلا من الانتماء والولاء في تطبيقات أحكام الدين، وفي نصرة الإسلام وقضايا المسلمين والتحمس لها»[2].

(1) تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط: 1، (ب ت)، ص: 128.

(2) فقه الدعوة، حبنكة الميداني، دار القلم -دمشق، ط: 2: 2004م، ج: 1، ص: 379.

المطلب الثالث: مسألتا الاجتهاد والتقليد عند الدهلوي.

أولاً: الاجتهاد.

يعتبر الاجتهاد مصدراً من مصادر التشريع الإسلامي بعد كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ويؤيد هذا حديث معاذ بن جبل، أَنَّ رَسُولَ الله ﷺ لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثه إِلَى الْيَمَنِ قَالَ: **"كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ؟ »، قَالَ: أَقْضِي بِكِتَابِ الله، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي كِتَابِ الله؟ »، قَالَ: فَبِسُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، قَالَ: «فَإِنْ لَمْ تَجِدْ فِي سُنَّةِ رَسُولِ الله ﷺ، وَلَا فِي كِتَابِ الله؟ » قَالَ: أَجْتَهِدُ رَأْيِي، وَلَا آلُو فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ صَدْرَهُ، وَقَالَ: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ الله لِمَا يُرْضِي رَسُولَ الله"**[1].

لقد قدم الشاه ولي الله الدهلوي في هذا الشأن كتابا سماه العقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد وفي هذا الكتاب عرف الاجتهاد بأنه استفراغ الجهد في إدراك الأحكام الشرعية من أدلتها التفصيلية الراجعة كلياتها إلى أربعة أقسام، الكتاب والسنة والإجماع والقياس [2].

ويُفهم من هنا أنه لا فرق بين أَن يكون استفراغا في إدراك حكم ما سبق التَكلم فيه من العلماء السابقين أو لم يسبق منهم قول فيه، سواء وافقهم في ذلك أو خالف ومن أن يكون ذلك بإعانة البعض في التنبيه على صور المسائل، والتنبيه على مآخذ الأحكام من الأدلة التفصيلية أو

---

(1) أخرجه أبو داود في "سننه"، كتاب: الأقضية، باب: اجتهاد الرأي في القضاء، (حديث رقم: 3594)، والترمذي في "جامعه"، كتاب: الأحكام، باب: ما جاء في القاضي كيف يقضي، (حديث رقم: 1327)، وأحمد في "مسنده"، مسند الأنصار، حديث رقم: 22100، كلهم من طريق شعبة عن الحارث بن عمرو عن أصحاب معاذ بن جبل عن معاذ بن جبل به، قال البخاري في "التاريخ الكبير"ج: 2، ص: 277): ((لا يصح))، وقال الترمذي: ((هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه، وليس إسناده عندي بمتصل))؛ إلا أن هذا الحديث قد تلقاه أئمة الفقه والاجتهاد بالقبول. ينظر: "الفقيه والمتفقه"، للخطيب، ج: 1، ص: 472، و"إحكام الفصول"، للباجي، ج: 2، ص: 814، و"التلخيص الحبير"، لابن حجر، ج: 4، ص: 445.

(2) ينظر: تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، د. إيهاب حفظي عز العرب، دار إيتراك للطباعة والنشر القاهرة، ط: 1، 2011م، ص: 376.

بغير إعانة منه، فما يظن فيمن كان موافقاً لشيخه في أكثر المسائل لكنه يعرف لكل حكم دلِيلاً ويطمئن قلبه بذلك الدلِيل، وهو على بصيرة من أمره إنه بمجتهد ظن فاسد وكذلك ما يظن من أن المجتهد لا يوجد في هذه الأزمنة اعتمادًا على الظن الأول بناء على فاسد وفي هذا يتبين أن الموافقة لا تنافي الاجتهاد[1].

شروط الاجتهاد:

إن الشروط التي يجب توفرها في المجتهد لا تتوفر إلا في من تتلمذ على كبار الشيوخ وقرأ مئات الكتب في المجال - الشرعي خصوصاً والمعرفي عموماً- وأعتقد أن الشروط التي حددها العلماء للمجتهد في كتب الأصول لا تتوفر في وقتنا الراهن إلا في آحاد يُعدون على الأصابع- على مستوى العالم الإسلامي كله - أما هذه الألوف المؤلفة من الذين يعتقدون أنهم بلغوا درجة الاجتهاد، فنقول لهم أعرضوا أنفسكم على شروط الاجتهاد، ثم انظروا كم ميزانكم في هذا الشأن؟ [2].

وذكر الإمام الدهلوي عدة شروط منها إنه لا بد له أن يعرف من الكتاب والسنة ما يتعلق بالأحكام ومواقع الإجماع وشرائط القياس وكيفِية النظر وعلم العربية والناسخ والمنسوخ وحال الرواة[3].

ويذكر الدهلوي أيضاً: أن الاجتهاد تختلف مراتبه، وتتعدد، فلا يصح أن يُظن: أن الذي يبلغ ذروة هذه العلوم هو الذي يستحق أن يُسمى (مجتهداً) وأنَّى لنا العهد به! ؟ ، ورد الإمام هذا الظن، وصرَّح بأنه يمكن أن يبلغ رجل في مسألة من المسائل، أو قضية من القضايا مرتبة الاجتهاد ولا يكون مكانه في المسائل الأخرى بذاك[4].

---

(1) ينظر: عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، تح محب الدين الخطيب، دار إيتراك للطباعة والنشر القاهرة، (ب، ط)، ص: 3.

(2) ينظر: محاضرات في أدب الحوار، د. أحمد بو سجادة، ص: 15.

(3) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، ص: 3.

(4) ينظر: الاجتهاد والتقليد في ضوء كتابات ولي الله الدهلوي، سليمان الندوي، دار ابن كثير، ط: 1، 1431هـ=

يقول وهو ينقل كلام البغوي: «وإذا عرف من كل نوع من هذه الأنواع معظمه، فهو مجتهد، ولا يشترط معرفة جميعها بحيث لا يشذ عنه شيء منها، وإذا لم يعرف نوعاً من هذه الأنواع، فسبيله التقليد، وإن كان متبحراً في مذهب واحد من آحاد أئمة السلف، ولا يجوز له تقلد القضاء، ولا الترصد للفتيا، وإذا جمع هذه العلوم، وكان مجانباً للأهواء، والبدع، مدرعاً بالورع، محترزاً عن الكبائر، غير مصر على الصغائر، جاز له أن يتقلد القضاء، ويتصرف في الشرع بالاجتهاد، والفتوى، ويجب على من لم يجمع هذه الشرائط تقليده فيما يعن له من الحوادث»[1].

ويقول في موضع آخر: « واجتماع هذه العلوم إنما اشتُرط في المجتهد المطلق الذي يفتي في جميع أبواب الشرع، ويجوز أن يكون مجتهداً في باب دون باب» [2].

أنواع المجتهدين:

يُقسِّم العلماء المجتهدين حسب دقتهم في الفهم وقدراتهم الاستنباطية وعمق مداركهم إلى عدة أقسام منها:

1ـ المجتهدون المستقلون، وهم الذين يستخرجون الأحكام من مصادرها، فيأخذون من الكتاب والسنة، ويقيسون على نصوصها، ويفتون بالمصالح إن رأوها، وهم الذين توفرت فيهم الشروط التي أشرنا إليها سابقاً كلها واجتهادهم مطلق، ومن هذه الطبقة فقهاء الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين [3].

=2010م، ص: 19.

(1) شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تح، شعيب الأرناؤوط – محمد زهير الشاويش، ، دار النشر: المكتب الإسلامي، دمشق، ط: 2، 1403هـ – 1983م ج: 10، ص: 120.

(2) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، تح محب الدين الخطيب، ص: 34.

(3) ينظر: أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، دار مؤسسة الرسالة بيروت، ط: 1، 1434هـ، 2012م، ص: 148.

ومن أمثال هؤلاء أيضا فقهاء التابعين أمثال سعيد بن المسيب وإبراهيم النخعي والفقهاء أصحاب المذاهب كجعفر الصادق وأبيه محمد الباقر، وأبي حنيفة، ومالك، والشافعي والأوزاعي وغيرهم"[1].

ويخصُّ الإمام الدهلوي بأن هؤلاء المجتهدين ينزل لهم القبول من السماء فأقبل إلى علمهم جماعات من العلماء من المفسرين والمحدِّثين والأصوليين وحفَّاظ كتب الفقه ويمضي على ذلك القبول والإقبال قرون متطاولة حتى يدخل ذلك في صميم القلوب[2].

2ـ المجتهدون المنتسبون: وهم الذين اختاروا ما قرره الإمام بالنسبة لأصول الاستنباط، وخالفوه في الفروع، وإن انتهوا في فروعهم إلى نتائج متشابهة في الجملة لما وصل إليه الإمام.

يقول الإمام الدهلوي وحاصل صنيعهم أن تعرض المسائل المنقولة عن مالك والشافعي وأبي حنيفة والثوري وغيرهم ﷺ من المجتهدين المقبولة مذاهبهم وفتاواهم على موطأ مالك والصحيحين ثم على أحاديث الترمذي وأبي داود فأي المسألة وافقتها السّنة نصاً أَو إشارة أخذوا بها وعولوا عليها وأي مسأَلة خالفتها السنة مخالفة صريحة ردوها وتركوا العمل بها وأي مسألة اختلفت فيها الأحاديث والآثار اجتهدوا في تطبيق بعضها ببعض، إما بجعل المفسر قاضياً على المبهم وتنزيل كل حديث على صورة وإما غير ذلك، فإن كانت من باب السنن والآداب فالكل سنة وإن كانت من باب الحلال والحرام أو من باب القضاء واختلف فيها الصحابة والتابعون والمجتهدون جعلوها على قولين أو على أقوال، ولم ينكروا على أحد فيما أخذ منها ورأوا في الأمر سعة إذا كان يشهد الحديث والآثار لكل جانب، ثم استفرغوا جهدهم في معرفة الأَولى والأرجح إما بقوة الرواية وإما بعمل أكثر الصحابة وإما كونه مذهب جمهور المجتهدين وإما موافقاً للقياس[3].

(1) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة. دار الفكر العربي، (ب، ط)، 1996م، ص: 330.

(2) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح، أحمد راتب، ص: 50.

(3) ينظر: عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، تح محب الدين الخطيب، ص: 17.

ثم علموا بذلك الأقوى من غير إنكار على أحد ممن أخذ بالقول الآخر، فإن لم يجدوا في المسألة حديثاً من تلك الطبقتين، اتبعوا السواد الأعظم، وأي مسألة ليس فيها تصريح أو تعليل صحيح من السلف؛ استفرغوا الجهد في طلب نص، أو إشارة أو إيماء من الكتاب والسنَّة، أو أثر من الصحابة، أو التابعين، فإن وجدوا قالوا به، وليس عندهم أن يقلدوا عالما واحداً في كل ما قال، ومن أمثال هؤلاء البيهقي والبغوي[1].

2ـ المجتهدون في المذهب: وهم الذين يتبعون إمام المذهب فيما أثر عنه من فروع وأصول ويتبعون ما انتهى إليه، ولا يخالفونه أصلا وإنما اجتهادهم في استنباط أحكام المسائل التي لم يرد عن إمام المذهب رأي فيها [2].

يقول الإمام الدهلوي: الواجب على المجتهد في المذهب أن يحصل من السنن، والآثار ما يحترز به من مخالفة الحديث الصحيح، واتفاق السلف، ومن دلائل الفقه ما يقتدر به على معرفة مآخذ أصحابه في أقوالهم، ويجب عليه أن يعرف أقوال العلماء ومآخذها، فإن اتفقوا على شيء؛ أفتى به، وإذا اختلفت أقوالهم فلا بأس بأن يقول هذا جائز في قول فلان وفي قول فلان لا يجوز، وليس له أن يختار قول بعضهم من غير أن يعرف حجتهم، وعليه أيضاً أن يستحضر جميع كتب أصحاب المذهب وتكون معرفته بكتب المذهب معرفة كاملة واعية، وعليه أن ينظر إلى عادة بلده، وزمانه فيما لا يخالف الشريعة، ويكون خبيراً بالعرف الشائع، كما يجب عليه معرفة الناسخ والمنسوخ، والمحكم، والمؤوَّل وما يتعلق بهذه الأمور[3].

يرى الإمام الدهلوي أن الاجتهاد فرض كفاية في كل عصر، وليس المراد هنا بالاجتهاد المستقل كاجتهاد أئمة المذاهب بل المراد الاجتهاد المنتسب وهو عبارة عن معرفة الأحكام الشرعية بأدلتها التفصيلية، وتفريع المسائل وترتيبها على طريقة المجتهدين ولو كان ذلك

(1) ينظر: الاجتهاد والتقليد في ضوء كتابات ولي الله الدهلوي، سليمان الندوي، ص: 24.

(2) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص: 330.

(3) ينظر: عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، تح محب الدين الخطيب، ص: 18.

بإرشاد من إمام من الأئمة.

ويقول أيضاً: إن المسائل كثيرة الوقوع ولا يمكن حصرها واستيعابها ولابد من معرفة حكم الله فيها والذي دخل في حيز التحرير والتدين لا يكفي، والخلافات فيه كثيرة ولا يمكن حلها إلا بالرجوع إلى الدلائل، والروايات المنقولة للمسائل عن الأئمة في أكثرها انقطاع بحيث لا يثق بها القلب بطمأنينة، ولذلك فلا مناص من عرضها على قواعد الاجتهاد وأصوله والبحث فيها[1].

ثانياً: التقليد.

وقبل أن أخوض في هذا الموضوع أبين معنى التقليد.

التقليد: عبارة عن اتِّباع الإنسان غيره فيما يقول أو يفعل، معتقدًا للحقيقة فيه، من غير نظر وتأمل في الدليل، كأن هذا المتبع جعل قول الغير أو فعله قلادةً في عنقه[2].

فإن كان المعتقد فيه غير عاص؛ لأنه إن كان فاسقا، أو فاجراً، أو مشركاً، أو كافراً، كان تقليده قبيحاً، وحراماً مطلقاً، وقد ورد النهي عن تقليد مثل هذا الشخص، فإن كان المعتقد فيه مطيعاً لله ولرسوله ﷺ أهلاً للاتباع، إماماً مجتهداً فهذا هو محل البحث [3]، وكان الناس قبل المائة الرابعة غير مجمعين على التقليد الخالص لمذهب واحد بعينه.

قال أبو طالب المكي[4] في كتابه "قوت القلوب": «إن الكتب والمجموعات محدثة والقول بمقالات الناس والفتيا بمذهب الواحد من الناس وانتحاء قوله والحكاية له في كل شيء

(1) ينظر: زهرة البساتين من مواقف العلماء الربانيين، جمع وترتيب، د: سيد بن حسين العفان، ص134ــ 135.

(2) كتاب التعريفات، الجرجاني، ج: 1، ص: 64.

(3) ينظر: الاجتهاد والتقليد في ضوء كتابات ولي الله الدهلوي، سليمان الندوي، ص: 119.

(4) أبو طالب المكي: محمد بن علي بن عطية الحارثي، واعظ، زاهد، فقيه، من أهل الجبل (بين بغداد وواسط) نشأ واشتهر بمكة ورحل إلى البصرة، فاتهم بالاعتزال، وسكن بغداد، فوعظ فيها، فحفظ عنه الناس أقوالا هجروه من أجلها، توفي ببغداد سنة (386هـ)، من مؤلفاته: قوت القلوب من معاملة المحبوب. ينظر: الأعلام للزركلي، ج: 6، ص: 274.

والتفقه على مذهبه محدث لم يكن الناس قديماً على ذلك في القرن الأول والثاني»[1].

وبعد القرنين حدث فيهم شيء من التخريج غير أن أهل المائة الرابعة ليسوا على التقليد الخالص لمذهب واحد، والتفقه له، وكان فيهم العلماء والعامة.

وكان من خبر العامة، أنهم كانوا في المسائل المجمع عليها لا يقلدون إلا صاحب شرع وكانوا يتعلمون العبادات من الصلاة والزكاة من آبائهم ومن معلمي بلدانهم فيمشون حسب ذلك، فإذا نزلت نازلة استفتوا فيها أي مفت من غير تعيين مذهب.

وأما خبر الخاصة من العلماء فكانوا على مرتبتين منهم من أمعن في تتبع الكتاب والسنة والآثار حتى حصل له بالقوة القريبة من الفعل ملكة أن يتصف بفتيا في الناس يجيبهم في الوقائع غالبا بحيث يكون جوابه أكثر مما يتوقف فيه ويخص باسم المجتهد وهذا الاستعداد يحصل تارة باستفراغ الجهد في جمع الروايات فانه ورد كثير من الأحكام في الأحاديث وكثير منها في آثار الصحابة والتابعين وتبع التابعين مع مالا ينفك عنه العاقل العارف باللغة من معرفة مواقع الكلام وصاحب العلم بالآثار من معرفة طرق الجمع بين المختلفات وترتيب الدلائل.

ومنهم من حصل له من معرفة القرآن والسنن ما يتمكن به من معرفة رؤوس الفقه وأمهات مسائله بأدلتها التفصيلية وحصل له غالب الرأي ببعض المسائل الأخرى من أدلتها وتوقف في بعضها واحتاج في ذلك إلى مشاورة العلماء؛ لأنه لم تتكامل له الأدوات كما تكاملت للمجتهد المطلق فهو مجتهد في البعض غير مجتهد في البعض وقد تواتر عن الصحابة والتابعين أنهم كانوا إذا بلغهم الحديث يعملون به من غير أن يلاحظوا شرطاً[2].

---

(1) قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، تح، د. عاصم إبراهيم الكيالي، ط: 2، 1426 هـ -2005 م، دار الكتب العلمية - بيروت، ج: 1، ص: 272.

(2) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح: أحمد راتب، ص: 64ـ 65.

ثم بعد هذه القرون كان ناس آخرون ذهبوا يميناً وشمالاً وحدث فيهم أمور منها الجدل والخلاف في علم الفقه وبعد أن انتشر هذا الخلاف والجدل وتزاحم الفقهاء وتجادلهم فيما بينهم، فإنهم لما وقعت فيهم المزاحمة في الفتوى، كان كل من أفتى بشيء نوقض في فتواه ورد عليه ـ فلم ينقطع الكلام إلا بذكر رجل من المتقدمين في المسألة ومن هنا دبّ التقليد في صدورهم دبيب النمل وهم لا يشعرون واطمأنوا به ثم بعد ذلك اختلف العلماء أشد الاختلاف في مسألة التقليد منهم القائلين ومنهم المنكرين والإمام الدهلوي هو من المجيزين للتقليد في الفروع وهذا حسب تصريحاته في مؤلفاته منها قوله[1]:

"إن الأمة اجتمعت على أَن يعتمدوا على السلف في معرفة الشريعة فالتابعون اعتمدوا في ذلك على الصحابَة وتبع التابعين اعتمدوا على التابعين وهكذا في كل طبقة اعتمد العلماء على من قبلهم"[2].

فعلى الذين يريدون سعادتي الدنيا والآخرة ألا يعتمدوا على أنفسهم بل ينبغي عليهم أن يعتمدوا على فهم الأئمة المجتهدين دون التعصب إلى أقوالهم وخاصة عند وجود الدليل القطعي من الكتاب والسنة، وهؤلاء المجتهدون أصحاب المذاهب أجمعت الأمة على تقليدهم واتباعهم وأقرت لهم بالمكانة الرفيعة في علمهم ومعرفتهم وورعهم وتقواهم ورسوخهم [3].

يقول ولي الله الدهلوي: "واعلم أن في الأخذ بهذه المذاهب الأربعة مصلحة عظيمة وفي الإعراض عنها كلها مفسدة كبيرة" [4].

(1) ينظر: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص501.

(2) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، تح محب الدين الخطيب، ص: 13.

(3) ينظر: التقليد الشرعي في الأمور الفقهية وأهميته في الإسلام، المفتي عبدالرحيم الأحفوري، تقديم أبي الحسن الندوي، ط: 1، 1424ه 2004م، دار مكتبة الحرمين، دبي ص: 82.

(4) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، تح محب الدين الخطيب، ص: 13.

ويقول الشيخ أحمد بن عرفان الشهيد[1]: «الاتباع لهذه المذاهب الأربعة التي قد نالت رواجاً وقبولاً عاماً في عامة المسلمين وخاصتهم أمر حسن وجيد» [2].

وهذان العلمان يريان الأخذ بالمذاهب الأربعة أمر حسن وجيد، مستدلين بحديث الرسولﷺ الذي يأمر فيه الأمة باتباع السواد الأعظم إذا كثر الاختلاف فعن أَنَس بْن مَالِكٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: **"إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ"**[3].

وفي هذا نجد الإمام الدهلوي يرى التقليد ويذمه في بعض الأحيان بقوله وترى العامة اليوم في كل قطر يتقيدون بمذهب من مذاهب المتقدمين ويرون خروج الإنسان من مذهب مقلده ولو في مسألة كالخروج من الملة ويرون صاحب المذهب كأنه نبي بعث إليه، وهذا التعصب غير مقبول عند ه[4].

ويقول أيضاً: "أقول لهؤلاء المسمين أنفسهم بالفقهاء الجامدين على التقليد يبلغهم الحديث من أحاديث النبي ﷺ بإسناد صحيح وقد ذهب إليه جمع عظيم من الفقهاء المتقدمين ولا يمنعهم من اتباعه إلا التقليد لمن لم يذهب إليه، وينبغي لمن كان مقلداً لواحد من الأئمة

(1) هو: أحمد بن عرفان بنن ور الشريف الحسني البريلوي، ولد سنة إحدى ومائتين وألف، وافراً من العلم والمعرفة، وفاق الأقران، وأتى بما يتحير منه أعيان البلدة في العلم والمعرفة، ثم غلب عليه شوق الجهاد في سبيل الله، فذهب إلى معسكر الأمير المجاهد نواب مير خان، ولبث عنده بضع سنين، وكان يحرضه على الجهاد، فلما رأى أنه يضيع وقته في الاغارة ويقنع بحصول المغنم، وعلم أنه عزم على مسالمة الانجليز والهدنة تركه ورجع إلى دهلي وشد المئزر بنصرة السنة، وتوفي في الرابع والعشرين من ذي القعدة سنة ست وأربعين ومائتين وألف. ينظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، ج: 7، ص: 900.

(2) التقليد الشرعي في الأمور الفقهية وأهميته في الإسلام، المفتي عبدالرحيم الأحفوري، ص: 83.

(3) أخرجه ابن ماجه في سننه، كتاب الفتن، باب السواد الأعظم، رقم، 3950.

(4) ينظر: الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص: 142.

وبلغه عن رسول الله ﷺ ما يخالف قوله في المسألة وغلب على ظنه أن ذلك نقل صحيح فليس له عذر في أن يترك حديث الرسول ﷺ إلى قول غيره" [1].

وقول الإمام الدهلوي هنا إنه إذا تعارض الحديث الصحيح وقول إمام من الأئمة يجب العمل بالحديث سواء أكان للعالم أم للعامي لا يجوز لهما ترك الحديث وأخذ قول أحد من الناس؛ لأن السلف والأئمة كلهم متفقون على ذمه وتحريمه.

قيل لأبي حنيفة إذا قلت قولاً وكتاب الله يخالفه قال اتركوا قولي لكتاب الله فقيل إذا كان خبر الرسول ﷺ يخالفه قال اتركوا قولي بخبر رسول الله ﷺ فقيل له إذا كان قول الصحابي يخالفه فقال اتركوا قولي بقول الصحابي[2].

ويقول الإمام مالك: «ما من أحد إلا ومأخوذ من كلامه ومردود عليه إلا رسول الله ﷺ »[3].

وروى الحاكم والبيهقي عن الشافعي رضي الله عنه أنه كان يقول اذا صح الحديث فهو مذهبي وفي رواية اذا رأيتم كلامي يخالف الحديث فاعملوا بالحديث واضربوا بكلامي الحائط وقال يوما للمزني يا أبا إبراهيم لا تقلدني في كل ما أقول وانظر في ذلك لنفسك فإنه دين وكان رضي الله عنه يقول لا حجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ وان كثروا ولا في قياس ولا في شيء وما ثم إلا طاعة الله ورسوله بالتسليم[4].

(1) ينظرك الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص141-143.

(2) ينظر: القول المفيد في حكم التقليد، للشوكاني، تح: عبد الرحمن بن عبد الخالق، دار القلم الكويت، ط: 1 1396، ص: 25.

(3) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، ص: 32.

(4) ينظر: الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح: أحمد راتب، ص: 104.

وكان الإمام أَحمد يقول: «ليس لأحد مع الله ورسوله كلام وقال أَيضاً لرجل لا تقلدني ولا تقلدن مالكا ولا الْأوزاعي ولا النخعي ولا غيرهم وخذ الأحكام من حيث أخذوا من الكتاب والسنة» [1].

وقد رأى الإمام الدهلوي طبقة (أهل الحديث) مخدوعة مفرطة، تأخذ بالظواهر وتقع فيما لم تتأهل له وقد رد على الإمام ابن حزم بقوله: «وما ذهب إليه ابن حزم حيث قال عن التقليد: (لا يحل لأحد أن يأخذ قول أحد غير رسول الله ﷺ بلا برهان[2] مستدلا بكثير من الأدلة منها قوله تعالى: ﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ﴾[3] وقوله تعالى: ﴿ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[4].

ويقول الإمام الدهلوي: «إنما يتم هذا فيمن له ضرب من الاجتهاد ولو في مسألة واحدة، وفيمن ظهر عليه ظهوراً بيِّناً أن النبي ﷺ أمر بكذا، ونهى عن كذا، وأنه ليس بمنسوخ إما بأن يتتبع الأحاديث وأقوال المخالف والموافق في المسألة، فلا يجد لها نسخاً، أو بأن يرى جمعاً غفيراً من المتبحرين في العلم يذهبون إليه، ويرى المخالف له لا يحتج إلا بقياس أو استنباط أو نحو ذلك، فحينئذ لا سبب لمخالفة حديث النبي ﷺ إلا نفاق خفي، أو حمق جلي» [5].

ـــ أدلة المجيزين للتقليد بالنسبة للعامي:

استدل المجيزون للتقليد بكثير من الأدلة منها:

---

(1) عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، ص32

(2) ينظر: حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح: سعيد أحمد بن يوسف، ص507.

(3) سورة الأعراف، الآية: 3.

(4) سورة النساء، الآية: 59.

(5) حجة الله البالغة، ولي الله الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، ص: 508.

قوله تعالى: ﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾ [1]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ ﴾ [2] وقوله تعالى: ﴿ فَلَوۡلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرۡقَةٖ مِّنۡهُمۡ طَآئِفَةٞ لِّيَتَفَقَّهُواْ فِي ٱلدِّينِ وَلِيُنذِرُواْ قَوۡمَهُمۡ إِذَا رَجَعُوٓاْ إِلَيۡهِمۡ لَعَلَّهُمۡ يَحۡذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ ﴾ [3].

عن أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ، يَقُولُ: **"إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ، فَإِذَا رَأَيْتُمُ اخْتِلَافًا فَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَادِ الْأَعْظَمِ"** [4].

ويقول الإمام الدهلوي: «للعوام في بلاده فإذا كان إنسان جاهل في بلاد الهند أو في بلاد ما وراء النهر وليس هناك عالم شافعي ولا مالكي ولا حنبلي ولا كتاب من كتب هذه المذاهب وجب عليه أن يقلد لمذهب أبي حنيفة ويحرم عليه أن يخرج من مذهبه لأنه حينئذ يخلع ربقة الشريعة ويبقى سدى مهملا بخلاف ما إذا كان في الحرمين فانه متيسر له هناك معرفة جميع المذاهب» [5].

وهكذا كان موقف الإمام الدهلوي رحمه الله موقفاً متزناً عادلاً، فهو يرى أن العامي من الناس مذهبه مذهب مفتيه؛ لأنه لا يستطيع أن يفهم الدليل وليس له إلا التقليد، كما يقلد الناس الأطباء، والحاذقين من كل فن، ويرجعون إليهم، ويصدرون عن رأيهم، فكذلك، بل أولى من ذلك، وأحق بأن لا يعطى العامي حق الاستدلال، أو الدليل، وأما المجتهد الذي تتوفر فيه شروط الاجتهاد فلا يرى له التقليد [6].

---

(1) سورة النحل الآية: 43.

(2)سورة النساء، الآية: 83.

(3 سورة التوبة، الآية: 122.

(4) سبق تخرجه، ص87.

(5) الإنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، أحمد راتب، ص: 79.

(6) ينظر الاجتهاد والتقليد في ضوء كتابات ولي الله الدهلوي، سليمان الندوي، ص: 71.

المبحث الثالث

إصلاحاته في الجانب التعليمي

المطلب الأول: عنايته بنشر علوم القرآن.

لما عاد الإمام ولي الله الدهلوي من الحجاز في رحلته العلمية، متشبعاً بروح عالية مصمماً على القيام بنشر دعوة الإسلام الصحيحة، وتطهير عقول المسلمين ونفوسهم من العقائد الضالة والعادات الفاسدة التي تسربت إليهم لاختلاطهم بغير المسلمين وجهلهم بالعقيدة الصحيحة.

رأى الإمام أنه لا يمكن اصلاح هذا المجتمع دون فهم القرآن الكريم والعلم على أوامره ونواهيه، لذلك ركز اهتمامه بتدريس القرآن الكريم وتفسيره، ولكن أكثر المسلمين في المنطقة لا يعرفون اللغة العربية، فعلم أنه لا بد من ترجمة معاني القرآن الكريم باللغة الفارسية اللغة الرسمية للمنطقة [1].

وعلم أيضاً أنه لا يمكن علاج أي داء في المجتمع الذي يعيش فيه دون فهم القرآن، والمنطقة بعيدة عن ذلك في عصره، وبدأ الإمام بترجمة القرآن الكريم باللغة الفارسية وسماها (فتح الرحمان) ونالت هذه الترجمة القبول في جميع أنحاء البلاد ليس في الهند فقط بل في جميع البلدان الأعجمية تقريباً بما فيها تركستان وإيران وأفغانستان والبلدان المجاورة للهند، ولكن هناك بعض المضادين لهذه الفكرة يظللون في الأوساط العلمية والدينية ويدعون بأن القرآن الكريم هو كتاب خاصة الخاصة يطالعونه ويدرسونه ويفهمونه ويتدبرونه وأن فهم القرآن يتوقف على معرفة أكثر من اثني عشر عالماً، وأما نشره بين العامة ومطالبتهم بفهمه مباشرة خطر شديد، وضلال كبير، وفتح باب الفتنة والدعوة إلى الاضطراب الفكري، والقول بالرأي والاستغناء عن العلماء، بل فوق ذلك دعوة الخروج والتمرد على العلماء [2].

---

(1) ينظر: الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص: 85.

(2) ينظر: رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي ج1، ص: 114.

وهناك مشكلة أخرى واجهت الدهلوي في هذا العمل هي أنه لم يقم أحد قبله بترجمة معاني القرآن وما قام به القاضي شهاب الدين دولة آبادي[1] في عهد سلاطين بجنور عبارة عن كتاب لترجمة ضمنية لكتاب الله سماه (البحر الموَّاج)ولكنه لم يجد حظاً من الشهرة وأحياناً ترجمته لا تفي بالمعنى المطلوب ومع ذلك فإنه كتاب نافع ومفيد في الجملة محتاج إلى التنقيح والتهذيب[2].

ونظر الدهلوي إلى المسلمين في بلاد الهند فوجد المثقفين منهم يفضلون قراءة الشاهنامة للفردوسي، وكلستان وبوستان سعدي وهي مجموعة من قصص ومواعظ في الشعر والنثر الفارسي يفضلون قراءتها على قراءة القرآن بسبب أفعال علماء السوء من المسلمين الذين اتجهوا إلى المناظرات مع أصحاب الديانات الأخرى في عهد الملك المغولي أكبر [3] خصوصاً رجال التبشير الذين جلبوا معهم ترجمة إنجليزية لمعاني ألفاظ القرآن الكريم وقدموا بعض

(1) هو: الإمام أحمد بن عمر الزاوي شهاب الدين بن شمس الدين الدولة آبادي أحد الأئمة بأرض الهند، ولد بدولة آباد دهلي بعد سبعمائة من الهجرة ونشأ بها وقرأ العلم على مشايخها، فبرز في الفقه والأصول والعربية وصار إماماً في العلوم، ومن مؤلفاته، البحر المواج في تفسير القرآن الكريم بالفارسية، وله شرح البزدوي في أصول الفقه و شرح على قصيدة بانت سعاد وشرح على قصيدة البردة ورسالة في تقسيم العلوم بالفارسية، ومناقب السادات بالفارسية، وهداية السعداء بالفارسية، ورسالة في العقيدة الاسلامية، وتوفي سنة تسع وأربعين وثمانمائة بمدينة جونبور. ينظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، ج: 3، ص: 233.

(2) ينظر: تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، د. إيهاب حفظي عز العرب، ص367

(3) السلطان المؤيد المظفر أبو الفتح جلال الدين محمد أكبر بن همايون بن بابر التيموري الكوركاني، أكبر ملوك الهند وأشهرهم في الذكر وأسعدهم في الحظ والإقبال، ولد في قلعة أمركوث من أرض السند في ثاني ربيع الأول سنة تسع وأربعين وتسعمائة هجرية، حكم الهند في الفترة ما بين عام 1556م إلى1605م، توفي في جمادي الثانية سنة أربع عشرة وألف هجرية ودفن في سكندر آباد قريب آكره. ينظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، ج5، ص496.

الافتراءات في هذه الترجمة [1].

وأما المعارضون لهذا العمل وهو ترجمة معاني القرآن فبين الإمام الدهلوي وذكر لهم أن القرآن الكريم ما نزل ليغلف في قطعة قماش من الحرير ويوضع في مكان مرتفع من المنزل حتى الرؤوس[2] تبركاً به، ولم ينزل لتردده الألسن على مسمع الآخرين دون فهم كما تفعل الببغاء، وأعلن للجميع أن القرآن كتاب الله نزل ليكشف النقاب عن أهم الحقائق التي تتعلق بالحياة الإنسانية، ونزل القرآن أيضا ليقرأه الناس ويفهمونه ويتدبرون في معانيه ويجعلوه دستورا لحياتهم يقول الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾[3].

لذلك رأى الإمام أن الترجمة ضرورية كي يفهم أهالي الهند وغيرهم القرآن الكريم خصوصا الذين لا يعرفون اللغة العربية، واقتنع كثير من المعارضين لهذه الفكرة وبدأت جبهة المعارضة تقل حتى تمت ترجمة معاني القرآن على أكمل وجه فكانت مشعل النور أضاء الطريق لترجمته باللغات الأخرى، فليس المهم هو الترجمة فقط بل الزيادة من رفع مكانة القرآن الكريم الذي أضاءت به ظلام الجهل وحمل مشعل النور إلى هداية البشر[4].

وأصبحت هذه الترجمة فاتحة لباب عظيم لنشر علوم القرآن الكريم وترجمته وتفسيره بمختلف اللغات المحلية، واستفاد منها علماء كثيرون منهم ابنه الشاه رفيع الدين الذي ترجم القرآن الكريم باللغة الأردية، وابنه الشاه عبد العزيز الذي ألف كتابا في التفسير باللغة الفارسية سمَّاه «فتح العزيز»[5].

وألف الإمام الدهلوي كتابا آخر في أصول التفسير سماه «الفوز الكبير في أصول التفسير» وهو عبارة عن خمسة أبواب.

---

(1) ينظر: إمام الهند شاه ولي الله الدهلوي حياته وآثاره، د. إيهاب حفظي ص15

(2) يقولون لاتزال هذه العادة موجودة في شبه القارة الهندية إلى اليوم.

(3) سورة ص، الآية: 29

(4) ينظر: تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، د. إيهاب حفظي عز العرب، ص: 318.

(5) ينظر: الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير ص: 86.

الباب الأول: تحدث فيه عن العلوم الخمسة التي يجب على المسلم أن يعرفها وهي: علم الأحكام، وعلم التذكير بآلاء الله، وعلم التذكير بأيام الله، وعلم التذكير بالموت، وذكر كذلك الفرق الضالة، ومعرفة ما يجب لله تعالى وما يجوز في حقه وما يستحيل عليه، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والجنة والنار والساعة وعلامات الساعة الكبرى.

الباب الثاني: تحدث فيه عن وجوه الخفاء في معاني القرآن وذكر أيضا شرح غريب القرآن والمواضع الصعبة في فن التفسير وفي معرفة أسباب النزول.

الباب الثالث: فقد تحدث فيه عن بديع أسلوب القرآن الكريم، وتقسيم السور إلى آيات، ومبحث ذكر فيه اعجاز القرآن.

الباب الرابع: ذكر فيه بيان فنون التفسير وحل الخلاف الذي وقع في تفسير الصحابة والتابعين وتحدث عن بيان الآثار المروية في كتب التفسير وما يتعلق بها من أحكام لأهل الحديث.

الباب الخامس: جاء عنوانه تحت اسم «فتح الخبير في التفسير» وهو تفسير مختصر لسور القرآن الكريم.

وهذا الكتاب بذل فيه الإمام الدهلوي جهداً كبيراً وخاصة جاء تأليفه في الوقت الذي كان العالم الإسلامي يعج في ظلمات الجهل اللهم إلا بعض ومضات مشرقة في بعض البلاد الإسلامية [1].

(1) ينظر: الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام الدهلوي، تعريب، سليمان الندوي، و إمام الهند شاه ولي الله الدهلوي حياته وآثاره إيهاب حفظي، ص: 16، وتجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، إيهاب حفظي عز العرب، ص: 370.

المطلب الثاني: اهتمامه بالسنة ونشر علومها.

لما عاد الإمام الدهلوي من رحلته الحجازية التي تعلم منها الكثير من العلوم منها علوم الحديث على يد علماء الحرم المكي والمدني، وبدأ يدرس في المدرسة الرحيمية وكانت أول مدرسة تهتم بدراسة الحديث وهناك اشتهر الإمام وكثر تلاميذه وارتحلوا إليه من أنحاء الهند وخارجها حتى ضافت بهم المدرسة ومنحه الملك الحاكم آنذاك مدرسة أوسع داخل دلهي وانتقل إليها.

وأصبح في ذلك الوقت سيد علماء الهند بلا منازع، وبلغ من حفظ متون الحديث وضبط الأسانيد والاطلاع على دواوين الحديث مرتبة لم يصلها أحد قبله من أهل بلده مع ما أوتي من علم أسرار الحديث ومعرفة وجوه الاستنباط، فصار رئيس المحدثين ومؤسس مدرسة أهل الحديث، وكانت دروسه مجمعاً للعلماء والفقهاء وأهل الفكر والعرفان وكان يدرس الحديث على نهج المحدَّثين الأولين رواية ودراية[1].

يقول الشيخ أبو الحسن الندوي: «والحقيقة أنه لأسباب معلومة وأخرى غير معلومة التي جعلت جهود هؤلاء المشايخ الفردية أن تحدث ما كان غير متوقع من الإقبال العام على الحديث الشريف والاهتمام اللائق به، والنشاط والحيوية في نشره وتدريسه وتعميمه، ولعل بعض هذه العوامل أن المشايخ تغلب عليهم نزعة تأييد المذهب الحنفي بالحديث الشريف، والعامل الآخر هو أن مراكز الثقافة والتعليم في القرن الثاني عشر الهجري بدأت تنتقل من دلهي إلى مناطق أخرى وبدأ تغير منهج دراسي جديد (على يد أستاذ العلماء الشيخ نظام الدين السهالوي [2]) في التكوين، ولم تكن لهؤلاء الواضعين والمكونين لهذا المنهج الدراسي الجديد

(1) ينظر: الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير ص88.

(2) هو: عبد العلي بن نظام الدين بن قطب الدين ابن عبد الحليم الأنصاري قرأ العلم على والده وفرغ منه وله سبع عشرة سنة، ثم اشتغل بمطالعة الكتب وانقطع إلى البحث والاشتغال بمراجعته على الشيخ كمال الدين الفتحبوري، وكان أجل تلامذة والده وأسنهم فكان يباحثه بحثاً دقيقاً في المسائل طلباً للحق وإدراكاً=

العلمية والثقافية صلة بالحرمين الشريفين، والأماكن التي كانت مركزاً لدراسة الحديث الشريف وتدريسه وخدمته ونشره وكانت تغلب عليهم العلوم الأخرى»[1].

بالرغم من أنه هذه التغيرات في المناهج فإن الأوساط العلمية والدينية في تللك المنطقة أصبحت لها شخصية قوية صلتها بالحديث الشريف صلة الحب والغرام والتي جعلت نشره وتعميمه أول أهدافها آخذاً بوصية شيخه الظاهر المدني، عندما أنشده بيتاً من الشعر قال فيه:

نَسَيتُ كُلَّ طريقٍ كنتُ أعْرِفُه إلا طريقاً يُؤدِّيني لِرَبعِكُم

وقال له الإمام الدهلوي في ذلك: (نسيت كل ما قرأت سوى علم الحديث الشريف)؛ لذلك تشهد حياته كلها على أنه كان منصرفاً انصرافاً كلياً إلى خدمة الحديث، في نشره وتفهيمه وتدريسه وتعليمه، واستفاد منه كثير من الطلبة استفادة كبيرة من بينهم الشيخ عبدالعزيز الدهلوي وهو ابنه الأكبر الذي قام بتكميل أعماله وجهوده وتوسيع نطاقها.

والعلامة السيد مرتضى البلكرامي[2] المعروف بالزَّبِيدِي الذي دوى صيت تبحره في العلم

=للصواب وهو يرشده إلى إفادات والده وإفاداته المخصوصة، وله مصنفات جليلة منها: شرح سلم العلوم مع المنهيات، وحاشية على مير زاهد، وحاشية على شرح هداية الحكمة للصدر الشيرازي، وتوفي سنة خمس وعشرين ومائتين وألف. ينظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، ج7 ص1021

(1) رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي ج1، ص144

(2) هو الشيخ الإمام العالم المحدث مرتضى بن محمد بن قادري بن ضياء الله الحسيني الواسطي البلكرامي ولد بمحروسة بلكرام سنة خمس وأربعين ومائة وألف، واشتغل بالعلم على أساتذة بلدته زماناً، ثم خرج منها فجاء إلى سنديله وخير آباد وقرأ على أساتذتها، ثم سافر إلى دهلي، وأخذ عن الشيخ ولي الله بن عبدالرحيم الدهلوي، ثم ذهب إلى سورت وأخذ عن الشيخ خير الدين بن زاهد السورتي، وأقام عنده سنة، ثم سافر إلى الحجاز سنة، وأقام بزبيد بفتح الزاي دارة علم معروفة باليمن، وأخذ عن السيد أحمد بن محمد مقبول الأهدل ومن في طبقته كالشيخ عبد الخالق بن أبي بكر المزجاجي والشيخ محمد بن علاء الدين المزجاجي، ومن مصنفاته، تصنيف الكتاب الذي شاع ذكره وطار في سائر الأقطار والأمصار، الدال على علو كعبه ورسوخ قدمه في علم اللغة المسمى بتاج العروس، وتوفي يوم الأحد في شعبان سنة خمس ومائتين وألف وهو مصاب=

وتحديثه في العالم العربي، وكان مجلسه بالقاهرة يضاهي مجالس الملوك والسلاطين [1].

وهكذا أصبح علم الحديث في الهند بعد قرون ولعله لأول مرة قد نفقت سوقه وقامت دولته وأقبل عليه الناس إقبالا عظيما حتى ظلت الهند تباهي اليمن، وبدأت نفحاتها الرخية المنعشة تصل إلى أرض الحجاز نفسها [2].

وقد أنشد العلامة السيد صديق حسن خان في ذكر الإمام الدهلوي وخدمته للحديث الشريف ونشاطاته في القيام بنشره بيتين من الشعر البليغ يصورانه تصورا حقيقيا قال فيه:

مَنْ زَارَ بابَكَ لم تبْرَحْ جَوَارِحُه تَروِي أَحَاديثَ ما أوليت من مَتَنَ

فالعينُ عن قرةٍ والكفُ عن صِلة والَقلبُ عن جابرٍ والسمعُ عن حَسَنِ

والأسماء التي ذكرت في البيت هي أسماء رواة الحديث والشيوخ المحدثين، مثل قرة بن خالد السدوسي، وصلة بن أشيم العدوي، وجابر بن عبدالله ﷺ والحسن البصري رحمهم الله جميعاً[3].

بهذا يتبين أن الإمام الدهلوي قدم الكثير في خدمة الحديث في يلاد الهند وكانت خدمته تمتاز بمكانتها التجديدية والاجتهادية وصيغتها في الإصلاح، والتي أدت إلى سيادة الحديث وازدهاره في البلاد حتى أصبح جزءاً ضرورياً من المقررات الدراسية ومقياساً للفضيلة والكمال، وقامت حلقات مستقلة لدروس الحديث الشريف، وعمَّ تدريس الصحاح الستة

=بمرض الطاعون. ينظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، ج: 7، ص: 1109.

(1) ينظر: زهرة البساتين من مواقف العلماء والبانيين، د. سيد بن حسين العفاني، ج2، ص128.

(2) وقد أقام الشيخ إسحاق الدهلوي والشيخ عبدالغني المجددي من خريجي المدرسة الرحيمية ومن تلاميذ الإمام الدهلوي حلقات دروس الحديث الشريف الحرمين الشريفين وانتفع بعلمهم طلبة العلم من العرب والعجم، ينظر الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام، عبد الحي بن فخر الدين بن عبد العلي الحسني الطالبي، ج7، ص890.

(3) زهرة البساتين من مواقف العلماء والبانيين، د. سيد بن حسين العفاني، ج2، ص128.

لاسيما الكتب الأربعة منها: صحيح البخاري، وصحيح مسلم، وسنن أبي داود، وسنن الترمذي، بالبحث والتحقيق في المدارس وتُرجمت كتب الحديث إلى اللغات السائدة في البلاد واستفاد منها عامة المسلمين الذين لا يعرفون العربية استفادة عظيمة، وكان ذلك دافعاً إلى الجد والعمل لاتباع السنة والاهتمام بها ورغبة في الأخذ بالأسانيد وإجازات في علم الحديث حتى أصبحت الهند مركزا لهذا العلم الشريف[1].

يقول الشيخ محمد رشيد رضا[2]: «ولولا عناية إخواننا علماء الهند بعلوم الحديث في هذا العصر لقضي عليها بالزوال من أمصار الشرق، فقد ضعفت في مصر والشام والعراق والحجاز منذ القرن العاشر للهجرة، حتى بلغت منتهى الضعف في أوائل هذا القرن الرابع عشر»[3].

ويقول الشيخ عبدالعزيز الخولي: «ولا يوجد في الشعوب الإسلامية على كثرتها واختلاف أجناسها وفّى للحديث قسطه من العناية في هذا العصر مثل إخواننا مسلمي الهند أولئك الذين وجد من بينهم حفاظاً للسنة ودارسون لها على نحو ما كانت تدرس القرن الثالث حرية في الفهم ونظر في الأسانيد »[4].

---

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي ج: 1، ص: 145.

(2) هو الشيخ محمد رشيد بن علي رضا بن محمد شمس الدين بن محمد بَهاء الدين بن منلا علي خليفة القلموني، البغدادي الأصل، الحسيني النسب: صاحب مجلة (المنار) وأحد رجال الإصلاح الإسلامي. من الكتّاب، العلماء بالحديث والأدب والتاريخ والتفسير. ولد سنة 1282 ه ـ 1865م ونشأ في القلمون (من أعمال طرابلس الشام) وتعلم فيها وفي طرابلس. وتنسك، ونظم الشعر في صباه، وكتب في بعض الصحف، ثم رحل إلى مصر سنة 1315 هـ فلازم الشيخ محمد عبده وتتلمذ له. وكان قد اتصل به قبل ذلك في بيروت. ثم أصدر مجلة (المنار) لبث آرائه في الإصلاح الديني والاجتماعي، ومن مؤلفاته، مجلة (المنار) أصدر منها 34 مجلدا، و (تفسير القرآن الكريم – ط) اثنا عشر مجلدا منه، ولم يكمله، وتوفي فجأة سنة 1354 ه 1935 م في (سيارة) كان راجعا بها من السويس إلى القاهرة. ودُفن بالقاهرة. الأعلام للزركلي ج: 6، ص126

(3) مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين محمد رشيد رضا وغيره من كتاب المجلة، ج: 34، ص: 290.

(4) الإمام المجدد المحدث الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص: 98.

وهكذا أصبح لعلم الحديث شأن كبير ونهضة عظيمة أسسها أفذاذ أجلاء تمخضت بهم العصور، انتهجوا في تحصيل العلوم نهجاً حقيقياً حتى علا أمرهم وشأنهم، ثم خلف من بعدهم خلف سلكوا سبيلهم وعملوا على نشر مبادئهم وكانت آثارهم واضحة في خدمة الحديث ونشره في أجزاء كبيرة في البلاد الهندية خاصة والإسلامية عامة حتى أصبح هناك طائفة كبيرة في تلك البلاد حافظة للسنة وتهتدي بها في كل أمور الدين.

❊❊❊

الفصل الثالث
اصلاحات الإمام الدهلوي في الجوانب السياسية والاجتماعية والدعوية

المبحث الأول: دفاعه عن الخلافة والخلفاء الراشدين.

المطلب الأول: مفهوم الخلافة وأهميتها.

المطلب الثاني: خلافة الخلفاء وموقف الرافضة منها.

المطلب الثالث: الأدلة على عودة الخلافة.

المبحث الثاني: إصلاحاته في الجانب الاجتماعي.

المطلب الأول: الطبقية ومشكلاته.

المطلب الثاني: نظرة الإسلام إلى الطبقية.

المبحث الثالث: إصلاحاته في الجانب الدعوي.

المطلب الأول: مفهوم الدعوة وأهميتها.

المطلب الثاني: خطاباته لمختلف طبقات الأمة.

المطلب الثالث: نماذج من وصاياه للأمة الإسلامية.

المبحث الأول: دفاعه عن الخلافة والخلفاء الراشدين.

المطلب الأول: مفهوم الخلافة وأهميتها.

أولاً: الخلافة لغةً.

لو رجعنا إلى الأصل اللغوي لكلمة خليفة لوجدنا أن الخليفة في الاستعمال اللغوي، هو من يقوم مقام الأصل الذي ذهب كما يقوم الخلف بعد السلف[1].

وقال ابن منظور: «واسْتَخْلَفَ فلاناً من فلان جعله مكانه وخَلَفَ فلان فلاناً إذا كان خَلِيفَتَه يقال خَلَفه في قومه خِلافةً وفي التنزيل العزيز: ﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى ﴾[2]، وخَلَفْتُه أَيضاً إذا جئت بعده، ويقال: خَلَّفْتُ فلاناً أُخَلِّفُه تَخْلِيفاً واسْتَخْلفْتُه أَنا جَعَلتُه خَليفَتي واسْتَخْلفه جعله خليفة، وقال الفراء في قوله تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾[3]، قال: جعل أُمة محمد خَلائفَ كلِّ الأُمم قال وقيل خَلائفَ في الأرض يَخْلُفُ بعضكم بعضاً» [4].

والخَليفَةُ: السُّلْطانُ الأَعْظَمُ ويُؤَنَّثُ كالخَليفِ: خَلائِفُ وخُلَفاءُ. وخَلَفَهُ خِلافَةً: كان خَليفَتَهُ وبَقِيَ بَعْدَهُ[5].

---

(1) الخلافة والإمامة ديانة وسياسة، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي، مصر، ط: 1، 1383هـ، 1963م، ص 339.

(2) سورة الأعراف، الآية: 142.

(3) سورة الأنعام، الآية: 165.

(4) لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، ، مادة (خلف)، ج9، ص82.

(5) القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، ب ط، دار مؤسسة الرسالة بيروت، مادة (خلف) ص1044.

وقد تبين لنا أن كلمة خلافة تشير إلى قيام شخص محل شخص آخر أو قيام جماعة مقام أخرى، وهذا واضح في الآيات والتعريفات السالفة

ثانياً: الخلافة اصطلاحاً.

لقد عرَّف الخلافة في الاصطلاح كثير من أهل العلم بتعريفات متعددة منها:

قال الإمام الدهلوي: «هي الرياسة العامة التي حصلت بالفعل نيابة عن النبي ﷺ لإحياء العلوم الدينية وإقامة أركان الإسلام، وتنفيذ الجهاد ومعلقاته، مثل ترتيب الجيوش وإعطاء المجاهدين رواتبهم، وتقسيم الغنيمة بينهم، وأداء فرائض القضاء، وتنفيذ الحدود ودفع الظلم، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر» [1].

وقال ابن خلدون[2] في كتاب مقدمة تاريخ ابن خلدون: «الخلافة هي حمل الكافّة على مقتضى النّظر الشّرعي في مصالحهم الأخرويّة والدّنيويّة الرّاجعة إليها إذ أحوال الدّنيا ترجع كلّها عند الشّارع إلى اعتبارها بمصالح الآخرة فهي في الحقيقة خلافة عن صاحب الشّرع في حراسة الدّين وسياسة الدُّنيا به»[3].

---

(1) أسرار خلافة الخلفاء، الإمام الدهلوي، ترجمة، مصطفى محي الدين الهدوي، ج: 1، ص: 16.

(2) هو عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون أبو زيد، وليّ الدين الحضرميّ الإشبيلي، ولد بتونس سنة 732هـ، 1332م، رحل إلى فاس وغرناطة وتلمسان والأندلس، وتولى أعمالا، واعترضته دسائس ووشايات، وعاد إلى تونس. ثم توجه إلى مصر فأكرمه سلطانها الظاهر برقوق. وولي فيها قضاء المالكية، ولم يتزيّ بزيّ القضاة محتفظا بزيّ بلاده. وعزل، وأعيد. ، ومن مؤلفاته شرح البردة وكتاب في الحساب ورسالة في المنطق وشفاء السائل لتهذيب المسائل وتوفي فجأة في القاهرة. سنة 808 هـ، 1406م.
ينظر: الأعلام للزركلي ج3، ص330.

(3) مقدمة تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد، ابن خلدون، تح، خليل شحادة، ط: 2، 1408هـ، 1988م، دار الفكر، بيروت، ص239.

يقول الإمام الراغب الأصفهاني[1]: «والخلافة النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه، وإما لموته؛ وإما لعجزه؛ وإما لتشريف المستخلف. وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾[2].

وليس بالضروري للخلافة أن يكون المنوب عنه ميتاً أو غير موجود، فالإمام الراغب يقول: خلف فلان فلاناً، قام بالأمر عنه وإما بعده» [3].

ويطلق لفظ الخلافة ويراد به الإمامة، وعليه درج استعمال الكلمتين لمعنى واحد.

فالإمامة لغة: مصدر من أمّ والإمام كل من ائتم به قوم كانوا على الصراط المستقيم أو كانوا ضالين، والجمع أئمة، وإمام كل شيء قيمه والمصلح له، والقرآن إمام المسلمين.

أما معناها اصطلاحاً: عرفها الشيخ أبو الحسن الماوردي[4] بقوله: «الإمامة موضوعة لخلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا»[5].

---

(1) هو الشيخ مفضل بن محمد الأصبهاني أبو القاسم الراغب، كان ظهوره في أوائل المائة الخامسة وكان عالماً بأنواع العلوم وماهرا في التفسير ومن مصنفاته مفردات القرآن وكتاب الذريعة في محاسن الشريعة وأقانين البلاغة وكتاب الأخلاق وصنف التفسير وتوفي سنة خمس وثلاثين وخمسمائة، طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تح، سليمان بن صالح الخزي، ط: 1، 1417هـ، 1997م، دار مكتبة العلوم والحكم، السعودية، ص168.

(2) سورة فاطر، الآية: 39.

(3) مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تح، صفوان عدنان داوودي، ط: 1، 1412هـ، 1992م، دار القلم، دمشق، ص 294.

(4) هو: الإمام العلامة أقضى القضاة أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري الماوردي الشافعي. حدث عنه أبو بكر الخطيب ووثقه. وقال: مات في ربيع الأول سنة خمسين وأربع مائة. وولي القضاء ببلدان شتى. بلغ ستاً وثمانين سنة وسكن بغداد وله مصنفات كثيرة في التفسير والفقه والأدب. سير أعلام النبلاء، شمس الدين الذهبي، تح، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، ط: 3، 1405هـ، 1985 م، دار مؤسسة الرسالة، ح18، ص64.

(5) الأحكام السلطانية والولايات الدينية، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي المـاوردي، =

وعرف إمام الحرمين الجويني[1] الإمامة بأنها: «رياسة تامة، وزعامة عامة، تتعلق بالخاصة والعامة في مهمات الدين والدنيا مهمتها حفظ الحوزة، ورعاية الرعية، وإقامة الدعوة بالحجة والسيف وكف الحيف والخيف، والانتصاف للمظلومين من الظالمين، واستيفاء الحقوق من الممتنعين وإيفاؤها على المستحقين»[2].

إن لفظ الإمامة يعني الاقتداء والاتباع الواجب على جميع الأمة للإمام القائد الذي يمسك زمام الأمور، فهو إمام الصلاة، وإمام الحجيج وإمام المجاهدين. . . .

ولفظ الخلافة يعني حلول الإمام «الخليفة » محل الرسول ﷺ في قيادة الأمة، أي يقوم مقام النبي ﷺ في كل شيء عدا تلقي الوحي الذي هو من خصائص النبوة.

توجد هناك بين الاسمين صلة وثيقة تجمع بينهما وإنهما يرميان في اللغة والاصطلاح إلى معنى واحد هو قيادة الأمة الإسلامية بشرع الله تعالى، تأسيا واقتداء بالرسول ﷺ[3].

ويفسر الشيخ محمد أبو زهرة [4] الترادف بين اللفظين بقوله: إن المذاهب السياسية كلها تدور حول الخلافة، وهي الإمامة الكبرى، وسميت خلافة؛ لأن الذي يتولاها يكون

=ط: 2، 1386هـ- 1966م، طبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ص: 5.

(1) هو: عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن عبد الله بن يوسف بن محمد العلامة إمام الحرمين ضياء الدبن أبو المعالي بن الشيخ أبي محمد الجويني ولد سنة عشرة وأربعمائة، وتفقه على يد والده وأتى على جميع مصنفاته، وتتلمذ على أبي القاسم الإسفراييني، ومن مؤلفاته كتاب غياث الخلق في اتباع الحق وكتاب البرهان في أصول الفقه والتلخيص مختصر التقريب والإرشاد في أصول الفقه أيضا وكتاب الإرشاد في أصول الدين وكتاب الشامل في أصول الدين أيضا وكتاب غنية المسترشدين في الخلاف، توفي في ربيع الآخر سنة ثمان وسبعين وأربعمائة، طبقات الشافعية ـ لابن قاضى شهبة، تح، د. الحافظ عبد العليم خان، ط: 1، 1407هـ، دار عالم الكتب، بيروت، ج: 1، ص255.

(2) غياث الأمم في التياث الظلم، للإمام الحرمين، تح، عبد العظيم الديب، ط: 2، 1401هـ، دار مكتبة إمام الحرمين، ص: 22.

(3) ينظر: الخلافة الإسلامية بين نظم الحكم المعاصرة، د. جمال أحمد المراكبي، ب ط، ب د، ص48.

(4) هو: محمد بن أحمد بن مصطفى بن أحمد المعروف بأبي زهرة، ولد في المحلة الكبرى التابعة لمحافظة الغربية =

الحاكم الأعظم للمسلمين، يخلف النبي في إدارة شؤونهم، وتسمى الإمامة؛ لأن الخليفة كان يسمى إماماً؛ ولأن طاعته واجبة؛ ولأن الناس كانوا يسيرون وراءه، كما يصلون وراء من يؤمهم في الصلاة[1]

ومن الملاحظ في التعريفات السابقة نجد أنه لا فرق بين التعريف اللغوي والاصطلاحي ولكن الفرق في الألفاظ فقط والعلماء لم يفرقوا بين لفظ الإمام والخليفة بل جعلوا كلا اللفظين بمعنى واحد، ويلاحظ أيضا أن جميع التعريفات تقدمت فيها أمور الدين والعناية به وحفظه على أمور الدنيا أي جعلوا الثانية تابعة للأولى وسياسة الدنيا يجب أن تستمد من الدين وشرائعه وتعاليمه، والمحافظة عن الدين والعناية به حفاظ عن الدنيا وما فيها وفساد الدين لذلك جاء تعريف الخلافة عند هؤلاء العلماء جامعاً مانعاً لوجوب وجود الإمام على رأس الرعية.

ثالثاً: أهمية الخلافة.

تظهر أهمية الخلافة في حياة المسلمين إذا علمنا أنه لا قيام للدين وأحكامه على الوجه الأكمل إلا بها، ولا أمن ولا أمان للمسلمين ولديارهم من أعدائهم إلا بها، ولا رادع للظالمين وقاطعي الطريق إلا بها، والسلطان لابد منه وبدونه يكثر الجور والفساد والهرج والمرج بين الرعية.

=بمصر سنة 1315ه، ـ 1898م، ونشأ في أسرة كريمة وحفظ ا القرآن الكريم، وأجاد تعلم مبادئ القراءة والكتابة، ثم انتقل إلى الجامع الأحمدي بمدينة طنطا، ثم انتقل إلى مدرسة القضاء الشرعي حتى تخرج فيها حاصلا على عالمية القضاء الشرعي، ومن مؤلفاته تاريخ المذاهب الإسلامية، العقوبة في الفقه الإسلامي، الجريمة في الفقه الإسلامي، توفي، سنة 1394هـ- 1974م، ينظر زهرة التفاسير. محمد أبو زهرة، (ب، ط)، دار الفكر العربي، مصر، ج: 1، ص: 4، 5.

(1) تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، ص20.

قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: «**إن الله ليزع أي ليردع بالسلطان مالا يزع بالقرآن**» أَي ليمنع بالسلطان عن ارتِكاب الفوَاحش والآثام ما لا يمتنع كثير من الناس بالقرآن وما فيه من الوعيد الأَكيد والتهدِيد الشديد، وهذا هو الواقِع، فالقرآن الكريم لابد له من قوة وسلطان يحميه ويفرضه على الناس، ويرعاه ويتعاهد أحكامه وشرائعه. . فالقرآن وسيف السلطان يسيران جنباً إلى جنب يؤيد بعضهما بعضاً، وأيهما يتخلف عن الآخر فإن مسيرة الإسلام لا محالة سيعتريها الضعف والنكبات والانتكاسات[1].

ويقول الرسول ﷺ: **"إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ، يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ، وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَعَدَلَ، كَانَ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرٌ، وَإِنْ يَأْمُرْ بِغَيْرِهِ كَانَ عَلَيْهِ مِنْهُ"**[2] (الإمام جنة) أي كالستر لأنه يمنع العدو من أذى المسلمين ويمنع الناس بعضهم من بعض ويحمي بيضة الإسلام ويتقيه الناس ويخافون سطوته ومعنى يقاتل من ورائه أي يقاتل معه الكفار والبغاة والخوارج وسائر أهل الفساد وينصر عليهم ومعنى يتقى به أي شر العدو وشر أهل الفساد والظلم مطلقا والتاء في يتقى مبدلة من الواو لأن أصلها من الوقاية[3].

وهناك حديث آخر أيضاً يقول فيه الرسول ﷺ **"السلطان ظل الله في الأرض، فمن أكرمه أكرم الله، ومن أهانه أهانه الله"**[4].

---

(1) ينظر: تفسير القرآن العظيم، لابن كثير، تح، محمد حسين شمس الدين، ط: 1، 1419هـ، دار الكتب العلمية، بيروت، ج: 5، ص: 102.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإمارة، باب في الإمام إذا أمر بتقوى الله، رقم الحديث1841.

(3) "تعليق محمد فؤاد عبد الباقي" على صحيح مسلم.

(4) أخرجه ابن أبي عاصم في سننه، (ما يسمى بكتاب السنة) باب في ذكر فضل تعزير الأمير وتوقيره، رقم 1024، تح، محمد ناصر الدين الألباني، ط: 1، 1400هـ، دار المكتب الإسلامي، بيروت

فالسلطان المسلم العادل ظل الله في الأرض؛ والخلافة، والسلطان، والدولة وغير ذلك من معاني الشوكة والقوة كلها تدخل كوسائل مباشرة ومهمة لتطبيق أحكام الله تعالى وشرائعه في الأرض، وبه تُحفظ حرمات الدين، وتعلو راياته.

ولاشك أن الغاية الجوهرية من قيام الدولة الإسلامية هي إيجاد الجهاز السياسي الذي يحقق وحدة الأمة الإسلامية وتعاون أفرادها، ويتابع تطبيق أحكام الإسلام وتنفيذها، ومراقبة سيرها التطبيقي في شتى مجالات الحياة وهذا لا يتم إلا بنصب الخليفة أو الإمام [1].

❋❋❋

(1) بحث بعنوان الخلافة وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدي، د. سعد عبد الله عاشور، د. نسيم شحدة ياسين سنة النشر، 1425هـ، 2004م، الجامعة الإسلامية غزة.

المطلب الثاني: خلافة الخلفاء وموقف الرافضة منها.

أولاً: الأدلة على خلافة الخلفاء.

لقد دافع الإمام الدهلوي عن خلافة الخلفاء الراشدين دفاعاً كبيراً واستدل على خلافتهم بأدلة قوية ومستفيضة، ويذكر بكل صراحة ووضوح بأن خلافة أبي بكر وعمر وعثمان رضي عنهم كانت حقاً ولا يشك فيها إلا من تلطخ بدنس البدعة والأفكار الشيعية وهي دعاوى باطلة تستحق أن يُرمى بها وراء الجدران.

واستدل بحقيقة خلافتهم بقوله تعالى ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [1].

يقول الدهلوي: هذه الآية وعد من الله ﷻ بالخلافة والتمكين في الأرض لبعض من الصحابة الذين كانوا موجودين عند نزول هذه الآية ويدلل عليه بقوله «منكم» ومعنى «ليستخلفهم» ليستخلفن بعضاً منهم كما نقول: استخلف بنو العباس وأثرى بنو تميم، أي بعض منهم، فعلم من الآية أن بعضاً من الذين كانوا حاضرين عند نزول الآية يكونون خلفاء على الناس ويحصل لهم التمكين في الأرض، ويقومون بترويج الأمن والسلامة ولاشك أن الخلفاء الثلاثة كانت خلافتهم مطابقة لوعده ﷻ [2].

واستدل بخلافتهم وترتيبهم بكثير من الأحاديث النبوية منها قول رسول الله ﷺ: **"بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا، جَاءَنِي أَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، فَأَخَذَ أَبُو بَكْرٍ الدَّلْوَ، فَنَزَعَ ذَنُوبًا أَوْ**

(1) سورة النور، الآية: 55.

(2) ينظر: أسرار خلافة الخلفاء، الإمام الدهلوي، ترجمة، مصطفى محي الدين الهدوي، ج: 1، ص: 11.

ذَنُوبَيْنِ، وَفِي نَزْعِهِ ضَعْفٌ، وَالله يَغْفِرُ لَهُ، ثُمَّ أَخَذَهَا ابْنُ الخَطَّابِ مِنْ يَدِ أَبِي بَكْرٍ، فَاسْتَحَالَتْ فِي يَدِهِ غَرْبًا، فَلَمْ أَرَ عَبْقَرِيًّا مِنَ النَّاسِ يَفْرِي فَرِيَّهُ، فَنَزَعَ حَتَّى ضَرَبَ النَّاسُ بِعَطَنٍ"[1].

وعَنِ ابْنِ عُمَرَ قَالَ: "خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ ذَاتَ غَدَاةٍ بَعْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ، فَقَالَ: رَأَيْتُ قُبَيْلَ الْفَجْرِ كَأَنِّي أُعْطِيتُ الْمَقَالِيدَ وَالْمَوَازِينَ، فَأَمَّا الْمَقَالِيدُ: فَهَذِهِ الْمَفَاتِيحُ، وَأَمَّا الْمَوَازِينُ: فَهَذِهِ الَّتِي تَزِنُونَ بِهَا، فَوُضِعْتُ فِي كِفَّةٍ، وَوُضِعَتْ أُمَّتِي فِي كِفَّةٍ، فَوُزِنْتُ بِهِمْ فَرَجَحْتُ، ثُمَّ جِيءَ بِأَبِي بَكْرٍ فَوُزِنَ بِهِمْ فَوَزَنَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُمَرَ فَوُزِنَ فَوَزَنَ، ثُمَّ جِيءَ بِعُثْمَانَ فَوُزِنَ بِهِمْ ثُمَّ رُفِعَتْ"[2].

وعَنْ سَمُرَةَ بْنِ جُنْدُبٍ، أَنَّ رَجُلًا قَالَ: يَا رَسُولَ الله: "إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ فَجَاءَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ شُرْبًا ضَعِيفًا، ثُمَّ جَاءَ عُمَرُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عُثْمَانُ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَشَرِبَ حَتَّى تَضَلَّعَ، ثُمَّ جَاءَ عَلِيٌّ فَأَخَذَ بِعَرَاقِيهَا فَانْتَشَطَتْ، وَانْتَضَحَ عَلَيْهِ مِنْهَا شَيْءٌ"[3].

وعن ابْنِ عَبَّاسٍ -رَضِيَ الله عَنْهُمَا- كَانَ يُحَدِّثُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى رَسُولَ الله ﷺ فَقَالَ: "إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي المَنَامِ ظُلَّةً تَنْطُفُ السَّمْنَ وَالعَسَلَ، فَأَرَى النَّاسَ يَتَكَفَّفُونَ مِنْهَا، فَالْمُسْتَكْثِرُ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَإِذَا سَبَبٌ وَاصِلٌ مِنَ الأَرْضِ إِلَى السَّمَاءِ، فَأَرَاكَ أَخَذْتَ بِهِ فَعَلَوْتَ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَعَلاَ بِهِ، ثُمَّ أَخَذَ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَانْقَطَعَ ثُمَّ وُصِلَ. فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: يَا رَسُولَ الله، بِأَبِي أَنْتَ، وَالله لَتَدَعَنِّي فَأَعْبُرَهَا، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «اعْبُرْهَا» قَالَ: أَمَّا الظُّلَّةُ فَالإِسْلاَمُ، وَأَمَّا الَّذِي يَنْطُفُ مِنَ العَسَلِ وَالسَّمْنِ فَالقُرْآنُ، حَلاَوَتُهُ تَنْطُفُ، فَالْمُسْتَكْثِرُ مِنَ القُرْآنِ وَالْمُسْتَقِلُّ، وَأَمَّا السَّبَبُ الوَاصِلُ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ فَالحَقُّ الَّذِي أَنْتَ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب نزع الماء من البئر، رقم 6616.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عبدالله بن عمر رضي الله عنه، رقم5469. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: ((رجاله ثقات)).

(3) أخرجه أحمد في مسنده، مسند البصريين، رقم الحديث:20242.وقال شعيب الأرنؤوط، إسناده حسن.

عَلَيْهِ، تَأْخُذُ بِهِ فَيُعْلِيكَ الله، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ مِنْ بَعْدِكَ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُ بِهِ رَجُلٌ آخَرُ فَيَعْلُو بِهِ، ثُمَّ يَأْخُذُهُ رَجُلٌ آخَرُ فَيَنْقَطِعُ بِهِ، ثُمَّ يُوَصَّلُ لَهُ فَيَعْلُو بِهِ، فَأَخْبِرْنِي يَا رَسُولَ الله، بِأَبِي أَنْتَ، أَصَبْتُ أَمْ أَخْطَأْتُ؟ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «أَصَبْتَ بَعْضًا وَأَخْطَأْتَ بَعْضًا» قَالَ: فَوَ الله يَا رَسُولَ الله لَتُحَدِّثَنِّي بِالَّذِي أَخْطَأْتُ، قَالَ: «لاَ تُقْسِمْ"[1].

وأما الذي أخطأ فقد اختلفوا فيه، والدهلوي يقول إن الخطأ هو عدم ذكره أسماء الخلفاء، فعبره بلفظ الخطأ استعارة.

وروى ابن عساكر عن أنس بن مالك أن النبي ﷺ أخذ حصيات في يده فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيَّرهن في يد أبي بكر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عمر فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في يد عثمان فسبحن حتى سمعنا التسبيح، ثم صيرهن في أيدينا رجلاً رجلاً فما سبحت حصاة منهن [2].

وهناك من العلماء من قال كانت الخلافة بالفراسة واستدلوا بذلك بعدة دلائل منها.

عن سعيد بن جمهان عن سفينة: **"لما بنى رسول الله ﷺ المسجد وضع في البناء حجراً، وقال لأبي بكر: ضع حجرك إلى جنب حجري، ثم قال لعمر: ضع حجرك إلى جنب حجر أبي بكر، ثم قال لعثمان: ضع حجرك إلى جنب حجر عمر، ثم قال: هؤلاء الخلفاء بعدي"**[3].

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، قَالَ: "بَعَثَنِي بَنُو الْـمُصْطَلِقِ إِلَى رَسُولِ الله ﷺ، فَقَالُوا: سَلْ لَنَا رَسُولَ الله ﷺ إِلَى مَنْ نَدْفَعُ صَدَقَاتِنَا بَعْدَكَ؟ ، قَالَ: فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِلَى أَبِي بَكْرٍ» فَأَتَيْتُهُمْ

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب التعبير، باب من لم ير الرؤيا لأول عابر إذا لم يصب، رقم 6639.

(2) تاريخ دمشق، لابن عساكر، أخبار عثمان بن عفان، تح، عمرو بن غرامة العمروي، دار الفكر للطباعة والتوزيع والنشر، دمشق – سوريا، ط: 1، 1402 هـ - 1984م، ج: 39، ص: 158.

(3) ينظر: تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مطبعة السعادة – مصر، ط: 1، 1371هـ - 1952م، ص14.

فَأَخْبَرْتُهُمْ، فَقَالُوا: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ، فَإِنْ حَدَثَ بِأَبِي بَكْرٍ حَدَثٌ فَإِلَى مَنْ؟ فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِلَى عُمَرَ» فَأَتَيْتُهُمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ، فَقَالُوا: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ، فَإِنْ حَدَثَ بِعُمَرَ حَدَثٌ، فَإِلَى مَنْ؟ فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِلَى عُثْمَانَ» فَأَتَيْتُهُمْ فَأَخْبَرْتُهُمْ، فَقَالُوا: ارْجِعْ إِلَيْهِ فَسَلْهُ، فَإِنْ حَدَثَ بِعُثْمَانَ حَدَثٌ فَإِلَى مَنْ؟ فَأَتَيْتُهُ فَسَأَلْتُهُ، فَقَالَ: «إِنْ حَدَثَ بِعُثْمَانَ حَدَثٌ فَتَبًّا لَكُمُ الدَّهْرَ تَبًّا"[1].

وهذه الأدلة كلها غيض من فيض وقطرة من بحر وهي تدلل على خلافتهم ﷺ، وهذه الأدلة كلها أيضا رد على من كذب وافترى وقال: إن الخلافة أُغتصبت من علي ﷺ وهؤلاء يكذبون الله ورسوله في أقوالهم.

ثانياً: موقف الرافضة منها.

الرافضة أو الاثنا عشرية: «وهم الذين قالوا بإمامة علي نصاً صريحاً من الرسول ﷺ عندما نادى في بدء الإسلام: من الذي بايعني على ماله؟ فبايعته جماعة من المسلمين ثم قال: من الذي بايعني على روحه وهو وصي وولي هذا الأمر من بعدي؟ فلم يبايعه أحد حتى مد أمير المؤمنين علي ﷺ يده فبايعه على روحه ووفَّى بذلك»[2].

وتطورت هذه العقيدة عندهم حتى وصلت إلى تكفير وسب الصحابة رضي الله عنهم رغم أن الله تعالى أثنى عليهم في كثير من الآيات وأثنى عليهم الرسول ﷺ من بعد في كثير من الأحاديث.

أفكارهم ومعتقداتهم:

1ــ الإمامة.

وهذا المبدأ تجتمع عليه كل طوائف الشيعة وفرقهم ويراه بعضهم ركنا فوق أركان الإسلام الخمس بل هو أهمها، أ ي الاعتقاد بالإمامة في علي وذريته، ويقولون: بأن النبي ﷺ

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، رقم، 4460. صححه الذهبي في التلخيص

(2) التبيان في الفرق والأديان، محمود محمد حمودة، دار مؤسسة الوراق، ط: 1 2001م، ص: 77.

قد نصَّ عليه قبل وفاته بقوله: ﷺ لعلي: **"أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى، إِلَّا أَنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدِي"** [1].

وقال في موضع آخر قال الرسول ﷺ: **"فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ فَإِنَّ عَلِيًّا مَوْلاهُ، اللهمَّ وَالِ مَنْ وَالاهُ وَعَادِ مَنْ عَادَاهُ"**[2].

وكذلك يزعمون بأن علياً قد وصى على ولديه الحسن والحسين وهكذا كل إمام يعين الذي يليه ويوصيه ويسمونهم «بالأوصياء».

هذه العقيدة التي سبق بيانها تخالف جملتها ما فهمه المسلمون ويفهمونه من نصوص الكتاب والسنة الصريحة، وهم بهذه العقيدة لا يختلفون مع أهل السنة في الفروع فقط بل يختلفون معهم حتى في الأصول، فالأسس التي يقوم عليها دين الرافضة تخالف بجملتها إجماع المسلمين.

يقول الإمام أبوبكر بن العربي[3] «وقد أجمعت الأمة على أن النبي ﷺ ما نص على أحد يكون من بعده وقد قال العباس لعلي فيما روى عنه عبدالله ابنه قال عبدالله بن عباس: خرج علي بن ابي طالب رضي الله عنه من عند رسول الله ﷺ فِي وَجَعِهِ الَّذِي تُوُفِّيَ فِيهِ، فَقَالَ النَّاسُ: يَا أَبَا حَسَنٍ **"كَيْفَ أَصْبَحَ رَسُولُ الله ﷺ؟ ، فَقَالَ: أَصْبَحَ بِحَمْدِ الله بَارِئًا "، فَأَخَذَ بِيَدِهِ عَبَّاسُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ فَقَالَ لَهُ: أَنْتَ وَالله بَعْدَ ثَلاَثٍ عَبْدُ العَصَا، وَإِنِّي وَالله لَأَرَى رَسُولَ الله ﷺ سَوْفَ يُتَوَفَّى مِنْ وَجَعِهِ هَذَا، إِنِّي لَأَعْرِفُ وُجُوهَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عِنْدَ الْمَوْتِ، اذْهَبْ بِنَا إِلَى رَسُولِ الله**

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب فضائل الصحابة، باب من فضائل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، رقم، 2404.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند الكوفيين، رقم 19302. وقال الهيثمي في مجمع الزوائد رجاله ثقات.

(3) هو: محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي المالكي، ولد في إشبيلية 468هـ ورحل إلى المشرق، وبرع في الأدب، وبلغ رتبة الاجتهاد في علوم الدين، وله مؤلفات كثيرة منها: العواصم من القواصم، وعارضة الأحوذي في شرح الترمذي، وأحكام القرآن، توفي سنة 543هـ.
ينظر: تذكرة الحفاظ، للذهبي، ج: 4، ص: 61.

ﷺ فَلْنَسْأَلْهُ فِيمَنْ هَذَا الأَمْرُ، إِنْ كَانَ فِينَا عَلِمْنَا ذَلِكَ، وَإِنْ كَانَ فِي غَيْرِنَا عَلِمْنَاهُ، فَأَوْصَى بِنَا، فَقَالَ عَلِيٌّ: إِنَّا وَاللهِ لَئِنْ سَأَلْنَاهَا رَسُولَ الله ﷺ فَمَنَعَنَاهَا لاَ يُعْطِينَاهَا النَّاسُ بَعْدَهُ، وَإِنِّي وَاللهِ لاَ أَسْأَلُهَا رَسُولَ الله ﷺ" (1).

وقال ابن العربي أيضاً: رأْي العباس عندي أصح وأقرب الى الآخر والتصريح بالتحقيق وهذا يبطل قول مدعي الإشارة باستخلاف علي فكيف أن يدعى فيه نص» (2).

وقد ذهب بعض من أهل العلم إلى أن إمامة أبي بكر ثبتت بالنص الجلي أو الخفي روايتان عن الإمام ومن وافقه قالوا: والدليل على إثبات ذلك بالنص أدلة كثيرة منها: -

عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ، عَنْ أَبِيهِ، قَالَ: **"أَتَتِ النَّبِيَّ ﷺ امْرَأَةٌ، فَكَلَّمَتْهُ فِي شَيْءٍ، فَأَمَرَهَا أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، قَالَتْ: يَا رَسُولَ الله، أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ كَأَنَّهَا تُرِيدُ المَوْتَ، قَالَ: «إِنْ لَمْ تَجِدِينِي، فَأْتِي أَبَا بَكْرٍ"** (3).

وعَنْ حُذَيْفَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: **"اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي أَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ"** (4).

أما استدلالهم أي الرافضة بحديث: «**أنت مني بمنزلة هارون من موسى**» لا حجة فيه لأحد منهم بل فيه إثبات فضيلة لعلي ولا تعارض فيه لكونه أفضل من غيره أو مثله وليس فيه دلالة لاستخلافه بعده، لأن النبي ﷺ إنما قال هذا لعلي حينما استخلفه على المدينة في غزوة تبوك ويؤيد هذا أن هارون المشبه به لم يكن خليفة بعد موسى بل توفي في حياة موسى

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المغازي، باب، مرض النبي صلى الله عليه وسلم، رقم، 4447.

(2) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الله أبوبكر بن العربي، تح، محب الدين الخطيب – ومحمود مهدي الاستانبولي، (ب، ط) 1407هـ – 1987م دار الجيل، بيروت، ص194.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب، الأحكام، باب الاستخلاف، رقم 7220.

(4) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب مناقب أبي بكر و عمر رضي الله عنهما، رقم 3662. وقال حديث حسن

وقبل وفاة موسى بنحو أربعين سنة على ما هو مشهور عند أهل الأخبار والقصص قالوا وإنما استخلفه حين ذهب لميقات ربه للمناجاة.

قال الحافظ ابن عساكر[1]: «إن فضيل بن مرزوق قال أن الحسن الثاني بن الحسن السبط ابن علي بن أبي طالب سأله رجل فقال له: ألم يقل رسول الله ﷺ من كنت مولاه فعلي مولاه؟ قال بلى والله لو يعني بذلك رسول الله ﷺ الإمارة والسلطان لأفصح لهم بذلك فإن رسول الله ﷺ كان أنصح للمسلمين، لقال: يأيها الناس هذا ولي أمركم والقائم عليكم من بعدي فاسمعوا له وأطيعوا والله لئن كان الله ورسوله اختار علياً لهذا الأمر، وجعله القائم للمسلمين من بعده ثم ترك علي أمر الله ورسوله لكان علي أول من ترك أمر الله وأمر رسوله[2].

وأما قوله: اللهم وال من والاه فكلام صحيح ودعوة مجابة وما يعلم أحد عاداه إلا الرافضة فإنهم أنزلوه في غير منزلته ونسبوا إليه ما لا يليق بدرجته والزيادة في الحد نقصان من المحدود، ولو تعدَّى عليه أبو بكر ما كان المتعدي وحده بل جميع الصحابة كما قلنا لأنهم ساعدوه على الباطل»[3].

---

(1) هو: علي بن الحسن بن هبة الله، أبو القاسم، ثقة الدين ابن عساكر الدمشقي: المؤرخ الحافظ الرحالة. كان محدث الديار الشامية، ورفيق السَّمْعَاني (صاحب الأنساب) في رحلاته. ولد في دمشق. سنة، 499ه، وله مؤلفات كثيرة منها تأريخ دمشق الكبير ويعرف بتاريخ ابن عساكر، اختصر، وتبيين كذب المفتري في ما نسب إلى أبي الحسن الأشعري، وكشف المغطى في فضل الموطأ، وتبيين الامتنان في الأمر بالاختتان، وأربعون حديثاً من أربعين شيخاً من أربعين مدينة، ومعجم الصحابة، وتوفي بدمشق سنة 571هـ. ينظر: الأعلام للزركلي، ج: 4، ص: 273.

(2) ينظر: تاريخ دمشق، لابن عساكر، الحسن بن الحسن بن علي ابن أبي طالب، ج: 13، ص68.

(3) العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، لأبي بكر بن العربي، ص200.

ولو سلمنا جدلاً أن علياً ﷺ، وحاشاه من ذلك أول المقصرين في المطالبة بحق نص عليه رسول الله ﷺ لماذا تعاون معهم؟ ولكن بالعكس كان محباً لجميع الصحابة وفي مقدمتهم إخوته الثلاثة الذين سبقوه في حمل أعباء الأمة عارفا عظيم منزلتهم عند الله وعند رسوله، عاقدا قلبه على بيعة من بايعه منهم صدقاً لا نفاقاً وهو أجل من أن ينافق فمن ادعى خلاف ذلك كقولهم بأنه تركها تقية فقد ذم عليا فاستحق منه البراءة والسخط ومن الله اللعنة والنار.

وكان من محبته لهم أنه سمى بعض أبنائه بأسمائهم، ومن أبنائه بعد الحسنين ومحمد بن الحنفية أبوبكر وعمر وعثمان، وتعاون معهم حتى زوَّج ابنته أم كلثوم لأحدهم، وهذا ما يسمى بالمنطق المقلوب، كيف تغتصب شيئا من إنسان ثم بعد ذلك يتعاون معك ويسمي أبناءه باسمك ثم بعد ذلك يصل الأمر إلى الزواج وهذا غير معقول.

وهناك أحاديث رُويت عن علي بن أبي طالب ﷺاثنا فيها على أبي بكر وعمر وعثمان ﷺ أجمعين منها:

عن عَلِي بْنِ أَبِي طَالِبٍ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ رُفَقَاءَ أَوْ رُقَبَاءَ وَأُعْطِيتُ أَنَا أَرْبَعَةَ عَشَرَ، قُلْنَا: مَنْ هُمْ؟ قَالَ، أَنَا وَابْنَايَ، وَجَعْفَرُ، وَحَمْزَةُ، وَأَبُو بَكْرٍ، وَعُمَرُ، وَمُصْعَبُ بْنُ عُمَيْرٍ، وَبِلاَلٌ، وَسَلْمَانُ، وَعَمَّارٌ، وَالْمِقْدَادُ، وَحُذَيْفَةُ، وَعَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ"**(1).

وعن علي ﷺ قال: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: **"رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ زَوَّجَنِيَ ابْنَتَهُ، وَحَمَلَنِي إِلَى دَارِ الهِجْرَةِ، وَأَعْتَقَ بِلاَلاً مِنْ مَالِهِ، رَحِمَ اللهُ عُمَرَ، يَقُولُ الحَقَّ وَإِنْ كَانَ مُرًّا، تَرَكَهُ الحَقُّ وَمَا لَهُ صَدِيقٌ، رَحِمَ اللهُ عُثْمَانَ تَسْتَحْيِيهِ المَلاَئِكَةُ، رَحِمَ اللهُ عَلِيًّا، اللهمَّ أَدِرِ الحَقَّ مَعَهُ حَيْثُ دَار"**(2).

---

(1) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، **باب مناقب الحسن و الحسين** رضي الله عنهما، رقم 3785. وقال حديث حسن غريب

(2) أخرجه الترمذي في سننه، كتاب المناقب عن رسول الله صلى الله عليه و سلم، باب مناقب علي رضي الله عنه، رقم 3714. وقال حديث غريب

عن قيس بن عبادة، قال: قال لي علي بن أبي طالب: إن رسول الله ﷺ مرض ليالي وأياماً ينادي بالصلاة فيقول: **"مُرُوا أَبَا بَكْرٍ فَلْيُصَلِّ بِالنَّاسِ"**[1]، فلما قبض رسول الله ﷺ نظرت فإذا الصلاة علم الإسلام، وقوام الدين فرضينا لدنيانا من رضي رسول الله ﷺ لديننا، فبايعنا أبا بكر[2].

وعندما مات أبوبكر الصديق أثنى عليه علي رضي الله عنه، في خطبة طويلة تثلج الصدور، حتى وإن كانت طويلة سأذكرها لأن الحديث مع هؤلاء لا يمل وتلين منه القلوب رضي الله عنهم ورضوا عنه.

عن أسيد بن صفوان وكان قد أدرك النبي ﷺ قال: لما قبض أبو بكر فسجي عليه وارتجت المدينة بالبكاء عليه كيوم قبض رسول الله ﷺ فجاء علي مسترجعًا وهو يقول: اليوم انقطعت خلافة النبوة حتى وقف على باب البيت الذي فيه أبو بكر وهو مسجى فقال: يرحمك الله يا أبا بكر، كنت إلف رسول الله ﷺ وأنسه ومستراحه وثقته وموضع سره ومشاورته، كنت أول القوم إسلامًا وأخلصهم إيمانًا وأشدهم يقينًا، وأخوفهم لله وأعظمهم غناء في دين الله وأحوطهم على رسول الله ﷺ وأحدبهم على الإسلام وأيمنهم على أصحابه وأحسنهم صحبة وأكثرهم مناقب وأفضلهم سوابق، وأرفعهم درجة وأقربهم وسيلة وأشبههم برسول الله ﷺ هديًا وسمتًا ورحمة وفضلًا، وأشرفهم منزلة وأكرمهم عليه وأوثقهم عنده، فجزاك الله عن الإسلام وعن رسوله خيرًا، كنت عنده بمنزلة السمع والبصر، صدقت رسول الله ﷺ حين كذبه الناس فسماك الله ﷻ في تنزيله صديقًا، فقال: ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ الذي جاء بالصدق محمد ﷺ وصدق به أبو بكر، واسيته حين بخلوا وقمت به عند المكاره حين عنه قعدوا، وصحبته في الشدة أكرم الصحبة

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأذان، باب أهل الفضل والعلم أحق بالإمامة، حديث رقم: 682.

(2) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، بن عبد البر، تح، علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط: 1، 1412 هـ - 1992 م، ج: 3، ص971، ترجمة أبي بكر الصديق رضي الله عنه رقم 1633.

﴿ ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ ﴾ وصاحبه في الغار والمنزل عليه السكينة، ورفيقه في الهجرة، وخلفته في دين الله وأمته أحسن الخلافة حين ارتد الناس، وقمت بالأمر ما لم يقم به خليفة نبي، فنهضت حين وهن أصحابك وبرزت حين استكانوا وقويت حين ضعفوا، ولزمت منهاج رسول الله ﷺ إذ هموا كنت خليفة حقا لم تنازع ولم تصدع برغم المنافقين وكبت الكافرين وكره الحاسدين وغيظ الباغين، وقمت بالأمر حين فشلوا وثبت حين تتعتعوا ومضيت بنور الله إذ وقفوا، فاتبعوك فهدوا، وكنت أخفضهم صوتًا وأعلاهم فوقًا وأمثلهم كلامًا وأصوبهم منطقًا وأطولهم صمتًا وأبلغهم قولًا وأشجعهم نفسًا وأعرفهم بالأمور وأشرفهم عملًا، كنت والله في الدين يعسوبا أولا حين نفر الناس عنه وآخرا حين قفلوا كنت للمؤمنين أبا رحيما إذ صاروا عليك عيالا فحملت أثقال ما ضعفوا ورعيت ما أهملوا وحفظت ما أضاعوا لعلمك ما جهلوا فشمرت إذ خنعوا وعلوت إذ هلعوا وصبرت إذ جزعوا فأدركت أوتار ما طلبوا وراجعوا رشدهم برأيك فظفروا ونالوا بك ما لم يحتسبوا، كنت على الكافرين عذابا صبا ولهبا وللمؤمنين رحمة وإنسًا وحصنًا فطرت والله بغنائها وفزت بحبائها وذهبت بفضائلها وأدركت سوابقها، لم تفلل حجتك ولم تضعف بصيرتك ولم تجبن نفسك، ولم يرع قلبك ولم يخر، كنت كالجبل الذي لا تحركه القواصف ولا تزيله العواصف وكنت كما قال رسول الله ﷺ أمنّ الناس علينا في صحبتك وذات يدك وكنت كما قال ضعيفًا في بدنك قويًّا في أمر الله، متواضعًا في نفسك عظيمًا عند الله، جليلًا في أعين الناس كبيرًا في أنفسهم، لم يكن لأحد فيك مغمز ولا لقائل فيك مهمز ولا لأحد فيك مطمع ولا لمخلوق عندك هوادة، الضعيف الذليل عندك قوي عزيز حتى تأخذ بحقه والقوي عندك ضعيف ذليل حتى تأخذ منه الحق، القريب والبعيد عندك في ذلك سواء، أقرب الناس إليك أطوعهم لله وأتقاهم له، شأنك الحق والصدق والرفق، قولك حكم وحتم وأمرك حلم وحزم، ورأيك علم وعزم، فأقلعت وقد نهج السبيل وسهل العسير وأطفأت النيران واعتدل بك الدين وقوي بك الإيمان، وثبت الإسلام والمسلمون، وظهر أمر الله ولو كره الكافرون، فسبقت والله سبقًا

بعيدًا وأتعبت من بعدك إتعابًا شديدًا، وفزت بالخير فوزًا مبينًا، فجللت عن البكاء وعظمت رزيتك في السماء وهدت مصيبتك الأنام، فإنا لله وإنا إليه راجعون، رضينا عن الله قضاءه وسلمنا له أمره، فوالله لن يصاب المسلمون بعد رسول الله ﷺ بمثلك أبدًا، كنت للدين عزًّا وحرزًا وكهفًا وللمؤمنين فئة وحصنًا وغيثًا، وعلى المنافقين غلظة وغيظًا، فألحقك الله بنبيك ﷺ ولا حرمنا أجرك ولا أضلنا بعدك، فإنا لله وإنا إليه راجعون قال: وسكت الناس حتى انقضى كلامه ثم بكوا حتى علت أصواتهم وقالوا: صدقت يا ختن رسول الله ﷺ [1].

وروي في حديث آخر أن رجلاً سأل علي بن أبي طالب فقال له: من أول الناس دخولاً الجنة بعد رسول الله ﷺ؟ ، قال: أبو بكر وعمر، قلت: يا أمير المؤمنين! يدخلانها قبلك؟ قال: أي والذي فلق الحبة وبرأ النسمة! إنهما ليأكلان من ثمارها ويرويان من مائها ويتكئان على فراشها وأنا موقوف مغموم مهموم بالحساب، وإن أول من يتقدم إلى الرب في الخصومة أنا ومعاوية [2].

وعن علقمة قال: خطبنا علي فحمد الله وأثنى عليه ثم قال: «إنه بلغني أن ناساً يفضلوني على أبي بكر وعمر ولو كنت تقدمت في ذلك لعاقبت فيه ولكني أكره العقوبة قبل التقدم، فمن قال شيئا من ذلك بعد مقامي هذا فهو مفتر، عليه ما على المفتري، خير الناس بعد رسول الله ﷺ أبو بكر ثم عمر، ثم أحدثنا بعدهم أحداثا يقضي الله فيها ما يشاء» [3].

---

(1) الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي العباس القرطبي، دار الكتب العلمية، ط: 2، ب ت، ج: 1، ص262ـ264.

(2) أخرجه علاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري في كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، كتاب الفضائل، باب فضائل الصحابة، رقم 36100، تح، بكري حياني – صفوة السقا، ط: 5، 1401هـ/ 1981م، دار مؤسسة الرسالة.

(3) المرجع نفسه، كتاب الفضائل، باب فضائل الصحابة رقم 36143

يقول الراوي: وكان حسن بن علي ﷺ حاضراً فقال: لو سمى ثالثاً لسمى عثمان، أو كما قال.

هذه الأدلة كلها أو جلها ذكرها الإمام الدهلوي في كتابه "إزالة الخفاء"، حيث دافع الإمام عن الخلفاء وخلافتهم.

ويذكر صاحب كتاب "نظام الحكم في عهد الخلافة الراشدة"، للدكتور السيد السيد أبو الحق: «بأن علياً ﷺحين سمع بيعة أبي بكر خرج بقميص ليس عليه إزار ولا رداء عجلا حتى بايعه ثم استدعى إزاره ورداءه فتجلله ولزم مجلسه، ويذكر أيضا كيف كانت البيعة بقوله: **"... فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ نَظَرَ فِي وُجُوهِ الْقَوْمِ فَلَمْ يَرَ عَلِيًّا فَسَأَلَ عَنْهُ، فَقَالَ: نَاسٌ مِنَ الْأَنْصَارِ فَأَتَوْا بِهِ، فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: ابْنُ عَمِّ رَسُولِ الله ﷺ وَخَتَنُهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ؟ فَقَالَ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله ﷺ فَبَايَعَهُ، ثُمَّ لَمْ يَرَ الزُّبَيْرَ بْنَ الْعَوَّامِ فَسَأَلَ عَنْهُ حَتَّى جَاءُوا بِهِ، فَقَالَ: ابْنُ عَمَّةِ رَسُولِ الله ﷺ وَحَوَارِيُّهُ أَرَدْتَ أَنْ تَشُقَّ عَصَا الْمُسْلِمِينَ، فَقَالَ مِثْلَ قَوْلِهِ: لَا تَثْرِيبَ يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ الله ﷺ فَبَايَعَاهُ"**[1][2].

في هذا النص دليل قوي على أن عليا بايع أبا بكر الصديق في خلافته والدليل على ذلك سرعته حتى ترك إزاره ورداءه لمبايعته حتى قال له لا تثريب عليك يا خليفة رسول الله ﷺ.

وهذا دليل قوي في الرد على الرافضة الذين يكفرون ويسبون الصحابة رضوان الله عليهم والشيخان أبوبكر وعمر وهذا هو الكفر والفسوق بعينه، ولا يبغض جيل الصحابة فيما قاموا به للإنسانية إلا ظالم يغالـط في الحـق أو زنديق يطعـن الإسلام غير الذي

(1) أخرجه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، حديث ضمرة وأبو طلحة، حديث رقم، 4457. وقال حديث صحيح على شرط الشيخين، وسكت عنه الذهبي في التلخيص.

(2) نظام الحكم في عهد الخلافة الراشدة، د. السيد السيد أبو الحق، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، ط: 1، 1408 هـ – 1987م، ص: 50.

يظهره لأهله إن كان من المنتسبين إليه [1].

يقول الإمام أبو زرعة الرازي[2]: «إذا رأيت الرجل ينتقص أحداً من أصحاب رسول الله صلى عليه وسلم فاعلم أنه زنديق؛ لأن الرسول ﷺ عندنا حق، والقرآن حق، وإنما أدى إلينا هذا القرآن والسنن أصحاب رسول الله ﷺ، وإنما يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة»[3].

ومن المعلوم أن الرسول ﷺ شدد في النهي عن سب الصحابة ﷺ فيما روي عنه أنه قال: **"لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ"**[4].

أما ادعاؤهم بأن عليا قد نص على الحسن او الحسين من بعده فتلك محض افتراء لا نص علي على أحد فقد قيل له: «ألا تستخلف علينا؟ فقال: ما استخلف رسول الله ﷺ فاستخلف، ولكن إن يرد الله بالناس خيرا فسيجمعهم بعدي على خيرهم، كما جمعهم بعد نبيهم على خيرهم»[5].

---

(1) ينظر المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للذهبي، تح، محب الدين الخطيب، ب ط، ب د، ص6.

(2) هو أحمد بن الحسين بن علي بن إبراهيم بن الحكم: من علماء الحديث والراحلين في علوه، سمع الكثير من علماء الحديث منهم، أبا عبد الله المحاملي وعبد الرحمن بن أبي حاتم ومحمد بن مخلد وأبا حامد بن بلال وعلي بن أحمد الفارسي وقال ابن المحسن: سألته عن مولده فقال: رحلت إلى العراق أول مرة سنة أربع وعشرين وثلاثمائة ولي أربع عشرة سنة. وتوفي بطريق مكة سنة خمس وسبعين وثلاثمائة، رحمه الله تعالى. ينظر تذكرة الحفاظ، للذهبي، ط: 1، 1419هـ- 1998م، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ج: 3، ص137.

(3) المرجع نفسه، ص11.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم (لو كنت متخذا خليلا) رقم 3673.

(5) البداية والنهاية لابن كثير، تح، علي شيري، دار إحياء التراث العربي، ط: 1، 1408هـ- 1988م، ج: 5، ص: 271.

2 – ومن معتقداتهم وأفكارهم العصمة لاثنى عشر إماما، وهم علي بن ابي طالب (المرتضى) والحسن (المجتبى) والحسين (الشهيد) وعلي زين العابدين (السجاد) ومحمد (الباقر) وجعفر (الصادق) وموسى (الكاظم) وعلي (الرضا) ومحمد الجواد (التقي) وعلي الهادي (النقي) والحسن العسكري (الزكي) ومحمد المهدي (الحجة القائم) المنتظر[1] عن الخطأ والنسيان وعن اقتراف الكبائر والصغائر وعلى هذا كل ما يقولونه شرع يمثل حتى ولو أمر بتعطيل الشريعة وكذلك أثبتوا لهم العلم اللدني والأسرار التي استودعهم إياها الرسول ﷺ لتكمل الشريعة وليس بينهم وبين النبي ﷺ من فرق سوى الوحي، أو أنهم يوحى اليهم لكن بطريقة مختلفة عن النبي والرسول وتظهر الخوارق على أيديهم ويعلمون ما كان وما يكون ولا يخفى عليهم.

أما قولهم بهذا القول فذلك كله باطل وكذب على الله وعلى رسوله وعلى أئمتهم أنفسهم فلا معصوم إلا رسول الله ﷺ وقد شهد بذلك رب العزة ﷻ بقوله تعالى: ﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝٣ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ۝٤ ﴾[2] وقد انقطع الوحي بالتحاقه ﷺ إلى الرفيق الأعلى وأكمل الله الدين وأتم النعمة، وقال قبل موت نبيه ﷺ ﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ﴾[3].

أما ادعاءهم بعلم الغيب فهو من صفات الله تعالى الخاصة بجلاله لا يشاركه فيها أحد إلا من شاء بما شاء قال تعالى: ﴿ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ

(1) إسلام بلا مذاهب، مصطفى الشكعة، الدار المصرية اللبنانية، ط: 14، 1418هـ-1997م، ص190.

(2) سورة النجم، الآية 3-4.

(3) سورة المائدة، الآية: 3.

مِن رَّسُولٍ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ رَصَدٗا ﴿٢٧﴾ لِّيَعۡلَمَ أَن قَدۡ أَبۡلَغُواْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّهِمۡ وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيۡهِمۡ وَأَحۡصَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ عَدَدَۢا ﴿٢٨﴾ ﴾ [1]

3- الغيبة: ادعوا بأن الإمام الثاني عشر قد غاب في سرداب في دار أبيه واختلفوا في سنه حينذاك ما بين أربع أو ثماني سنوات إلا أنه كما يزعمون كان عالما بالأحكام وطاعته واجبة. وقيل: كان الحكم لعلماء مذهبه، ويعتقدون كذلك بالرجعة أي رجوع الإمام الثاني عشر في آخر الزمان ليملأ الأرض عدلا كما ملئت جورا عندما يأذن الله له بالخروج ويقفون كل ليلة بعد صلاة المغرب بباب السرداب يهتفون باسمه وبدعوته للخروج حتى تشتبك النجوم.

وهذه المسألة أي الغيبة والرجعة فقد بلغت الذروة في الخيال والوهم وهذه الشخصية (الإمام الغائب) شخصية موهومة ومخترعة منسوبة كذبا للحسن العسكري الذي مات من غير ولد، أي أنه لم ينجب، وقام أخوه جعفر بتصفية تركته على أنه لا ولد له، إذ أن للعلويين سجل مواليد كان يقوم عليه نقيب في تلك الأزمان، بحيث لا يولد لهم مولود إلا سُجل فيه ولم يسجل فيه للحسن العسكري مولودا، ويشيع بين كثير من العلويين المعاصرين أن الحسن العسكري مات عقيما، ولكن في نظرتهم لما مات الحسن العسكري توقفت سلسلة الإمامة عند اتباعها ورأوا أن المذهب مات بموت صاحبه، وأصبحوا غير إمامين لأنهم لا إمام لهم فاخترع لهم شيطان من شياطينهم يسمى محمد بن نصير فكرة أن للحسن ولدا مختبأ في سرداب بيت أبيه ليحتال عليهم لتحصيل الأموال منهم باسم إمام موجود وليواصلوا ادعاءهم أنهم إمامية، فلما وقع الاختلاف بينهم على من يقوم بمهمة الباب (السرداب الموهوم)، انشق عنهم ابن نصير وكوَّن مذهب النصيرية [2].

(1) سورة الجن، الآية: 26-27-28.

(2) ينظر: صورتان متضادتان عن أهل السنة والشيعة، أبو الحسن الندوي، دار إحياء التراث الإسلامي، (ب ط)، ص: 80، وإسلام بلا مذاهب، مصطفى الشكعة، ص: 205.

وإجمالاً لهذا كله: فإن ما ادعوه لأئمتهم كذب وافتراء على الله، وقدح في عقيدة خاتم النبوة المتواترة؛ لأن الصفات التي يدعونها لأئمتهم هي صفات الأنبياء.

يقول الإمام الدهلوي: «إن بطلان الإمامية يعرف بلفظ الإمام، فإن الإمام عندهم هو المعصوم، المفترض الطاعة، الموحي إليه وحياً باطنياً، وهذا هو معنى النبي، فمذهبهم يستلزم إنكار النبوة»[1].

وما أحسن قول الإمام الشعبي [2] الذي يُكتب بماء الذهب في مقارنة الشيعة الرافضة باليهود والنصارى، والحكم بأصحاب أنبيائهم ومعرفة منزلتهم وتأثيرهم بذلك، فقد روي عنه أنه قال: « سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواري عيسى وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم: قالوا: أصحاب محمد ﷺ أمروا بالاستغفار لهم فسبوهم» [3].

(1) الإمام المجدد والمحدث، الشاه ولي الله الدهلوي، محمد بشير، ص 188.

(2) هو: عامر بن شراحيل بن عبد، وقيل عامر بن عبد الله بن شراحيل الشعبي الحميري أبو عمرو الكوفي، ثقة مشهور فقيه فاضل، روى عن علي وسعد بن أبي وقاص، وروى عنه أبو إسحاق السَّبيعي والأعمش، توفي سنة 110هـ، وقيل غير ذلك، ينظر: تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار الفكر – بيروت، ط1: 1404هـ – 1984مـ، (5/ 57)، وتقريب التهذيب، لا بن حجر، تح: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط1: 1406هـ – 1986مـ، ص 287، برقم 3092.

(3) منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تح، محمد رشاد سالم، ط: 1 1406 هـ – 1986 م، دار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ج: 1، ص27.

المطلب الثالث: الأدلة على عودة الخلافة.

إن التدافع الحضاري بين الأمم والحضارات سنة ماضية إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، والصراع بين الحق والباطل أخضع الأولين والآخرين، وإن الأمم تعتريها حالات القوة والضعف، يقول الله تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴿٢﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٣﴾ ﴾ [1].

إن ما تعيشه الأمة الإسلامية من هوان وركود ليس بدعاً في تاريخها، وإنما هي طريقة خلت، ومن المعلوم أننا بلغنا من التاريخ ما فيه من العبر، وإن هذه الأمة لا تكاد تموت حتى تنتصر، وكما انتصرت دوماً من قبل، فسوف تنتصر أبداً من بعد بمشيئة الله تعالى.

وينبغي على كل من يعمل في حقل الدعوة أن يبين للناس بأن الأمة الإسلامية حتى ولو ضعفت ومرضت لن تموت، وخاصة في واقعنا المعاش الذي أصيبت الأمة فيه بمرض عضال، ولكن مهما كانت الظروف سيزول هذا المرض وتتعافى الأمة بإذنه تعالى، لأن الله تعالى وعدها بالتمكين والانتصار قال تعالى: ﴿ وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١٣٩﴾ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ وَلِيُمَحِّصَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَمْحَقَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿١٤١﴾ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُواْ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَعْلَمِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ مِنكُمْ وَيَعْلَمَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿١٤٢﴾ ﴾ [2].

وبدأ الباحث بهذا التمهيد قبل ذكر الأدلة لكي يرفع اليأس والقنوط في قلب القارئ الذي تسرب في قلوب الكثير من أبناء هذه الأمة سواء كان المثقفون منهم أم غيرهم، يظنون أن الأمة لن يكون لها شأن، وهم ينظرون إلى الظروف التي تعيش فيها، ولكن ما بعد الليل

---

(1) سورة، العنكبوت: الآية،: 2 – 3

(2) سورة، آل عمران: الآية: 139– 142.

إلا الفجر وما بعد العسر إلا اليسر، إن مع العسر يسرا ولا ينبغي للمسلم أن ييأس؛ لأن الله وعده بالنصر والتمكين والاستخلاف في الأرض قال تعالى: ﴿ وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾[1].

أولاً: الأدلة من القرآن الكريم.

جاءت أدلة كثيرة من القرآن الكريم تدل على عودة الخلافة والتمكين في الأرض منها:

1ـ يقول الله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًاۚ يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔاۚ وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٥٥﴾ ﴾[2]، وفي هذه الآية دليل على الاستخلاف في الأرض ولكن بشرط الإيمان بالله وعدم الإشراك به والالتزام بمنهج دينه ﷻ.

قال ابن جرير الطبري[3]: «ليجعلهم خلفاء متصرفين في الأرض لما كان الوعد من الله في تحققه كالقسم تُلُقي بما يُتَلَقّى به القسم أو تقديره وعد الله الذين آمنوا وأقسم ليستخلفنهم»[4].

---

(1) سورة يوسف: الآية: 87.

(2) سورة النور: الآية: 55.

(3) هو: محمد بن جرير بن يزيد الطبري، أبو جعفر: المؤرخ المفسر الإمام. ولد في آمل طبرستان سنة 224، واستوطن بغداد وعرض عليه القضاء فامتنع، والمظالم فأبى. وله مؤلفات كثيرة منها: أخبار الرسل والملوك ويعرف بتاريخ الطبري، وجامع البيان في تفسير القرآن ويعرف بتفسير الطبري، والمسترشد في علوم الدين، وغير ذلك. وهو من ثقات المؤرخين، قال ابن الأثير: أبو جعفر أوثق من نقل التاريخ، وفي تفسيره ما يدل على علم غزير وتحقيق. وكان مجتهداً في أحكام الدين لا يقلد أحداً، بل قلده بعض الناس وعملوا بأقواله وآرائه، توفي ببغداد سنة، 310هـ. ينظر: طبقات المفسرين، للسيوطي، ص: 82.

(4) جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1424 هـ=

وقال السيد قطب[1]: « لقد تحقق وعد الله مرة، وظل متحققاً وواقعاً ما قام المسلمون على شرط الله: «يَعْبُدُونَنِي لا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً» لا من الآلهة ولا من الشهوات ويؤمنون- من الإيمان- ويعملون صالحاً. ووعد الله مذخور لكل من يقوم على الشرط من هذه الأمة إلى يوم القيامة. إنما يبطئ النصر والاستخلاف والتمكين والأمن لتخلف شرط الله في جانب من جوانبه الفسيحة أو في تكليف من تكاليفه الضخمة حتى إذا انتفعت الأمة بالبلاء، وجازت الابتلاء، وخافت فطلبت الأمن، وذلت فطلبت العزة، وتخلفت فطلبت الاستخلاف، كل ذلك بوسائله التي أرادها الله، وبشروطه التي قررها الله. . . تحقق وعد الله الذي لا يتخلف، ولا تقف في طريقه قوة من قوى الأرض جميعا »[2].

ولو كان هذا الوعد من إنسان، قد يرتاب ويتردد بين القبول والرفض، ولكن أن يكون الوعد من الله ﷻ لذلك قاطع لكل الظنون والشكوك والترددات، ويجب على كل مسلم أن يكون واثقا بوعد الله، وينبغي من الجهة المقابلة أن يطرح وساوس اليأس والقنوط لأنهما من مقتضيات الفسق والضلال[3].

=2004 م، ج: 3، ص134.

(1) هو: سيد قطب بن إبراهيم من مواليد قرية (موشا) في أسيوط سنة 1324ه – 1906م تخرج بكلية دار العلوم (بالقاهرة) وعين مدرسا للعربية، ثم أوفد في بعثة لدراسة (برامج التعليم) في أميركا ولما عاد انتقد البرامج المصرية وكان يراها من وضع الإنجليز، وطالب ببرامج تتمشى به الفكرة الإسلامية. وسجن مع الإخوان المسلمين، فعكف على تأليف الكتب ونشرها وهو في سجنه، إلى ان صدر الأمر بإعدامه، فأعدم سنة 1387هـ-1966م وكتبه كثيرة مطبوعة متداولة، منها (النقد الأدبي، أصوله ومناهجه) و (العدالة الاجتماعية في الإسلام) و (التصوير الفني في القرآن) و (مشاهد القيامة في القرآن) و (كتب وشخصيات) و (أشواك) و (الإسلام ومشكلات الحضارة) و (السلام العالمي والإسلام) و (المستقبل لهذا الدين) و (في ظلال القرآن) و (معالم في الطريق). ينظر الأعلام للزركلي، ج: 3، ص: 147.

(2) في ظلال القرآن، للسيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط: 17، ج: 4، 1412هـ، ص: 2528.

(3) ينظر محاضرات في الدعوة، أحمد أبو سجادة ص6.

2ــ يقول الله ﷻ: ﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ أَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ وَأَمَرُوا۟ بِٱلْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا۟ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۗ وَلِلَّهِ عَٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴿٤١﴾ ﴾[1].

النصر والاستخلاف مرهون في هذه الآية بإعلاء كلمة الله والالتزام بمنهجه.

3ــ يقول الله ﷻ: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ﴾[2].

هذه الآية وعد الله فيها المؤمنين بالنصر على العدو وتثبيت الأقدام في الجهاد والطاعات بشرط مناصرة دينه.

4ــ يقول الله ﷻ: ﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾[3]

في هذه الآية يبشرنا الله ﷻ بأن الإسلام سينتصر على الأديان كلها ويحكم عليها.

يقول السيد قطب: « والله سبحانه يعلن قضاءه بظهور دين الحق الذي أرسل به رسوله على «الدين» كله بهذا المدلول الشامل العام! إن الدينونة ستكون لله وحده. والظهور سيكون للمنهج الذي تتمثل فيه الدينونة لله وحده.

ولقد تحقق هذا مرة على يد رسول الله- ﷺ- وخلفائه ومن جاء بعدهم فترة طويلة من الزمان، وكان دين الحق أظهر وأغلب وكانت الأديان التي لا تخلص فيها الدينونة لله تخاف وترجف! ثم تخلى أصحاب دين الحق عنه خطوة فخطوة بفعل عوامل داخلة في تركيب المجتمعات الإسلامية من ناحية وبفعل الحرب الطويلة المدى، المنوعة الأساليب، التي أعلنها عليه أعداؤه من الوثنيين وأهل الكتاب سواء.

(1) سورة الحج، الآية: 41.

(2) سورة محمد، الآية: 7.

(3) سورة التوبة، الآية: 33.

ولكن هذه ليست نهاية المطاف. . إن وعد الله قائم، ينتظر العصبة المسلمة، التي تحمل الراية وتمضي، مبتدئة من نقطة البدء، التي بدأت منها خطوات رسول الله ﷺ وهو يحمل دين الحق ويتحرك بنور الله»[1].

وأما ما يتناوله بعض الناس من القول بأن الخلافة قد تحققت في عهد الخلفاء الراشدين وبعض الملوك من بعدهم وهذا خطأ يقع فيه هؤلاء البعض، والذي تحقق إنما هو جزء من الوعد الصادق، كما أشار النبي ﷺ عَنْ عَائِشَةَ، قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ الله ﷺ يَقُولُ: **"لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ حَتَّى تُعْبَدَ اللَّاتُ وَالْعُزَّى» فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ الله إِنْ كُنْتُ لَأَظُنُّ حِينَ أَنْزَلَ اللهُ: {هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ} أَنَّ ذَلِكَ تَامًّا قَالَ «إِنَّهُ سَيَكُونُ مِنْ ذَلِكَ مَا شَاءَ اللهُ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَوَفَّى كُلَّ مَنْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ حَبَّةِ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ، فَيَبْقَى مَنْ لَا خَيْرَ فِيهِ، فَيَرْجِعُونَ إِلَى دِينِ آبَائِهِمْ"**[2].

وهذه الآيات كلها تبشر المؤمنين بالنصر في كل زمان ومكان لأن القرآن صالح في كل الأمكنة والأزمنة حتى يرث الله الأرض ومن عليها، والمؤمن واثق بأن هذا الدين سينتصر وهذا وعد من الله، والله لا يخلف الميعاد.

ثانياً: الأدلة من السنة النبوية.

أما من السنة هناك الكثير من الأحاديث التي تبشر بالنصر والاستخلاف وانتشار للدين، منها ما تحقق، ومنها ما ينتظر، فكل شيء بتقدير الله ﷻ وهذه الأحاديث منها:

(1) في ظلال القرآن، للسيد قطب، ج: 3، ص1643.

(2) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، رقم 2907.

1ــ قَالَ رَسُولُ الله ﷺ: "إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ، فَرَأَيْتُ مَشَارِقَهَا وَمَغَارِبَهَا، وَإِنَّ أُمَّتِي سَيَبْلُغُ مُلْكُهَا مَا زُوِيَ لِي مِنْهَا. . . "[1].

وقوله ﷺ: "لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ الله بَيْتَ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ الله هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ الله بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ الله بِهِ الْكُفْرَ"[2].

وقال ﷺ: "تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ الله أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًّا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ الله أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ"[3].

وفي المسند أيضاً قال ﷺ: "فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ الله هَذَا الْأَمْرَ، حَتَّى تَخْرُجَ الظَّعِينَةُ مِنَ الْحِيرَةِ، حَتَّى تَطُوفَ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارِ أَحَدٍ، وَلَيَفْتَحَنَّ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ قَالَ: قُلْتُ: كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ؟ قَالَ: «نَعَمْ، كِسْرَى بْنُ هُرْمُزَ، وَلَيُبْذَلَنَّ الْمَالُ حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ» قَالَ عَدِيُّ بْنُ حَاتِمٍ: «فَهَذِهِ الظَّعِينَةُ تَخْرُجُ مِنَ الْحِيرَةِ، فَتَطُوفُ بِالْبَيْتِ فِي غَيْرِ جِوَارٍ، وَلَقَدْ كُنْتُ فِيمَنْ فَتَحَ كُنُوزَ كِسْرَى بْنِ هُرْمُزَ، وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَتَكُونَنَّ الثَّالِثَةُ، لِأَنَّ رَسُولَ الله ﷺ قَدْ قَالَهَا"[4].

---

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب هلاك هذه الأمة بعضهم ببعض، رقم 2889

(2) أخرجه أحمد في مسنده، ، مسند الشاميين، ، رقم 16957. وقال شعيب الأرنؤوط،: صحيح على شرط مسلم.

(3) أخرجه أحمد في مسنده، ، مسند الكوفيين، رقم 18406.

(4) المرجع السابق، مسند الكوفيين، رقم 18259. وقال شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ الله عَنْهُ، قَالَ: قَالَ النَّبِيُّ ﷺ: **"لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ، فَيَفِيضَ حَتَّى يُهِمَّ رَبَّ المَالِ مَنْ يَقْبَلُ صَدَقَتَهُ، وَحَتَّى يَعْرِضَهُ، فَيَقُولَ الَّذِي يَعْرِضُهُ عَلَيْهِ: لاَ أَرَبَ لِي"**(1).

وقال ﷺ: **"تَصَدَّقُوا، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يَمْشِي الرَّجُلُ بِصَدَقَتِهِ، فَلاَ يَجِدُ مَنْ يَقْبَلُهَا، يَقُولُ الرَّجُلُ: لَوْ جِئْتَ بِهَا بِالأَمْسِ لَقَبِلْتُهَا، فَأَمَّا اليَوْمَ، فَلاَ حَاجَةَ لِي بِهَا"**(2).

وقال ﷺ: **"لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُودَ، فَيَقْتُلُهُمُ الْمُسْلِمُونَ حَتَّى يَخْتَبِئَ الْيَهُودِيُّ مِنْ وَرَاءِ الْحَجَرِ وَالشَّجَرِ، فَيَقُولُ الْحَجَرُ أَوِ الشَّجَرُ: يَا مُسْلِمُ يَا عَبْدَ الله هَذَا يَهُودِيٌّ خَلْفِي، فَتَعَالَ فَاقْتُلْهُ، إِلَّا الْغَرْقَدَ، فَإِنَّهُ مِنْ شَجَرِ الْيَهُودِ"**(3).

من خلال الأحاديث السالفة يتبين لنا أن الساعة لن تقوم حتى تحقق للمسلمين البشارات الآتية:

1ــ سيعم الإسلام العالم، ويدخل فيه أهل الأرض جميعا، وأرى تباشير الصبح بدأت تلوح من بعيد على سماء لندن وباريس وروما، وواشنطن وبرلين.

2ــ ستعود دولة الإسلام على منهاج النبوة.

3 ــ لن تقوم الساعة حتى يقاتل المسلمون اليهود، ويتزامن ذلك مع كرامات خارقة، حينما يقف الشجر والحجر إلى جانب المسلمين في معركتهم هذه فيكلم المسلمين! !

4ــ لن تقوم الساعة حتى تنعش دولة الإسلام، ويعم فيها الرخاء والوفرة، والحياة الراغدة الآمنة.

---

(1) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الزكاة، باب الصدقة قبل الرد، رقم 1412.

(2) المرجع نفسه، رقم 1345.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الفتن وأشراط الساعة، باب لا تقوم الساعة حتى تعبد دوس ذا الخلصة، رقم 2922.

5ــ أن يتحقق الاكتفاء الذاتي على مستوى الأفراد والجماعات، على نموذج لم يسبق إليه

مثيل في التاريخ البشري، إذ لا يكاد الإنسان يجد فقيراً واحداً يقبل منه الصدقة. [1]

وهذه الأحاديث كلها أكد فيها الرسول ﷺ على مستقبل الإسلام والتمكين في الأرض للأمة الإسلامية.

ثالثاً: تصريحات مشاهير العلماء وفلاسفة الغرب على مستقبل الإسلام.

هناك تصريحات كثيرة نطقت بها ألسن العلماء وفلاسفة الغرب على مستقبل الإسلام وهذه التصريحات ربما ينطق بها أعداء للإسلام و الحق ما شهدت به الأعداء.

قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ ﴾[2].

يقول محمد سعيد رمضان البوطي: «لاشك أن الإسلام له دور الريادة في قيادة العالم الجديد، ذلك لأن المناخ العام في المجتمع الغربي بشطريه الأوروبي والأمريكي قد تهيأ لفهم الإسلام وقبوله، كما لم يتهيأ لذلك في أي عهد سابق من قبل. . . . . فالمجتمع هنالك لايزال متجها إلى مزيد من التفكك، والأسرة ماضية إلى الاضمحلال. . . وتتزايد تحت وطأة ذلك كله، عوامل القلق النفسي، وتتلاحق الأسئلة الملحة. . . وتزداد الأسئلة في غمار ذلك عن أصل الكون. . وقيمة الحياة. . ونهايتها وما قد يكون وراءها، والسبيل الأمثل إلى طمأنينة النفس وراحة الفؤاد»[3].

ويقول أبو الأعلى المودودي بصدد تصويره لواقع العالم الغربي والنهاية المحتومة التي سيلقاها: «ولايزال هذا الداء الوبيل – من غلبة الشهوات البهيمية – ينفجر في كيان الأمم الغربية وينتقص من قوة حياتها بسرعة هائلة، والتاريخ يشهد أنه ما سرى هذا الداء في

(1) محاضرات في الدعوة، أحمد أبو سجادة، ص8.

(2) سورة الأنبياء، الآية: 18.

(3) وهذه مشكلاتنا، محمد سعيد رمضان البوطي، الناشر مكتبة الفرابي-دمشق، ط: 3، 1995م، ص98.

مفاصل أمة إلا وأوردها موارد التلف والفناء، ذلك بأنه يقتل في الإنسان كل ما آتاه الله من القوى العقلية والجسدية لبقائه وتقدمه في الحياة»[1].

ويقول المفكر الفرنسي ديباسكييه مرشحاً الإسلام لقيادة البشرية، وإنقاذها من التردي والسقوط بقوله: «إن الغرب لم يعرف الإسلام أبداً، فمنذ ظهور الإسلام اتخذ الغرب موقفاً عدائياً منه، ولم يكف عن الافتراء عليه والتنديد به، لكي يجد مبررات لقتاله، وقد ترتب على هذا التشويه أن في العقلية الغربية مقولات فظة عن الإسلام.

ويضيف قائلا: ولا شك أن الإسلام هو الوحدانية التي يحتاج إليها العالم المعاصر، ليتخلص من متاهات الحضارة المادية المعاصرة التي لابد إن استمرت أن تنتهي بتدمير الإنسان»[2].

يقول شبنجلر في كتابه "سقوط الحضارة" «إن للحضارة دورات فلكية، تغرب هنا، لتشرق هناك، وإن حضارة جديدة أوشكت على الشروق في أروع صورة هي حضارة الإسلام، الذي يملك أقوى قوة روحانية عالمية نقية »[3].

يقول ربيرت موري مدير مركز الأبحاث والدراسات لحماية ثقافة وحضارة الغرب من مخاطر الشرق في تكساس: «. . لقد أصبح الإسلام اليوم من أكبر الديانات انتشاراً في العديد من الدول الأوربية كفرنسا وألمانيا التي يُعد فيها المسلمون بالملايين، كذلك الشأن بالنسبة إلى بريطانيا التي كثر فيها العرب والمسلمون، وإننا نخشى أن تكون بريطانيا هي أول

(1) مقومات النصر في القرآن والسنة، أحمد أبو الشباب، المكتبة العصرية- بيروت، ط: 1، 1420ه ـ1999م، ج: 1، ص290ز

(2) الإسلام ومستقبل البشرية، عبدالله عزام، دار مركز شهيد عزام، بيشاور باكستان، ط: 2 1400ه 1980م، ص31.

(3) المرجع نفسه ص30

دولة إسلامية في أوروبا. . إن المسلمين اليوم يشترون كنائسنا ويحولونها إلى مساجد، ولقد زاد عدد المسلمين وأصبحنا نرى المساجد في كل مكان »[1].

ومن المعلوم أن من يعتنق الإسلام في تلك البلاد يعتنقه بقناعة تامة بلا ريب ولا تردد يقول صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام[2]: «إن هذه القبائل المسيحية التي اعتنقت الإسلام إنما فعلت ذلك عن اختيار وإرادة حرة. . . . . »[3].

تلك هي صرخات عقلاء الغرب وعلماء المسلمين الذين وضعوا أيديهم على العلاج الشافي والدواء الناجح للبشرية وأدوائها، إنهم ينادون العالم الإسلامي كي يتقدم حاملاً معه الشريعة الربانية التي تنقذ البشرية مما هي فيه، وتجرها إلى السعادة والطمأنينة، وهي صرخات يثلج منها الصدر ونقدمها لمن سرى في نفوسهم اليأس القاتل عن مستقبل الإسلام، والذين صاروا حين يسمعون الحديث عن هذا المستقبل القادم بإذنه تعالى، لا يصدقون ما يقال أي يجعلونه كذبا وربما يصلون إلى السخرية من هذا الحديث.

(1) الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا، صالح بن محمد اليافعي، دار الإيمان الإسكندرية ـ مصر، (ب، ط)، (ب، ت، ص: 237.

(2) توماس أرنولد.

(3) الإسلام في قفص الاتهام، شوفي أبو خليل، دار الفكر دمشق، ط: 5، 1402ه، 1982م، ص: 119.

المبحث الثاني: إصلاحاته في الجانب الاجتماعي.

المطلب الأول: الطبقية ومشكلاتها.

لقد انقسم المجتمع الهندي إلى أربع طبقات، تتوزع حسب الأعمال، منهم من يقوم بالطقوس الدينية وهى البراهمة، بينما يقوم الآخرون بالحروب، في حين أنه توجد جماعة أخرى تعمل بالحقول، وهناك طبقة رابعة وهي طائفة الشودر التي هي أقل الطبقات الاجتماعية، وتعرف أيضا بالمنبذين.

ـ الطبقة الأولى: البراهمة.

وحسب شرعهم فإن هذه الطبقة خلقت من وجه الإله براهما أو من رأسه أومن فمه، لذلك فهم أعلى الناس، وهم خلاصة الجنس البشري وعقله المفكر ورأسه المدبر، فهم في المجتمع كموقع الرأس من الجسد، وتعتبر من أقوى الطبقات، وكل الطبقات الأخرى خلقت لخدمتها، والسهر على إسعادها، باعتبارها أنقى الأجناس البشرية [1].

ويقوم البراهمة بدرس أسفار الويدا[2] وتعليمها، وتبريك تقديم القرابين التي لا تقبل من الناس إلا عن طريقهم، ويجب أن يحافظ البرهمي على كنز الشرائع المدنية والدينية.

وإذا وُلد برهمي وضع في الصف الأول من صفوف الدنيا وهو محل لاحترام جميع الآلهة بسبب نسبه وحده، وأحكامه حجة في العالم، والكتاب المقدس هو الذي يمنحه هذا الامتياز[3] وكل ما في العالم فهو ملك لهم ولهم الحق في كل موجود، ولا يدنس البرهمي بالذنب ولو قتل العوالم الثلاثة، ولذلك فهم عند الهنود خيرة البشر، وسادة الخلق[4].

---

(1) ينظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط: 2، 1428هـ، 1999م، ص185.

(2) كتاب الهندوس المقدس.

(3) ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص56.

(4) ينظر: بلاد الهند في العصر الإسلامي، عصام الدين عبدالرؤوف، دار الفكر العربي، القاهرة، ط: 2، =

ولا ينبغي للملك أن يجبي خراجاً من برهمي، ولو مات الملك محتاجاً، ولا يجوز أن يصبر على جوع برهمي في ولايته، ولا يجوز له قتل البرهمي حتى ولو اقترف جميع الجرائم، ولا يقطع أي أمر مهما كان دون الرجوع والاستشارة، ومن حاول ضرب البرهمي سيصلى عذاب النار لمئة عام، ومن ضربه فعلاً حقت عليه الجحيم ألف عام[1].

ـ الطبقة الثانية: وهي طبقة الجند «الكشترية».

وهذه الطبقة يزعمون أنهم خلقوا من مناكب براهما ومن يديه، وهم القوة الضاربة للعدو والحماة لوطنهم وهم الغزاة أيضاً، ومرتبتهم تلي مرتبة البراهمة، وعليهم قراءة الكتب المقدسة ولكن دون تعليمها لأحد، ولا يجوز لهذه الطائفة أن تشغل وظيفة أخرى غير الوظيفة الجندية، وعليهم أن يعيشوا جنوداً ولو في وقت السلم، وعليهم أن يتجمعوا عند أول نداء في وقت الحرب[2] ؛ لذلك من الواجب أن يتميز أبناء هذه الطبقة بالكفاءة السياسية والعسكرية معاً بحيث يكون لهم في المجتمع الإقدام والشجاعة والمهابة فمهمتهم هي القيادة الفعلية للدولة، والعمل الذي تقوم به هذه الطبقة أكثر دقة وصعوبة من مهمة البراهمة التي يقتصر عملها على التوجيه والتعليم إلى حد كبير.

وقد وضعت الشريعة الهندوسية الكثير من المبادئ المتعلقة بهذه الطبقة ومن أهمها:

1ـ الذين يصلحون بأن يكونوا قواداً أو ملوكا أو قضاة أو حكاماً للناس، لابد أن يكونوا من هذه الطبقة وهم الذين تغدت عقولهم بكتب ويدا.

2ـ وبناء على ذلك فإن الملك ينتصب من هذه الطبقة وهي الكشترية وللملك على الكشترية احترام الجنود لقائدهم.

=2011م، ص377.

(1) ينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة- عمان، ط: 1، 1428ه، 2008م، ص415.

(2) ينظر: عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، ص185.

3ـ الألوهية تتجسم في صورة الملك البشرية، لذا لا يجوز أن يستخف به أحد ولو كان طفلا وذلك بأن يقال إنه إنسان[1]

الطبقة الثالثة: وهي طبقة الزراع والتجار وتسمى «الويشية»

ويقال لهم التورانيون، وهم قوم من تركستان وتوران هاجروا إلى الهند منذ آلاف السنين ووقت معارك طاحنة بينهم وبين أصل سكان الهند، وفي النهاية استسلم أهل الهند أمام هؤلاء الغزاة الذين كانوا رجالا أقوياء في الجسم وعدة الحرب، والتقوا جميعا وتصالحوا في سياسة الأمور فكان من نصيبهم أن يشتغلوا بالتجارة والزراعة لخبرتهم الواسعة في هذا الميدان، ووضعت لهم الشريعة الهندوسية القوانين والمبادئ المتعلقة بهم ومن أهمها [2]

1ـ تقوم هذه الطبقة بالزراعة والتجارة وتربية المواشي، وإذا عجز فرد من هذه الطبقة عن كسب العيش يجوز له أن يعمل عمل الطبقة الرابعة وهي الشودر أي خدمة البراهمة وغيرها، فإذا استغنى عنها تركها.

2ـ على الفرد من هذه الطبقة بعد أن يتزوج أن يسعى إلى تحصيل رزقه بما فرض عليه من أعمال وتربية المواشي، لأن إله المخلوقات كما عهد بالمخلوقات حين خلقها إلى البرهمي والكشتري، فكذلك عهد بالمواشي وتربيتها إلى الويش[3].

3ـ وعلى الويشي أن لا يتزوج إلا امرأة من طائفته، وعلى التجار من هذه الطبقة معرفة قوانين التجارة ونظم الربا.

---

(1) ينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، ص415

(2) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد الرياض، ط: 2، 1424هـ، 2003م، ص571.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص571.

4ـ وعلى الويشي أن يتعلم جيدا كيف يبذر الحبوب ويعرف كيف يفرق بين الأراضي الجيدة والأراضي الرديئة، ويطلع على نظام الموازين والمكاييل، وأن يعرف أجر الخدم ولغات الناس، وما تحفظ به السلع وكل ما له صلة بالبيع والشراء [1].

5ـ وعليه أن يكون عالماً بقيمة الجواهر واللؤلؤ والمرجان والمعادن والثياب والعطور والبهارات، وعليه كذلك أن يجاهد نفسه لتنمية أمواله بالطرق المشروعة، وأن يطعم كل المخلوقات وأن يكون عالماً بواجبات العمال والخدم[2].

ـ الطبقة الرابعة: وهي طبقة الشودر ومعناه الذليل والمهين.

وهم قوم من أصل سكان الهند والتورانيين، وهم الذين حاربوا الآريين طوال ألف سنة تقريبا، وفي النهاية استسلموا لهم، ووقعوا أسارى في أيديهم، فعذبهم أشد عذاب، ومن بقي منهم لجأ إلى قمم الجبال، كما هربت جماعة منهم إلى شمال الهند، وقد تمكن الآريون أن يخرجوا من قلوبهم فكرة حياة كريمة حرة ووضعوا لهم وظائف وأعمالا دينية في شريعتهم والحرب لاتزال قائمة بين هذه الطبقة وبين الآريين في جنوب الهند[3].

ويزعمون أن هذه الطبقة خلقت من قدمي الإله براهما، ويعتبرونها طبقة حقيرة ما عليها إلا الامتثال لأوامر البراهمية الأسياد، وخدمة الطوائف الأخرى، ويمتهنون المهن الحقيرة والقذرة ولذلك يسمون بالمنبوذين، وهذه الطبقة أشبه ما تكون بالعبيد فواجبهم الخدمة والعمل وإنجاز كل ما يوكل لهم من الطبقات الأعلى.

(1) ينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، ص416.

(2) ينظر: دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص572.

(3) ينظر: المرجع نفسه، ص572.

فالمفهوم السائد عند الهندوس عن هذه الطبقة بأنها مجبولة على الخدمة والتقديم للآخرين، ولا نصيب لهم من متاع الحياة إلا القليل، وتعتبر هذه الطبقة آخر طبقات المجتمع فهي في القاع لا تملك شيئا البتة، وتقدم نفسها قربانا للآخرين [1].

وقد جاءت التشريعات والقوانين الهندوسية تتعلق بهذه الطبقة منها:

1ـ لا يجوز لأي فرد من أفراد هذه الطبقة أن يجمع ثروات زائدة ولو كان على ذلك من القادرين، فالشودري إذا جمع مالاً آذى البراهمة بوقاحته، وتقطع يده إذا علا من هو أعلى منه، وإذا ما دعا فرد من الطبقات التي تعلوه باسمه أو باسم طائفته بدون تقدير أدخل إلى فمه خنجر محمي متلوث النصل طوله عشرة قراريط[2].

2ـ يجب على هذه الطبقة أن يعيشوا في خارج القرى، ويستعملوا الأواني من طين، ويكون من أموالهم الحمير والكلاب، ويلبسوا أكفان الموتى، والحلية من الحديد، ولا يتجولوا من مكان إلى آخر، ويكون تعاملهم مع طوائفهم فقط ويحظر عليهم التجول في الليل في القرى والمدن.

3ـ خدمة طبقة البراهمة توصل طبقة الشودر إلى الجنة، والشودر الذي يكون تحت البراهمة يولد في الحياة الثانية في طبقة عليا [3].

4ـ وليس من حق هذه الطبقة الاعتقاد بالدين الهندوسي، وإذا بلغ فرد من هذه الطبقة من الوقاحة ما يبدي به رأيا للبراهمة في أمور وظائفهم يأمر الملك بصب زيت حار في فمه وفي أذنيه.

---

(1) ينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، ص416.

(2) ينظر: أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص58.

(3) ينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، ص417.

وهناك طبقات أخرى تعيش في المجتمع الهندي من غير الطبقات الأربع المشهورة، منهم المحرومون وأبناء الزنى، والذين يتناولون الأعمال القذرة في المدن، والأعمال الحقيرة، ويسمون من ليسوا من الهند «امليج» ومعناها أنجاس.

والمحرومون وأبناء الزنى والأنجاس في طبقة دون الطبقات الأربع جميعا، ولا ينتسبون أبدا إلى واحدة منها، ويعتبرون هم والطبقة الرابعة منبذين[1].

وخلاصة القول: إن هذا النظام الطبقي الذي يقوم على أساس انقسام حاد في المجتمع يربطه الهندوس بأصل النشأة، وهذا خطأ كبير يمنع العدالة بين الناس، وبهذه الحالة يستمر الظلم والفساد في المجتمع، ويسد الطريق أمام الكفاءات والقدرات، وهذا ظلم لا يقبله عقل ولا منطق، لذلك ثارت عليه البوذية وأنكرته[2].

وذكر الشيخ محمد ضياء الرحمن الأعظمي قصة قال فيها: « إنه في سنة 1936 تقريبا ترأس على طائفة الشودر الدكتور« أمباد كر» أحد رجال القانون، وهو من واضعي دستور الجمهورية الهندية، فبعد بحث وتحقيق تأثر بالإسلام أكثر من غيره، وأعلن في خطاب ألقاه في مؤتمر دلت بعنوان: لماذا نحن ندعو إلى الخروج من الهندوسية؟ وقال يخاطب طائفته الشودر: إن المجتمع الهندوسي يراكم أنتم عدوا لدودا له، وأنتم عندهم أذل من الأنعام، وقال أيضا: إنه لا يوجد على وجه الأرض دين أفضل من الإسلام، ولكن المسلمين فرقوا هذا الدين إلى فرق كثيرة يكفر بعضها بعضا، فلا فائدة لنا بالدخول في الإسلام لأننا نبقى كما كنا كافرين، فأمر أصحابه أن يدخلوا في الديانة البوذية ثم ماذا حصل؟ فبدخولهم في

(1) ينظر: مقارنات الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، دار الفكر، القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت)، ص41.

(2) ينظر: مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، ص417.

البوذية لم يحصلوا على بغيتهم وهي العزة والكرامة والإنسانية، فتوجه جماعة منهم إلى الإسلام»[1].

وهناك محاولات تزعمها الزعيم غاندي للتخفيف من حدة هذه الطبقات أو إزالتها، وكذلك لإنصاف طبقة المنبوذين بوجه خاص، ولكن هذه المحاولات لم يُقدَّر لها النجاح بعد وكان الزعيم غاندي ضحية من ضحاياها[2].

وما يثلج الصدر أن الباحث تحاور مع كثير من طلبة الهند الذين يدرسون في ليبيا ومصر وأخبروه بأن كثيراً من أفراد هذه الطبقة بدأوا يدخلون الإسلام؛ لأنهم في المدة الأخيرة اتجهوا لدراسة الأديان من النصرانية والبوذية والإسلام، ولكنهم والحمد لله تأثروا بالإسلام أكثر من غيره لوجود تصور واضح عن الله ﷻ، وكما يتأثرون بالمساواة بين البشر في هذا الدين الحنيف، مما أدى الحكومة الهندية إلى معادتهم وسحب التسهيلات التي منحت لهم قبل إسلامهم، ومن هذه التسهيلات التعليم المجاني والمنح الدراسية والكتب الدراسية المجانية والقروض الزراعية، ولكنهم يعلمون أن الدين الذي دخلوا إليه له إله أقوى من هذه الحكومة قال تعالى ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾[3].

(1) دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، ص574-ـ575.

(2) أديان الهند الكبرى، أحمد شلبي، ص:59.

(3) سورة التوبة، الآية: 22

المطلب الثاني: نظرة الإسلام إلى الطبقية.

إن أصل البشر في الدين الإسلامي واحد خلقهم الله بعلمه وحكمته من ذكر وأنثى، وجعلهم شعوبا وقبائل ليتعارفوا وليس ليتمايزوا، وهم إخوة في النسب الأول، وإخوة في الإنسانية، وهم جميعا يشتركون في عبادتهم لرب واحد، وخُلقوا من نفس واحدة، وهدف واحد، وأن يعيشوا إخوة متحابين، وإن اختلفت الألوان والأشكال، والإسلام لا يفرق بين إنسان وآخر لكونه أبيضا أو أسودا، ومعيار التفاضل في الدين الإسلامي هو التقوى والعمل الصالح يقول الله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ﴾[1] فلا فضل لعربي ولا أعجمي إلا بالتقوى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى، ويكون الإنسان الفقير الأسود المسلم عند الله أفضل من ملوك الأرض إن كانوا غير مسلمين، قال تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴾ [2]، وقال تعالى: ﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾[3].

وهناك أحاديث كثيرة جاءت على لسان الرسول ﷺ على نفي الطبقية في الإسلام منها قول الرسول ﷺ في حجة الوداع: «**يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ وَإِنَّ أَبَاكُمْ وَاحِدٌ أَلَا لَا فَضْلَ لِعَرَبِيٍّ عَلَى أَعْجَمِيٍّ وَلَا لِعَجَمِيٍّ عَلَى عَرَبِيٍّ وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ وَلَا أَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ إِلَّا بِالتَّقْوَى**»[4].

---

(1) سورة الحجرات، الآية: 13.

(2) سورة الملك، الآية: 2.

(3) سورة البقرة، الآية: 221.

(4) أخرجه أحمد في مسنده، رقم: 23489. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح.

والله ﷻ لا ينظر إلى صور العباد لكونها سوداء أو بيضاء ولا إلى أنسابهم ولكن ينظر إلى قلوبهم، يقول الرسول ﷺ «**إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ، وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ**»[1].

وقال أيضاً: «**اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ عَبْدٌ حَبَشِيٌّ، كَأَنَّ رَأْسَهُ زَبِيبَةٌ**»[2].

بل يرتقي العبد في معارج التفضيل بسبب تقواه حتى يكون مع الأنبياء والصديقين والشهداء والأولياء والصالحين يقول الرسول ﷺ «**رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ، لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللهِ لَأَبَرَّهُ**»[3].

بهذه النظرة الحسنة في الإسلام للطبقية تحول العبيد إلى سادة والرعاة إلى قادة في المجتمع الإسلامي بجدارة واستحقاق، فلقد صار بلال الحبشي سيدا وقائدا حتى قال عنه أصحاب رسول الله ﷺ أبوبكر سيدنا وأعتق سيدنا ويقصدون بلالاً رضي الله عنه.

ولقد صار زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ من أبرز قواد الجند إذ تأهل لقيادة غزوة مؤتة، وآخى الرسول ﷺ بينه وبين عمه حمزة رضي الله عنهما ولم يمنعه نسبه وسواد بشرته وصغر سنه من ذلك كله حتى قيادة الجيش وفيه أكابر الصحابة وشيوخ بدر.

ولقد غضب الرسول ﷺ حينما بلغه أن أبا ذر قال لبلال يا ابن السوداء فقال له الرسولﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ؟ إِنَّكَ امْرُؤٌ فِيكَ جَاهِلِيَّةٌ**»[4]، ونحن نحب أن نبنى علاقتنا بالآخرين على هذه السماحة، معتقدين أن ديننا هو الذى يأمرنا بهذا البر لمن عايشنا

(1) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب البر والصلة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره ودمه وعرضه وماله، رقم 2564.

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأحكام، باب السمع والطاعة للإمام مالم تكن معصية، رقم 7142.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الجنة وصفة نعيمها وأهلها، باب النار يدخلها الجبارون والجنة يدخلها الضعفاء، رقم 2854.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب الأيمان، باب المعاصي من أمر الجاهلية ولا يكفر صاحبها بارتكابها، رقم 30.

مسالما ولم يعتد علينا أو يظاهر المعتدين، وكما تهدر الفوارق الدينية أمام القانون تهدر الفوارق الطبقية؟ فلا تمييز لحاكم على محكوم، ولا لغني على فقير ولا لكبير على صغير، فرئيس الدولة إذا أساء لكانس الطريق وجب منه القصاص، ووقفا على سواء أمام القانون لتقام فيهما العدالة، لا يعوقها عائق[1].

وقد حاول البعض في عصر الرسول ﷺ أن يخدش قاعدة المساواة العامة أمام القانون ولكن قبل بالرفض، فعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ الله عَنْهَا: **"إِنَّ قُرَيْشًا أَهَمَّهُمْ شَأْنُ الْمَرْأَةِ الْمَخْزُومِيَّةِ الَّتِي سَرَقَتْ، فَقَالُوا: وَمَنْ يُكَلِّمُ فِيهَا رَسُولَ الله ﷺ؟ فَقَالُوا: وَمَنْ يَجْتَرِئُ عَلَيْهِ إِلَّا أُسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ، حِبُّ رَسُولِ الله ﷺ فَكَلَّمَهُ أُسَامَةُ، فَقَالَ رَسُولُ الله ﷺ: " أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله، ثُمَّ قَامَ فَاخْتَطَبَ، ثُمَّ قَالَ: إِنَّمَا أَهْلَكَ الَّذِينَ قَبْلَكُمْ، أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الشَّرِيفُ تَرَكُوهُ، وَإِذَا سَرَقَ فِيهِمُ الضَّعِيفُ أَقَامُوا عَلَيْهِ الحَدَّ، وَايْمُ الله لَوْ أَنَّ فَاطِمَةَ بِنْتَ مُحَمَّدٍ سَرَقَتْ لَقَطَعْتُ يَدَهَا"**[2]، بهذه الكلمات بين الرسول ﷺ أن الناس جميعا سواسية أمام القانون الإسلامي حتى وإن كانت بنت النبي ﷺ، لقد كان المجتمع المسلم منذ ذلك العهد الأول يجمع في كنفه كافة أصناف الناس يعيشون في وئام ومساواة حقيقية، يعبد بها المسلم نفسه لخالقه، فَسَلْمَانٌ مِنَّا أهل البيت، و بلال سيدنا، مجتمع تسامت فيه النفوس المؤمنة على كل تصنيفات الجاهلية قديمها وحديثها، بل إن بعض الأرقاء المسلمين يفضل الرق على الحرية لما يحصل له من الأجر، وأي ملك يحتوي على نظام الطبقية لابد في نهايته الزوال؛ لأنه لا يستطيع أن يثبت كما قال المغيرة بن شعبة لرستم حين بعثه سعد بن أبي وقاص إليه،. . . فلما كان الغد أرسل أي رستم ابعثوا إلينا رجلا فبعث أي سعد المغيرة بن شعبة فأقبل إليهم وعليهم التيجان والثياب المنسوجة بالذهب وبسطهم على غلوة لا يوصل إلى صاحبكم حتى يمشي عليها فأقبل المغيرة حتى جلس مع رستم على سريره فوثبوا عليه وأنزلوه ومعكوه وقال قد كانت

(1) حقوق الإنسان، محمد الغزالي، دار نهضة مصر، ط: 1، (ب ت)، ص25

(2) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب أحاديث الأنبياء، باب حديث الغار، رقم 3475.

تبلغنا عنكم الأحلام ولا أرى قوما أسفه منكم إنا معشر العرب لا نستعبد بعضنا بعضا إلا أن يكون محاربا لصاحبه فظننت أنكم تواسون قومكم كما نتواسى فكان أحسن من الذي صنعتم أن تخبروني أن بعضكم أرباب بعض فإن هذا الأمر لا يستقيم فيكم ولا يصنعه أحد وإني لم آتكم ولكن دعوتموني اليوم علمت أن أمركم مضمحل وأنكم مغلبون وأن ملكا لا يقوم على هذه السيرة ولا على هذه العقول، فقالت السفلة صدق والله العربي وقالت الدهاقين والله لقد رمى بكلام لا تزال عبيدنا ينزعون إليه قاتل الله أولنا ما كان أحمقهم حين كانوا يصغرون أمر هذه الأمة [1].

وفى هذه التربية النبوية المباركة تذوب خرافة الطبقات كما تذوب كتل الجليد على ألسنة اللهب ويبدو الإيمان القوي عند أصحاب الرسول ﷺ، وهناك قصة أخرى حدثت في عهد سيدنا عمر بن الخطاب تَدُلُّ على المساواة بين المسلمين، أتى رجل من أهل مصر إلى عمر بن الخطاب فقال: يا أمير المؤمنين، عائذ بك من الظلم، قال: عذت معاذا، قال: سابقت ابن عمرو بن العاص فسبقته، فجعل يضربني بالسوط، ويقول: أنا ابن الأكرمين! فكتب عمر إلى عمرو يأمره بالقدوم بابنه معه، فقدم فقال عمر: أين المصري؟ خذ السوط فاضرب، فجعل يضربه بالسوط ويقول عمر: اضرب ابن الأكرمين، ثم قال للمصري: ضعه على صلعة عمرو، قال: يا أمير المؤمنين، إنما ابنه الذي ضربني وقد اشتفيت منه، فقال عمر لعمرو: متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا! قال: يا أمير المؤمنين، لم أعلم ولم يأتني [2].

(1) الكامل في التاريخ، لابن الأثير، تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي-بيروت، ط: 1، 1417هـ-1997م، ج: 2، ص299.

(2) حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، للسيوطي، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1، 1387 هـ - 1967 م، ج: 1، ص: 578.

وأمام تلك الأوضاع الاجتماعية السيئة في بلاد الهند كان للإمام الدهلوي موقف واضح من جذور المشكلة ذاتها إذ نظر إلى الأعماق حيث إنه سعى إلى تأصيل فكرة المساواة والعدالة الاجتماعية بمناداته بنظرية وحدة المجتمع في شخص واحد، وفي نظره أيضا أن المجتمع الحضاري يتكون من فئات وهيئات هي أجزاء المجتمع وأي خلل في جزء ما من هذه الأجزاء إنما يؤثر على المنظومة الاجتماعية ككل، فتدني قيمة الإنسان في أي بقعة من بقاع الدولة لأي مبرر كان يؤدي إلى خلل في المجتمع بأسره[1].

ويقول الإمام أيضاً: «والأصل في ذلك أن المدينة شخص واحد من جهة ذلك الربط مركب من أجزاء وهيئة اجتماعية، وكل مركب يمكن أن يلحقه خلل في مادته أو صورته ويلحقه مرض أعني حالة غيرها أليق به باعتبار نوعه، وصحة أي حالة تحسنه وتجمله»[2].

واعتبر أن معيشة الأغنياء المرفهة للغاية والمعاملة القاسية والوحشية للفقراء تعكس صورة مظلمة وحزينة لم تكن بأفضل بأي حال من الأحوال مما كانت عليه في امبراطوريتي الفرس والروم قبل الإسلام، واعتبر تلك الظواهر الاجتماعية المريضة هي ارتداد نحو الجاهلية وخروج عن المشروع الحضاري الذي حدده الإسلام لهذه الأمة[3].

وقال هناك أسباب غالبة على خراب البلدان في هذا الزمان، أحدهما: تضييقهم على بيت المال بأن يعتادوا التكسب بالأخذ منه على أنهم من الغزاة، أومن العلماء الذين لهم حق فيه، أو من الذين جرت عادة الملوك بصلتهم كالزهاد والشعراء، أو بوجه من وجوه التحدي، ويكون العمدة عندهم هو التكسب دون القيام بالمصلحة، فيدخل قوم على قوم، فينغصون عليهم، ويصيرون كلا على المدينة.

---

(1) ينظر: تاريخ الإسلام في الهند، عبد المنعم النمر، ص: 33.

(2) حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، ت، سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص161.

(3) ينظر: الدهلوي وآراؤه الكلامية والفلسفية، وفاء العمري، ص590.

وثانيها: فرض الضرائب الثقيلة على الزراع والتجار والمحترفة والتشديد عليهم حتى يفضي إلى إجحاف المطاوعين واستئصالهم، وإلى تمنع أولي بأس شديد وبغيهم وإنما تصلح المدينة بالجباية اليسيرة وإقامة الحفظة بقدر الضرورة، فليتنبه أهل الزمان لهذه النكتة[1].

وخلاصة القول: إن العدالة الاجتماعية من أهم الأسس في نظر الدهلوي وهي ملكة يصدر منها إقامة النظام العادل المصلح في تدبير المنزل وسياسة المدينة ونحو ذلك بسهوله، وأصلها جبلة نفسانية تنبعث منها الأفكار الكلية والسياسيات المناسبة بما عند اللهّ وعند ملائكته، وذلك أن اللهّ تعالى أراد في العالم انتظام أمرهم، وأن يعاون بعضهم بعضا، وألا يظلم بعضهم بعضاً، وأن يتألف بعضهم ببعض، ويصيروا كجسد رجل واحد، وإذا تألم عضو منه تداعى له سائر الأعضاء بالحمى والسهر، وأن يكثر نسلهم، وأن يُزجر فاسقهم، ويُنوَّه بعادلهم، ويحمل فيهم الرسوم الفاسدة، ويُشهر فيهم الخير والنواميس الحقة، فالله سبحانه في خلقه قضاء إجمالي، كل ذلك شرح له وتفصيل، وملائكته المقربون تلقوا ذلك، وصاروا يدعون لمن سعى في إصلاح الناس، ويلعنون على من سعى في فسادهم[2]هكذا يكون المجتمع الإسلامي كالجسد الواحد و إن مبدأ الإخوة الإسلامية الذي يضم تحت جناحه كافة البشر بصرف النظر عن اللون والجنس، هذا المبدأ الذي جعل الإسلام الدين الوحيد القادر على تطبيق الأخوة في حيز الواقع لا في المجال النظري فحسب؛ فالمسلمون في جميع أنحاء العالم يعرفون أنهم جميعاً إخوة في الله، فالإسلام يبقى شامخاً دين العدالة الاجتماعية والمساواة بين الناس.

(1) ينظر: حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، ت، سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص164.

(2) حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، ت، سعيد أحمد بن يوسف، ج: 1، ص193.

المبحث الثالث: إصلاحاته في الجانب الدعوي.

المطلب الأول: مفهوم الدعوة وأهميتها.

أولاً: مفهوم الدعوة.

1ـ الدعوة لغة:

جاء في معجم مقاييس اللغة: «إن الدال والعين والحرف المعتل أصل واحد وهو أن تميل الشيء إليك بصوت وكلام يكون منك»[1].

وهناك عدة معان جاءت في معنى الدعوة من الناحية اللغوية أيضا منها:

أ- الطلب: فنقول: دعا بالشيء: طلب إحضاره، ومنه قوله تعالى: ﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾[2] يقول الطاهر بن عاشور[3]: «يحتمل أن يراد منه الدعاء الذي هو طلب بخضوع وحرص على إجابة المطلوب»[4].

---

(1) لابن فارس، مادة «دعو».

(2) سورة البقرة، الآية: 70.

(3) الطاهر بن عاشور (1296 - 1393 هـ، 1879 - 1973 م)، هو محمد الطاهر بن عاشور: رئيس المفتين المالكيين بتونس وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس. مولده ووفاته ودراسته بها. عُين (عام 1932) شيخاً للإسلام مالكياً. وهو من أعضاء المجمعين العربيين في دمشق والقاهرة. له مصنفات مطبوعة، من أشهرها (مقاصد الشريعة الإسلامية) و (أصول النظام الاجتماعي في الإسلام) و (التحرير والتنوير) في تفسير القرآن، و (الوقف وآثاره في الإسلام) و (أصول الإنشاء والخطابة) و (موجز البلاغة) ومما عني بتحقيقه ونشره (ديوان بشار بن برد) أربعة أجزاء. وكتب كثيراً في المجلات. ينظر الأعلام للزركلي، ج: 6، ص: 174.

(4) التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، (ب، ط)، (ب، ت)، ج: 1، ص: 548.

ب- الحث على العمل: فنقول: دعا إلى الشيء: أي حثَّ على فعله، فدعاه إلى الصلاة: حثه على فعلها.

ج - العبادة: كقوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[1].

د- الدعاء: وقد وردت آيات كثيرة تدل على ذلك منها قوله تعالى: ﴿ فَدَعَا رَبَّهُ أَنِّي مَغْلُوبٌ فَانْتَصِرْ ﴿١٠﴾ ﴾[2].

هـ- النسب والإلحاق: كقوله تعالى: ﴿ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾ ﴾[3].

والنبيُّ ﷺ داعِي الله؛ وَهِي مِن قوْلِه تَعَالَى: ﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا ﴿٤٦﴾ ﴾[4]، أَي إِلَى تَوْحيدِهِ وَمَا يُقَرِّبُ مِنْهُ. (ويُطْلَقُ) الدَّاعِي (على المُؤَذِّنِ) أَيْضاً، لأَنَّه يَدْعُو إِلَى مَا يُقَرِّبُ مِن الله. وَقد {دَعا فَهُوَ} داعٍ، والجَمْعُ {دُعاةٌ} وأدخلت الهاء للمبالغة[5].

والدعاة: جمع دَاع كقاض قُضَاة، وإضافتهم إلى الله للاختصاص، أَي الدعاة المخصوصون به الذين يدعون الى دينه وعبادته ومعرفته ومحبته وهؤلاء هم خواص خلق الله وأفضلهم عند الله منزلة وأعلاهم قدراً[6].

والداعي: قد يكون داعياً إلى هدى أو داعياً إلى ضلالة، لقوله تعالى: ﴿ أُولَٰئِكَ يَدْعُونَ إِلَى

(1) سورة الصافات، الآية: 125.

(2) سورة القمر، الآية: 10،

(3) سورة مريم، الآية: 91.

(4) سورة الأحزاب، الآية 46.

(5) تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، تح، مجموعة من المحققين، (مادة دعا)، دار الهداية، (ب، ط)، (ب، ت).

(6) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، (ب. ط)، دار الكتب العلمية – بيروت، ج: 1، ص: 153.

ٱلنَّارِۖ وَٱللَّهُ يَدۡعُوٓاْ إِلَى ٱلۡجَنَّةِ وَٱلۡمَغۡفِرَةِ بِإِذۡنِهِۦۖ ﴾[1].

2- الدعوة اصطلاحاً:

في الحقيقة لا يستطيع أحد أن يعرف الدعوة دون تقسيمها؛ لأنها وردت بسياقين مختلفين:

1- بمعنى الإسلام.

2- بمعنى التبليغ وطريقة نشر الإسلام.

ولعل عدم مراعاة هذا التقسيم، هو الذي سبب وجود الالتباس والتباين في التعاريف فهناك فريق رأى أن معنى الدعوة هو الإسلام في حد ذاته، فعرف الدعوة بتعريف الإسلام.

وهناك فريق رأى: أن الدعوة هي بمعنى النشر والتبليغ، وهناك مزج بين المعنيين، وهناك من أدخل في تعريفها أهدافها وغايتها.

والدعوة إذا أُطلقت لا يراد منها إلا الإسلام، والسياق الذي ترد به هو الذي يبين المقصود، فمثلا إذا قيل: هؤلاء دعاة الله. فإن السياق ينصرف إلى الدعوة بمعنى التبليغ والنشر أي (المنهج والطريقة).

أما إذا قيل: أقبل الناس على دعوة الحق، واتَّبع الناس دعوة الله، فإن السياق ينصرف إلى الإسلام، أي(المضمون والمحتوى الرسالي).

إذاً الدعوة لها معنيان:

-الإسلام.

-طريقة تبليغه ونشره.

التعريف الأول: بمعنى (الإسلام) ووردت فيه تعاريف كثيرة أهمها ما يلي:

(1) سورة البقرة، الآية: 221.

1- «الدعوة هي النظام العام والقانون الشامل لأمور الحياة، ومناهج السلوك الإنساني التي جاء بها محمد ﷺ من ربه، وأمره بتبليغها إلى الناس، وما يترتب على اتباعها، أو مخالفتها من ثواب أو عقاب»[1].

2- هي «الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحياً على رسول الله ﷺ وحفظها في القرآن الكريم والسنة النبوية»[2].

التعريف الثاني: الدعوة بمعنى (النشر والتبليغ)ووردت عدة تعاريف بهذا المعنى منها:

1- هي «العلم الذي تعرف به كافة المحاولات الفنية المتعددة الرامية إلى تبليغ الناس الإسلام بما حوى من عقيدة وشريعة وأخلاق»[3].

2- هي «تبليغ الإسلام للناس، وتعليمهم إياه، وتطبيقه في واقع الحياة»[4].

3- هي «العلم الذي به تعرف كيفية نشر الإسلام وتبليغه وحث الناس عليه وإمالة الناس إليه». [5]

4- «إن الدعوة إلى الله هي قيام من له أهلية بدعوة الناس جميعاً في كل زمان ومكان لاقتفاء أثر الرسول ﷺ، والتأسي به قولاً وعملاً وسلوكًا»[6].

---

(1) أصول الدعوة، عبد الكريم زيدان، ص: 10.

(2) الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت) ص12.

(3) المرجع نفسه ص: 10.

(4) المدخل إلى علم الدعوة الإسلامية، أبو الفتوح البيانوني، دار مؤسسة الرسالة، ط: 3، ص: 17.

(5) الدعوة الإسلامية، عبدالله سمك، دار التقوى- مصر، ط: 1، 1428ه-2007م، ص: 13.

(6) الدعوة إلى الله في سورة إبراهيم الخليل، محمد سيدي الحبيب، دار الوفاء- جدة، ط: 1، 1986م، ص:27.

وكثير من العلماء يعتبرون هذا التعريف هو الراجح؛ لأنه جمع بين المعنيين (المحتوى الرسالي والتبليغ)[1] مصداقاً لقوله تعالى: ﴿ هُوَ ٱلَّذِى بَعَثَ فِى ٱلْأُمِّيِّـۧنَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢﴾ ﴾[2].

ثانياً: أهمية الدعوة.

الدعوة إلى الله تعالى ضرورة لازمة في كل عصر وحين، والناس بحاجة ماسة إليها، وبقيام أفراد وجماعات من المجتمع الإسلامي بوظيفة الدعوة والنصح والإرشاد، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وفق المنهج التربوي القرآني، تسير سفينة المجتمع المؤمن المسلم في بحر الزمن آمنة من التعرض للغرق؛ لأن ركابها يسيرون بها وفق منهج الله لهم، فيحميها الله لهم، بسب قيامهم بحمايتها وحراستها المستمرة، متعاونين متناصرين متناصحين [3] آخذين بقول النبي ﷺ: **"مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله وَالوَاقِعِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلاَهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ المَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا، وَنَجَوْا جَمِيعًا"**[4].

وأهمية الدعوة تأتي من جانبين، من جانب الناس حيث مصلحة الناس وسعادتهم، ومن جانب الدعوة لأن طبيعتها الحركة الهادفة للوصول إلى كل مكان في الوجود، ومعلوم أن حاجة الناس للشريعة الإسلامية أكثر من حاجتهم للأكل والشراب[5].

---

(1) ينظر: محاضرات في الدعوة، أحمد أبو سجادة، ص: 5.

(2) سورة الجمعة، الآية: 2.

(3) ينظر: أصول الدعوة إلى الله، يوسف المرعشلي، دار ابن حزم- بيروت، ط: 1، 1431ه-2010م، ص: 26.

(4) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب: الشركة، باب: هل يقرع في القسمة والاستهام فيه، رقم: 2493.

(5) الدعوة الإسلامية، أحمد غلوش، ص: 230.

يقول ابن القيم رحمه الله تعالى: «حاجة الناس إلى الشريعة أعظم من حاجتهم إلى التنفس، فضلا عن الطعام والشراب؛ لأن غاية ما يقدر في عدم التنفس: موت البدن، وأما ما يقدر عند عدم الشريعة: فساد الروح والقلب جملة، وهلاك الأبد. . وشتان هذا وهلاك البدن بالموت»[1].

ويبدأ تغيير المنكر بالإنكار القلبي، الذي يظهر له آثار في قسمات الوجه، وحركات الجسم، وأبرزها مفارقة مجالس المنكر، ثم بالإنكار اللساني، نصحاً وإرشاداً فأمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، ثم بالتغير العملي باليد إذا كان القائم بهذا التغير أو القائمون به يملكون ذلك، دون أن يتسبب عملهم بشر أكبر من وقوع المنكر، وإن كان يحدث فتنة وشراً أكبر من المنكر، فإنه يجب الاقتصار على الإنكار بالقلب، وهكذا حتى يتغير ذلك المنكر بالحكمة وبالتي هي أحسن، وهذا المنهج يؤخذ من حديث النبي ﷺ الذي قال فيه[2]: «**مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا فَلْيُغَيِّرْهُ بِيَدِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِلِسَانِهِ، فَإِنْ لَمْ يَسْتَطِعْ فَبِقَلْبِهِ، وَذَلِكَ أَضْعَفُ الْإِيمَانِ**»[3].

وهكذا ينبغي على المؤمنين أن ينشروا مبادئ الإسلام في كل الآفاق، ويبلغها إلى قلوب الذين لم تبلغهم رسالة هذا الدين الحنيف، ولم يعرفوا حقيقته، وذلك عن طريق الدعوة المستمرة، والعمل الدائب لنصرة دين الله وابتغاء مرضاته مع الاقتداء بهدي النبي ﷺ في هذا الجانب الدعوي[4].

(1) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم، ج: 2، ص: 2.

(2) ينظر: أصول الدعوة إلى الله، يوسف المرعشلي، ص: 27.

(3) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب الإيمان، باب بيان كون النهي عن المنكر من الإيمان، رقم: 78.

(4) ينظر: الدعوة إلى الله على بصيرة، عبد النعيم محمد حسنين، دار الكتاب المصري، ط: 1، 1405هـ-1984م، ص: 39.

المطلب الثاني: خطاباته لمختلف طبقات الأمة.

لقد خاطب الإمام الدهلوي في هذه الخطابات قادة مختلف الطبقات البارزة المؤثرة وسادتها، وتمتاز هذه الخطابات بالدقة والنظر، وعمق الملاحظة، وحكمة في الدعوة، وهكذا ينبغي أن تكون خطابات الدعاة الذين يعملون في حقل الدعوة إلى الله تعالى، موصوفة بالدقة والحكمة وبلاغة البيان وقوة التعبير.

أولاً: خطابه للسلاطين المسلمين.

«أقول للملوك: أيها الملوك! المرضى عند الملإ الأعلى في هذا الزمان أن تسلوا السيوف، ثم لا تغمدوها حتى يجعل الله فرقانا بين المسلمين والمشركين وحتى يلحق مردة الكفار والفساق بضعفائهم لا يستطيعون لأنفسهم شيئا، وهو قوله تعالى: ﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1] فإذا ظهر الفرقان فرضاء الملإ الأعلى أن تنصبوا في كل ناحية وفي كل مسيرة ثلاثة أيام وأربعة أيام أميراً عادلاً يأخذ للمظلوم حقه من الظالم ويقيم الحدود ويجتهد أن لا يحصل فيهم بغي ولا قتال ولا ارتداد ولا كبيرة، ويفشوا الإسلام ويظهر شعائره ويأخذ بفرائضه كل أحد ويكون لأمير كل بلد شوكة يقدر بها على إصلاح بلده ولا يكون له شوكة يتمتع بسببها ويعصى على السلطان، وينصب في كل إقليم كبير أميراً يقلده للقتال فقط يكون جمعه اثنا عشر جمعاً من المجاهدين، لا يخافون في الله لومة لائم يقاتلون كل باغ وعاد، فإذا كان ذلك فرضاء الملإ الأعلى أن يفتش حينئذ من النظامات المنزلية والعقود ونحوهما حتى لا يكون شيء إلا موافق الشرع حتى يأمن الناس من كل وجه»[2].

(1) سورة الأنفال، الآية: 39

(2) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ج: 4، ص: 255-256.

ثانياً خطابه: للأمراء وأركان الدولة.

«. . . وأقول للأمراء: أيها الأمراء! أما تخافون الله اشتغلتم باللذات الفانية الدائرة وتركتم الرعية تأكل بعضها بعضاً أما شُربت الخمور جهرة وأنتم لا تنكرون، أما بُنيت منازل و دور للزنا وشربت الخمور والقمار وأنتم لا تغيرون، أما هي البلاد الكبيرة لم يُضرب فيها حد منذ ستمائة سنة أو أكثر، من وجدتموه ضعيفاً أكلتموه ومن وجدتموه قوياً تركتموه وعتوّه، خاضت أفكاركم في لذائذ الطعام ونواعم النساء ومحاسن الثياب والدور، وما رفعتم إلى الله راساً وما ذكرتموه إلا بألسنتكم في حياتكم كأنكم تريدون باسم الله انقلاب الزمان، تقولون الله قادر على كذا تعنون أن الزمان قد ينقلب كذلك»[1].

ثالثاً: خطابه للعسكريين.

«وأقول للعسكريين: أيتها العسكرية! أخرجكم الله للجهاد ولتظهروا كلمة الحق وتكبتوا الشرك وأهله فتركتم ما أخرجكم لأجله، واتخذتم رباط الخيل وحمل السلاح كسباً تستكثرون به أموالكم من غير نية الجهاد وقصده، شربتم الخمر والبنج وحلقتم اللحى وأحفيتم الشوارب وظلمتم الناس ولم ينالوا مما تأكلون، فو الله إلى الله سوف ترجعون فينبئكم بما كنتم تعملون، كان مرضى الحق فيكم أن تزيوا بزي الصالحين من الغزاة، واعفوا اللحى وقصوا الشوارب وصلوا الصلوات الخمس واتقوا الله في أموال الناس واصبروا في الحرب والبأس، وتعلوا رخص الصلوات كالقصر والجمع، وأنه يجوز ترك السنن في السفر وكذلك أحكام التيمم فتمسكوا بها وعضُّوا على الفرائض وأصلحوا نياتكم يبارك لكم ربكم في حوالكم وينصركم على أعدائكم»[2].

---

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ج: 4، ص: 256.

(2) الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 194-195.

رابعاً: خطابه للتجار والمحترفين.

«وأقول للمحترقة ضاعت أماناتكم وذهلتم عن عبادة ربكم، وأشركتم ربكم، وذبحتم لطواغيتكم وحججتم إلى المدار[1] والسالار[2] فبئس صنيعكم ذلك، ورُبَّ إنسان منكم جعل الطيرة ماله وكسبه، فجعل يتكلف في لباسه وزيه ومطعمه مالاً يكفي له فيضيع حقوق نسائه ورب إنسان منكم اكتفى بشرب الخمر واستئجار الفروج فيضيع معاشه وميعاده، إن الله هيأ لكم من الكسب ما يكفي لكم ولذوي حقوقكم إن أنتم قصتم واكتفيتم بما يكون بلغة إلى الميعاد، وكفرتم بنعمة ربكم، أسأتم التدبير أما تخافون عذاب جهنم وبئس المهاد؟ واصرفوا غداتكم وعشيتكم في ذكر الله، وطول النهار في حرفتكم، والليل في نسائكم، واجعلوا الصرف أقل من الدخل فما غير، فواسوا فيه الغريب والفقير وذروا شيئاً لنوائبكم وحوائجكم، فإن خالفتم هذه الأمور فقد أسأتم التدبير»[3].

خامساً: خطابه لأولاد المشايخ والمرشدين.

«وأقول لأولاد المشايخ المترسمين برسم آبائهم من غير استحقاق: يأيها الناس! ، ما لكم تحزبتم أحزاباً، واتبع كل ذي رأي رأيه، وتركتم الطريقة التي أنزلها الله على محمد ﷺ رحمة بالناس ولطفاً بهم، وهدى لهم، فانتصب كل واحد منكم إماماً ودعا الناس إليه وزعم نفسه هادياً مهدياً، وهو ضال مضل، نحن لا نرضى بهؤلاء الذين يبايعون الناس ليشتروا به ثمناً قليلاً أو يشربوا أغراض الدنيا بتعلم علم، إذ لا تحصل الدنيا إلا بالتشبه بأهل الهداية ولا بالذين يدعون إلى أنفسهم ويأمرون بحب أنفسهم، هؤلاء قطَّاع الطريق دجالون كذابون مفتونون فتانون، إياكم وإياهم، ولا تتبعوا إلا من دعا إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ

(1) المراد به الشيخ بديع الدين المكتبوري الذي يعرف بالشاه مدار.

(2) المعني به هو السيد سالار مسعود الفازي المدفون في مدينة بهرائج ترفع باسمه الأعلام ويرد الاحتفال بمولده آلاف الناس من الأماكن البعيدة والقريبة.

(3) الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 195.

ولم يدع إلى نفسه ولا ترضى بإشاعة الإشارات الصوفية في المجالس والمحافل، إنما المرضي الإحسان، أما لكم عبرة في قوله تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾»[1][2].

سادساً: خطابه للعلماء والطلاب:

«وأقوال لطلبة العلم: أيها السفهاء المسمون أنفسكم بالعلماء! اشتغلتم بعلوم اليونانيين وبالصرف والنحو والمعاني وظننتم أن هذا هو العلم، إنما العلم آية محكمة من كتاب الله أن تتعلموها بتفسير غريبها وسبب نزولها وتأويل معضلها، أو سنة قائمة من الرسول ﷺ، أن تحفظوا كيف ﷺ وكيف توضأ وكيف كان يذهب لحاجته وكيف يصوم وكيف يحج وكيف يجاهد وكيف كان كلامه، وحفظه للسانه وكيف كان أخلاقه، فتابعوا هديه واعملوا بسنته على أنه هدي وسنة لا على أنه فرض ومكتوب عليكم، أو فريضة عادلة أن تتعلموا ما كان أركان الوضوء وما كان أركان الصلاة، وما نصاب الزكاة وما قدر الواجب وما سهام فرائض الميت، أما السير وما يرغب في الآخرة من حكايات الصحابة والتابعين فهو فضل، وأما ما اشتغلتم به وما يهتم به فليس من علوم الآخرة، إنما هي علوم الدنيا.

ثم يقول لهؤلاء الطلاب والعلماء:

وأن لا تشتغلوا بالعلوم الآلية إلا بأنها آلة لا بأنها أمور مستقلة، أما أوجب الله عليكم أن تشيعوا العلم حتى يظهر شعائر الإسلام في بلاد المسلمين، فلم تظهروا الشعائر وأمرتم الناس أن يشتغلوا بالزوائد واستكثرتم في أعينهم طلب الحق والدين، أما ترون البلاد العظام تخلو من العلماء وإن كانوا فيهم دون ظهور الشعائر.

---

(1) سورة الأنعام، الآية: 153.

(2) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ج: 4، ص: 257-258.

ثم خاطب أولئك الناس الذين جعلوا وساوسهم وخطرات قلوبهم ديناً، وكل من لم يتفق ومقاييسهم المؤسس على هواجس النفس وخطرات القلب، فكأنه خارج عن الدين، وقد كان معظم هذه الطبقة من الناس الذين أصيبوا بهذا الانحراف من الزهاد المتقشفين والعباد الغالين والوعاظ المتشدقين، ولذلك اختبر لهم هذا العنوان»[1].

سابعاً: خطابه للوعاظ والنساك:

«وأقول للمتقشفين من الوعاظ والعباد والجالسين في الخلوات:

يا أيها المتمسكون! ركبتم كل صعب وذلول وأخذتم بكل رطب ويابس، ودعوتم الناس إلى الموضوعات والأباطيل، وعمرتم على الحق وإنما بعثتم ميسرين لا معسرين، وتمسكتم بكلام المغلوبين من العشاق، وكلام العشاق يطوى ولا يروى، واستطبتم الوسواس وسميتموه الاحتياط، وكان مرضى الحق فيكم أن تفهموا الإحسان بجزئية الاعتقادي والعملي، فتحصلوه من غير أن تخلطوا به أحوال المغلوبين وإشارات المكاشفين، فادعوا الناس إليه، أما تعلمون أن الرحمة كل الرحمة، والهدى كل الهدى ما جاءكم به محمد ﷺ، أكان يفعل فعلكم هذا أم كان أصحابه يفعلون هذه الأفعال»[2].

ثامناً: خطابه لعامة المسلمين.

«وأقول لجماعات المسلمين عموما خطابا واحدا: يا معشر بني آدم أفسدتم أخلاقكم وغلب عليكم الشح واستحوذ عليكم الشيطان وزئرت النساء على الرجال وغمط الرجال على النساء، واستطبتم الحرام واستبشعتم الحلال، فو الله إن الله ما كلف نفسا إلا ما تطيق، عالجوا شهوة فروجكم بالنكاح وإن كثرن، ولا تتكلفوا في نفقتكم وزيكم مما لا تطيقون، لا تدروا امرأة كأنها معلقة ولا تضيقوا الأمور على أنفسكم، فإنكم إن ضيقتم خرجت نفوسكم إلى حد الفسق، وإن الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن يؤخذ بعزائمه،

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ج: 4، ص: 258-259.

(2) المرجع نفسه، ص: 259.

وعالجوا شهوة بطونكم بالأطعمة واكتسبوا قدر ما يكفيكم، ولا تكونوا كلا على الأمراء والخلفاء، إنما المرضي لكم الكسب بأيديكم إلا عبد ألهمه الله: إن الله يكفيك والله يعصمك من آفات الفقر.

يا معشر بني آدم! من رزقه الله مسكنا يأويه، ومشربا يرويه، ومطعما يشبعه، وملبسا يستره، ومنكحا يحصن فرجه ويعاونه في معيشته فقد أدَّى له الدنيا بحذافيرها، فليشكر الله وليتخذ كسبا يكفيه، وليكن من شأنه القناعة والقصد في المعيشة، ولينتهز الفرصة لذكر الله، وليحافظ على ثلاثة أوقات الغدوة والعشية والسَّحر، وليذكر الله بالتهليل والتسبيح وتلاوة القرآن، واستمعوا للحديث وأحضروا حلق الذكر.

يا معشر بني آدم! اتخذتم رسوما فاسدة تغير الدين، اجتمعتم يوم عاشوراء في الأباطيل، فقوم اتخذوه مأتما، أما تعلمون أن الأيام أيام الله، والحوادث من مشيئة الله، وإن كان الحسين ﷺقتل في هذا اليوم فأي يوم لم يمت فيه محبوب من المحبوبين،؟ وقد اتخذوه لعبا بجرابهم وسلاحهم، وقوم اتخذوه منسكا، أفٍ لصنيعكم اجتمعتم يوم البراءة يلعب قوم، ويزعم قوم أنه يجب إكثار الأطعمة للموتى، قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين، ورسوما تضيَّق عليكم كالإفراط في الولائم وكالامتناع من الطلاق وكإمساك المرأة بعد زوجها من النكاح، فضيَّعتم أموالكم وأوقاتكم في الرسوم، وتركتم الهدى الصالح، وكان المرضي أن لا تتخذوا هذه الرسوم وأن تتخذوا رسوما سهلة ليس فيها ضيق، اتخذتم المآتم عيدا كأن إكثار الطعام واجب عليكم، وضيعتم الصلوات وقوم اشتغلوا بمكاسبهم فلم يقدروا على الصلوات، ومنشأ هذا الفساد أنهم ما أخذوا رخص الله، وقوم اشتغلوا بتنحية الوقت وترجيته وترفيهه بالحكايات والأحاديث، فلو أنهم اتخذوا مجالسهم في رحب حول المساجد يسهل عليهم الصلوات، وضيعتم الزكاة وما من غني إلا له متعلقون من المحاويج يطعمهم ويواسيهم، ولو أنه نوى الزكاة والعبادة لكفاه، وضيعتم صوم رمضان، فضيعه قوم لأنهم صاروا عسكرية لا يقدرون على الصوم مع ما هم عليه من المحنة، اعلموا أنكم

أسأتم التدبير وصرتم عيالا على السلطان، ولما لم يجد السلطان ما يعطيكم ضيق على الرعية، وما أقبح صنيعكم هذا! وقوم لا يتحسرون ولا يجتنبون أعمالا شاقة هي بأيديهم اجتنابا، وذلك من سوء تدبيرهم وعقلهم.

ويقول أخيراً: ومقالات الملإ الأعلى في هذا الزمان كثيرة والغرفة تنبئ عن البحر الكبير والقليل يكون نموذجا عن الكثير»[1].

ولهذا كله يعتبر الإمام الدهلوي من كبار العلماء ومن كبار الوعَّاظ ومعلمي الأخلاق وهو إمام في مجال الإصلاح والتربية والتجديد، وهذه الخطب تعتبر من أروع المآثر في دعوته الإصلاحية، فإنه خاطب جميع شرائح المجتمع وشملت هذه الخطابات نقاطا مهمة من أهمها:

1- إنه خاطب كل طبقة من طبقات المجتمع على حده والصورة مستقلة وهذا أسلوب من أساليب الدعوة إلى الله، يقول الله تعالى عن سيدنا نوح عليه السلام ﴿ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ﴿٨﴾ ثُمَّ إِنِّي أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا ﴿٩﴾ ﴾[2].

2- ضرب على الوتر الحسَّاس ودلَّ على أماكن ضعفهم وانحرافهم وأنواع غرورهم وخداعهم وعدم اهتمامهم بالرعية حتى عمَّت الفوضى في المجتمع.

3- كشفه عن نوع المرض؛ لذلك وصف الدواء لعلاجه، وقد بلغ توجعه وحرقة قلبه واندفاعه في الحمية الإسلامية ذروتها وعاطفة الدعوة الدينية.

4- تأكيده وحثه على الأخذ بوسائل العلم الصحيح من كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ومن العلماء الربانيين الذين لا يبيعون دينهم بعرض من الدنيا.

---

(1) رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ج: 4، ص: 259-260.

(2) سورة نوح، الآية: 8-9.

5- نصيحته لأركان الدولة لإقامة الحدود وردع المفسدين حتى يفشوا الإسلام بشعائره وفرائضه ويعم السلام ويأمن الناس في كل مكان ومن كل وجه، وهذا دليل على جرأته رحمه الله تعالى.

6- تشنيعه للعادات السائدة في المجتمع من تقليد الهندوس والبدع والشعائر غير الإسلامية التي تسربت إلى المجتمع المسلم وشاعت فيه بسبب الاختلاط الطويل مع غير المسلمين.

7- انتقاده للوعاظ المتقشفين بسبب دعوتهم للناس إلى الموضوعات والأباطيل وتعسيرهم على الخلق.

8- انتقاده لطلبة العلم الذين يسمُّون أنفسهم علماء؛ لاشتغالهم بعلوم اليونانيين، وظنهم أن هذا هو العلم وتركهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

9- انتقاده للجنود والعسكرية الذين يخرجون للجهاد من غير نية الجهاد بل بنية استكثار الأموال، وعدم معرفتهم أحكام الجهاد، وكثرة تناولهم الخمور، وكثرة ظلمهم للناس، وفي المقابل حثهم على التزين بزي الصالحين من الغزاة، وتعلم رخص الصلوات من القصر والجمع.

10- انتقاده لأولاد المشائخ الذين ترسموا برسم آبائهم من غير استحقاق، وتحزبهم واتباع كل ذي رأي رأيه، وانتصابهم كل واحد منهم إماما، ودعا الناس إليه وزعم نفسه هاديا مهديا وهو ضال مضل.

المطلب الثالث: نماذج من وصاياه للأمة الإسلامية.

لقد ألف الإمام الدهلوي رسالة باللغة الفارسية سماها «المقالة الوضيئة في النصيحة والوصية» وترجمها باللغة العربية محمد بشير السيالكوتي، وهي تحوي ثماني وصايا مهمة في الجانب الإصلاحي والدعوي.

-الوصية الأولى:

«. . . قال أول ما يوصي به هذا العبد الفقير هو التمسك بالقرآن والسنة في العقيدة والعمل والمواظبة على تدبير ما جاء فيهما والاهتمام بقراءة جزء منهما كل يوم، ومن عجز عن القراءة يستمع لترجمة ورقة من كليهما على الأقل، كما أوصي بالتمسك بعقيدة أهل السنة الأولى والابتعاد عن الخوض في تفصيل مالم يفصلوه، وألا يلتفت إلى ما يشيره العقلانيون الأغرار من الشكوك الشبهات، وفي الفروع اتباع العلماء المحدثين الذين يجمعون بين الحديث والفقه، وعرض التفريعات الفقهية دائما على الكتاب والسنة وعدم السماع للفقهاء المتزمتين الذين يقلدون عالما معينا ويعرضون عن تتبع السنة فلا يحتفل بهم فإن رضا الله في الابتعاد»[1].

-الوصية الثانية:

«. . . قال أما حد الأمر بالمعروف فقد ألقى في قلب هذا الفقير أن يشدد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في كل ما يدخل في أداء الفرائض وإقامة شعائر الإسلام واجتناب الكبائر، وعدم مجالسة من يتهاون في أمرها بل ينبغي معاداته، وأما الأمور الأخرى وخاصة المسائل التي اختلف فيها السلف أو الخلف فحد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فيها الاكتفاء يذكر الحديث الوارد فيها ولا يستحسن التشديد فيها»[2].

---

(1) الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 201.

(2) المرجع نفسه، ص: 202.

-الوصية الثالثة:

«. . . قال ألا يضعوا أيديهم في أيدي مشايخ اليوم ولا يبايعوهم لأنهم أهل بدع وخرافات ولو كثر اتباعهم وكراماتهم فهذا لا يغير من الحقيقة، لأن أصحاب الكرامات لا يعلمهم إلا الله، أما أهل السحر والشعوذة والنجوم والتنبؤ بالغيب فهذه ليست كرامات بل علوم خاضعة للتجربة وحركات بهلوانية يفعلونها ما أنزل الله بها من سلطان ليبعدوا الناس عن الحقيقة وعليكم بمطالعة كتب الصحاح والسنن واعملوا بالقرآن والسنة قولا وفعلا ظاهرا وباطنا فهذا هو الطريق المستقيم الواجب عليكم اتباعه مع ملازمة الصلاة في أوقاتها والصوم، ولا تظنوا أن من يعتزل الحياة ويجلس في زاوية بعيدة عن الناس من أهل الكمال إلا من رحم الله ولا يظن أحد منهم بنفسه خيرا ففي ذلك هلاكه، فما عليك إلا أن تعمل بالمثل المعروف «خذ ما صفا ودع ما كدر» وألزموا أقوالي هذه ولا تسمعوا لزيد أو عمرو من الناس»[1].

-الوصية الرابعة:

«. . . قال إننا اختلفنا نحن والناس اليوم، فترى الصوفية أن المقصود الأصلي هو الفناء والاستهلاك والانسلاخ، وأما القيام بأمور المعاش والطاعات البدنية التي وردت بها الأحكام الشرعية فهو لمن لا يقدرون على إدراك ذلك المقصود الأصلي، كما يقال: ما لا يدرك كله لا يترك جله، ويقول المتكلمون إن المقصود ما ورد به الشرع فقط، ونقول إن المقصود من الإنسان باعتبار صورته النوعية هو ما ورد به الشرع، ولم يذكر الشارع ذلك الأصل إلا للخواص»[2].

(1) إمام الهند شاه ولي الله الدهلوي، إيهاب حفظي، ص: 30.

(2)الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 204.

-الوصية الخامسة:

«. . . قال إن يحسن الظن والاعتقاد بأصحاب رسول الله ﷺ وأن لا يجري اللسان بغير ذكر مناقبهم، وقد أخطأ في ذلك فريقان: فريق يظنون أن صدور بعضهم لبعض كانت متصافية بحيث لم يشب صفوها أي كدر ولم تجر بينهم مشاجرات، فإن هذا محض وهم، وقد شهد النقل المستفيض الذي لا يمكن إنكاره بوقوع مشاجراتهم، وفريق آخر لما رأوا هذه المشاجرات منسوبة إليهم أطلقوا ألسنتهم بسبهم والطعن فيهم فسقطوا في وادي الهلاك.

وقد ألقي في قلب هذا الفقير أن الصحابة ﷺ أجمعين، وإن لم يكونوا معصومين ويحتمل أن يكون صدر من بعض عامتهم أشياء لوكان صدر مثلها من غيرهم لاستحق اللعن والطعن واستحق الجرح، لكننا أمرنا بكف اللسان عن مساوئهم ونهينا عن لعنهم والطعن فيهم تعبدا ولأجل مصلحة عظيمة، وهي أنه إذا فتح باب جرحهم تنقطع الرواية عن النبيﷺ ويختل حبل الملة وحينما تؤخذ الروايات عن كل صحابي تبلغ أكثر الأحاديث حد الاستفاضة وتقوم الحجة بتكليف الأمة ولا يختل النقل بجرح بعضهم.

ويقول أيضا: عن الشيعة الذين يدَّعون حب أهل البيت ويسبون الصحابة ﷺ أن مذهبهم باطل ويعرف بطلان مذهبهم من كلمة الإمام، والإمام عندهم هو المعصوم المفترض طاعته المنصوب للخلق وكذلك يجوزون له الوحي الباطني، والحقيقة أنهم باعتقادهم هذا ينكرون ختم النبوة، وإن كانوا يقولون بألسنتهم إن الرسول ﷺ خاتم الأنبياء»[1].

-الوصية السادسة:

«...يقول إن منهاج التدريس الذي أثبتته التجارب أن يبدأ أولاً بتدريس الرسائل الموجزة في الصرف والنحو وتدرس ثلاث أو أربع في كل منهما بحسب ذكاء الطالب

(1) الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 207.

وحاجته، ثم يدرس كتاب في التاريخ أو الحكمة العملية باللغة العربية، وفي هذه المرحلة يدرب الطالب على الاستفادة من المعاجم اللغوية ومعرفة معاني الكلمات الصعبة منها، وإذا اكتسب قدرة في اللغة العربية يدرس موطأ الإمام مالك برواية يحي بن يحي المصمودي، ولا يهمل هذا الكتاب أبدا، لأنه أصل علم الحديث ولتدريسه فوائد كثيرة، وقد تسلسل استماعه إلينا، ثم يدرس القرآن الكريم بالترجمة وبغير التفسير، وإذا أشكل شيء من النحو أو أسباب النزول يوقف عنده ويناقش، وبعد الفراغ من الدرس يدرس تفسير الجلالين بالقدر الذي تمَّ تدريسه من القرآن الكريم في الدرس، فإن لهذه الطريقة فوائد، ثم يدرس في وقت واحد كتب الحديث مثل الصحيحين وغيرهما، وكذلك كتب الفقه والعقيدة والسلوك، وكذلك تدرس كتب المعقولات مثل شرح الملا والقطبي وغيرهما في وقت واحد، وإذا أمكن أن يدرس مشكاة المصابيح يوماً وفي اليوم الثاني يدرس شرح الطيبي بالقدر الذي درس في اليوم الأول من مشكاة المصابيح، فإنه نافع جداً»[1].

-الوصية السابعة:

«...يقول نحن عرب وأسلافنا قدموا بلاد الهند غرباء، نحن نعتز بعربية النسب واللسان التي تقربنا من سيد الأولين والآخرين وأفضل الأنبياء والمرسلين وفخر العالمين عليه وعلى آله الصلوات والتسليمات، وشكر هذه النعمة أن لا تتخلى ما أمكن عن عادات العرب الأولين وحضاراتهم التي نشأ فيها النبي ﷺ، وأن لا نتخذ عادات الهنود وتقاليدهم، فقد روي أنه لما انتشر العرب للجهاد في أطراف العجم خشي عمر بن الخطاب رضي الله عنه أن يتخذوا عادات العجم ويتركوا عادات العرب، فكتب إليهم كتاباً قال فيه: **"اتَّزِرُوا وَارْتَدُوا وَانْتَعِلُوا وَأَلْقُوا الْخِفَافَ وَالسَّرَاوِيلاتِ، وَأَلْقُوا الرُّكُبَ، وَانْزُوا نَزْوًا، وَعَلَيْكُمْ بِالْمَعَدِّيَّةِ، وَارْمُوا الْأَغْرَاضَ، وَذَرُوا التَّنَعُّمَ، وَزِيَّ الْعَجَمِ"**[2].

(1) الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 208.

(2) أخرجه أحمد في مسنده، مسند عمر بن الخطاب، رقم: 301. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على=

ومن عادات العجم الهنود الشنيعة أنه إذا توفي زوج امرأة لا يسمحون لها أن تنكح زوجاً آخر، ولم توجد هذه العادة أصلاً في عرب الجاهلية ولا في زمن النبي ﷺ ولا بعده، فرحم الله رجلاً أزال هذه العادة القبيحة، وإن لم يستطع إزالتها من الناس كافة فليسع لإقامة عادة العرب بنكاح الأرامل في قومه، وإن لم يستطع ذلك أيضا فليكره ويخالف هذه العادة الشنيعة بقلبه، لأن ذلك أضعف مراتب النهي عن المنكر.

ويقول أيضا: ومن العادات الشنيعة عندنا أنهم يغالون في المهور بينما كان النبي ﷺ الذي هو منتهى شرفنا في الدين والدنيا جعل صداق أهل بيته اللائي هن خير الناس اثنتي عشرة أوقية ونصف أوقية، وهو ما يبلغ خمسمائة درهم، ومن العادات الشنيعة الأخرى في قومنا الإسراف في الأفراح واتخاذ تقاليد كثيرة فيها، وكان النبي ﷺ جعل لأفراحنا أمرين: الوليمة والعقيقة فلنتخذهما ولنترك ما سواهما أو نترك الاهتمام بسوى ذلك والتزامه، ومن العادات الشنيعة أيضا عندنا الإسراف في المآتم وفاتحة اليوم الثالث على الميت واليوم الأربعين والشهر السادس والفاتحة السنوية، ولم توجد هذه العادات في العرب الأولين أصلا، والصحيح الاكتفاء بتقديم التعازي لورثة الميت لثلاثة أيام وإطعامهم ليوم وليلته، وترك ما سوى ذلك من العادات، وينبغي أن تجتمع نساء الحي بعد ثلاثة أيام من وفاة الميت ويطيبن نساء أهله، وإن كانت زوجة له تقطع حدادها عليه بعد انقضاء عدتها»[1].

-الوصية الثامنة:

«. . . يقول جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: **"مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ فَلْيُقْرِئْهُ مِنِّي السَّلَامَ صَلَّى الله عَلَيْهِمَا وَسَلَّمَ"**[2] ويتمنى هذا الفقير إذا أدرك أيام سيدنا روح الله عليه السلام،

=شرط الشيخين.

(1) الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 208-210.

(2) أخرجه الحاكم في المستدرك، رقم: 8635، وقال: إسماعيل هذا أظنه ابن عياش ولم يحتجا به، ووافقه الذهبي.

أن يكون أول من يبلغه السلام، وإن لم يدرك زمانه فعلى من يسعد بزمانه المبارك من أولاده أو أتباعه أن يحرص كل الحرص على تبليغه السلام، حتى يكونوا هم الكتيبة الأخيرة من الكتائب المحمدية، والسلام على من اتبع الهدى»[1].

وهذه الوصايا هي التي تلخص دعوته وأفكاره الإصلاحية وتتميز هذه الوصايا بعدة ميزات منها:

1-إنه يدعو كل مسلم ومسلمة أولا إلى الالتزام بقراءة جزء من القرآن الكريم والحديث الشريف كل يوم ما يسمى بالورد اليومي مع فهم المعنى وتدبيره؛ لأنهما الميزان في معرفة الخير والشر[2].

2-إنه حذَّر من الإفراط في مقامات الانسلاخ والاستهلاك واشتغال كل من هبَّ ودبَّ في طلبها داء عضال أصاب الملة المصطفوية.

3-إنه شرح مراتب الإحسان والإخلاص والتزكية في العقيدة والعمل في ضوء القرآن والحديث والسيرة النبوية بالتفصيل الكافي في مباحث الإحسان والأذكار والمقامات والأحوال والنوافل.

4-إنه حثَّ على حسن الظن والاعتقاد بأصحاب رسول الله ﷺ، وحذر من تجرؤ اللسان على سبهم؛ لأن الرسول ﷺ حذر من ذلك بقوله: **"لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ أَنْفَقَ مِثْلَ أُحُدٍ، ذَهَبًا مَا بَلَغَ مُدَّ أَحَدِهِمْ، وَلاَ نَصِيفَهُ"**[3].

5-إنه قدَّم نصيحة لطلبة العلم وبيَّن لهم كيفية الاحتفاظ بالوقت في التدريس وعدَّد لهم الكتب التي يدرسها الطالب في المراحل الابتدائية لطلب العلم حتى توسع من مداركه.

---

(1) إمام الهند شاه ولي الله الدهلوي، إيهاب حفظي، ص: 32.

(2) ينظر: الشاه ولي الله حياته ودعوته، محمد بشير، ص: 117.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه، كتاب المناقب، باب قول النبي ﷺ لو كنت متخذاً خليلاً، رقم: 3673.

6-إنه استعرض ماضي المسلمين وحاضرهم استعراضاً تفصيلياً ثم انتقده انتقاداً شمولياً ومن نتائج هذا الانتقاد اللازم أن جميع العناصر الصالحة في المجتمع لا تزال في إيمانها وضمائرها بقية من حياتها ولا تزال قلوبها تميز الصالح والطالح والخير والشر، وتقوى قوة التميز وتزداد فيهم، ويحسون بشوائب الجاهلية مع الإسلام في كل ناحية من نواحي الحياة، وتستيقظ فيهم القوة الإيمانية وتدفعهم إلى الإصلاح، ويكرسوا كل مجهوداتهم ومحاولاتهم نحو هذه الجهة المطلوبة[1].

❋❋❋

(1) ينظر: رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، ج: 4، ص: 264.

الخاتمة

الحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاتم الرسالات وعلى آله وصحبه ومن سار على نهجهم من الثقات.

وبعد: هذه المسيرة العلمية فقد توصَّل الباحث إلى مجموعة من النتائج العامة وبعض التوصيات وهي على النحو الآتي:

أولاً: النتائج.

1- نشأ الإمام الدهلوي في أحضان أسرة تولَّت تربيته تربية دينية، وكان والده حريصا على تعليمه حتى جعل منه عالما يعمل على إصلاح المجتمع الذي يعيش فيه.

2- حفظه في وقت مبكر من طفولته القرآن الكريم وهو أمر له أهميته في تهيئة عقله لاستيعاب الخطاب القرآني، كما أن له أثره في الجانب الروحي من شخصيته .

3- تحرره من العصبية المذهبية، ورجوعه في دراسة علوم الشريعة إلى أصولها من القرآن الكريم والسنة النبوية، ويعود السبب في هذا التحرر إلى تأثره بشخصيات علمية تمكنت برسوخها العلمي من ربط العلوم التي حصلتها بأصولها من أمثال ابن تيمية.

4- لاحظ الباحث أن الإمام الدهلوي كان يدرك أن فهم الواقع وتقويمه ليست عملية سهلة، يمكن الاعتماد فيها على مجرد ملاحظة الوقائع ملاحظة سطحية بل محتاج إلى بذل جهود كبيرة لفهمه فهما صحيحا لكشف الداء والبحث عن الدواء.

5- كان الإمام الدهلوي في أغلب الأحيان يحتك احتكاكا مباشرا بالواقع ويقوم بزيارات ميدانية، ويجتهد في استثمار كل ما أتيح له من وسائل لتعميق فهم الواقع فهما جيدا.

6- حثَّ الإمام الدهلوي على تحقيق الأخوة الدينية القائمة على اهدار العصبيات خاصة بين المصلحين والدعاة إلى الله والتي سببها الخلافات في الفروع والمسائل الجدلية.

7- سلك الإمام الدهلوي مسلكا صريحا في الإصلاح يعتمد على المواجهة والتحدث عن العيوب والمفاسد بشكل مكشوف وصريح، ويبين الأمراض والآفات التي تصيب المجتمع ليتم معالجتها والتخلص منها وهذا واضح في خطبه ووصاياه التي وجهها لمختلف طبقات المجتمع.

8- إن الوسائل التي استخدمها الإمام الدهلوي في دعوته الإصلاحية هي وسائل مؤثرة وفعَّالة يؤدي العمل بها بالمجتمع إلى الخروج من مشكلاته التي يعيشها نحو حياة كريمة مزدهرة.

9- لقد شملت الجوانب الإصلاحية عند الإمام الدهلوي ميادين واسعة في المجتمع، ينتهي تطبيقها والأخذ بها إلى الارتقاء بالأمة وعودة مجدها أمام الأمم وهذا سيتحقق عند عودة الخلافة بإذنه تعالى.

10- الطريق إلى الإصلاح لا تأتي ثماره بسرعة ولا بسهولة، ولابد من الصبر والإخلاص في العمل، لذلك أكثر جهود الإمام الدهلوي وُجدت في أولاده واتباعه من بعده ، وليس كل من يزرع يحصد في الحال، قال تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾[1].

11- ركَّز الإمام الدهلوي على كثير من الجوانب في الإصلاح وعلى رأسها العقيدة لأنها عصب الإصلاح وركائزه وإذا صلحت صلح المجتمع، وهذا منهج النبي ﷺ والأنبياء عليهم السلام من قبله، وما من نبي أرسله الله إلا وبدأ دعوته بالعقيدة.

(1) سورة الطور، الآية 21.

12- إصلاح المجتمع لا يأتي بمجرد الرغبة أو التمني بل لا بد من جهد يُبذل لتحقيق الرغبة وتحويل الأمنية إلى واقع محسوس مع الحكمة والموعظة الحسنة والجدل بالتي هي أحسن.

13- لاحظ الباحث أن تقويم الإمام الدهلوي للواقع كان شاملا لكل مناحيه الدينية والتعليمية والاجتماعية والسياسية، وهذا انطلاقا من اقتناعه بأن الاختلال الموجود في الواقع لا يمكن إرجاعه إلى نوع واحد من العوامل، وأن الإصلاح عملية كلية لا يمكن النجاح فيه إلا بالنظر إلى جميع الجوانب أو النواحي المكونة للواقع.

14- الناظر إلى كثرة مؤلفات الإمام الدهلوي نظرة إجمالية يستدل على غزارته في العلوم الإسلامية وغيرها لذلك قصده كثير من الطلبة من شتى أنحاء الهند واستفادوا منه استفادة كثيرة، بل إن منهم من قاد زمام الإصلاح من بعده

ثانيا: التوصيات.

1- أوصي زملائي الباحثين بالإخلاص والتقوى فإنهما خير زاد لمن أراد الفوز والنجاح.

2- العمل على إنشاء مراكز دعوية تدرَّس فيها جهود العلماء في الإصلاح لكي يجعلوا تلك الجهود نبراسا في دعواتهم الإصلاحية.

3- الاهتمام بالدعاة وإعدادهم إعدادا جيدا وذلك بعقد دورات تدريبية في مجال الدعوة والإصلاح.

4- الدعوة إلى إجراء البحوث والدراسات العلمية في الجوانب الإصلاحية للعلماء.

5- الاهتمام بالدعاة من حيث الإلمام باللغة العربية كتابة وقراءة وإلقاء؛ لأنه لا يمكن للداعي اتقان عمله بدون التبحر في اللغة العربية، وكذلك بعض اللغات الأجنبية

وخاصة الإنجليزية والفرنسية لإمكانية الاستفادة منهما في الدعوة لمن يتكلمون هاتين اللغتين.

6- أوصي بطباعة الرسائل التي كتبت في مجال الدعوة والإصلاح.

وفي الختام فإنني لا أدعي الكمال فيما فعلت فالعمل الإنساني مهما ارتقى عقل صاحبه، وقوي ذكاؤه وزاد تدقيقه، فهو ما زال باقياً تحت قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾ ﴾[1] .

❊❊❊

(1) سورة النساء، الآية: 82.

فهرس الآيات

الآية	رقمها	الصفحة
سورة البقرة		
﴿ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ﴾	70	147
﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسْنًا﴾	83	5
﴿بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَإِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾	117	56
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ﴾	180	75
﴿ وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ ﴾	221	141
﴿ أُوْلَٰٓئِكَ يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ ۖ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ وَٱلْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِۦ ۖ ﴾	221	148
﴿ وَٱلْمُطَلَّقَٰتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَٰثَةَ قُرُوٓءٍ ﴾	228	67
﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾	234	68
سورة آل عمران		
﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ ﴾	59	55
﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ﴾	104	5
﴿وَلَا تَهِنُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾	142-139	124
﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾	185	26
سورة النساء		
﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ﴾	43	67
﴿فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِى شَىْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾	59	89

﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴾	82	171
﴿ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنْهُمْ ﴾	83	90
﴿ لَّا خَيْرَ فِى كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ ﴾	114	1
﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾	120-117	61
﴿ وَقَوْلِهِمْ إِنَّا قَتَلْنَا ٱلْمَسِيحَ عِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ ﴾	158-157	56
﴿ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ ﴾	171	55
سورة المائدة		
﴿ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ ﴾	3	121
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ ﴾	6	72
﴿ مَّا ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ﴾	75	55
سورة الأنعام		
﴿ بَلْ إِيَّاهُ تَدْعُونَ فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِن شَآءَ وَتَنسَوْنَ مَا تُشْرِكُونَ ﴾	41	60
﴿ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ ﴾	90	49
﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ﴾	101	56
﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ﴾	153	156
﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴾	163-162	60
﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ ﴾	165	101
سورة الأعراف		
﴿ ٱتَّبِعُوا۟ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ	3	89

أَوْلِيَآءَ ﴾		
﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	59	49
﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخْلُفْنِى فِى قَوْمِى ﴾	142	101
﴿ هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ﴾	190-189	63
﴿ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ ﴾	195	14
سورة الأنفال		
﴿ وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾	39	153
سورة التوبة		
﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ ﴾	22	140
﴿ ٱتَّخَذُوٓا۟ أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَٰنَهُمْ ﴾	31	61
﴿ هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ ﴾	33	127
﴿فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَآئِفَةٌ ﴾	122	90
سورة هود		
﴿وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ ﴾	50	49
﴿إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ ۚ ﴾	88	ب-2
ى: ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ ﴾	117	1
سورة يوسف		
﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُوا۟ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيْـَٔسُ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾	87	125
﴿ وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًا ﴾	100	59
سورة النحل		

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ﴿٤٣﴾ ﴾	43	90
﴿ ٱدۡعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِٱلۡحِكۡمَةِ ﴾	125	5
سورة مريم		
﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَرۡيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتۡ مِنۡ أَهۡلِهَا مَكَانٗا شَرۡقِيّٗا﴾	21-16	54
﴿ أَن دَعَوۡاْ لِلرَّحۡمَٰنِ وَلَدٗا ﴾	91	148
سورة طه		
﴿ وَإِذۡ قُلۡنَا لِلۡمَلَٰٓئِكَةِ ٱسۡجُدُواْ لِأٓدَمَ ﴾	116	59
سورة الأنبياء		
﴿بَلۡ نَقۡذِفُ بِٱلۡحَقِّ عَلَى ٱلۡبَٰطِلِ﴾	18	131-64
﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ﴾	25	49
سورة الحج		
﴿ ٱلَّذِينَ إِن مَّكَّنَّٰهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُاْ ٱلزَّكَوٰةَ ﴾	41	127
﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْ﴾	77	57
سورة النور		
﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾	55	-125 -108 129
سورة النمل		
﴿ وَجَدتُّهَا وَقَوۡمَهَا يَسۡجُدُونَ لِلشَّمۡسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ﴾	24	52

﴿ قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٤﴾ ﴾	44	53
﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ﴾	64-59	58-57
سورة العنكبوت		
﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ﴾	4-3	124
سورة لقمان		
﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾	25	53
سورة الأحزاب		
﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾	21	49
﴿ وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا ﴾	46	148
سورة فاطر		
﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ ﴾	39	104
سورة الصافات		
﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴾	125	148
﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾	4-3	125
سورة الزمر		
﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَاءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰ﴾	3	53 -15
﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾	66 -65	49
سورة ص		

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾	29	93
سورة فصلت		
﴿وَمَنۡ أَحۡسَنُ قَوۡلٗا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحٗا ﴾	33	ب
﴿ وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيۡلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُۚ ﴾	37	52
سورة محمد		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرۡكُمۡ وَيُثَبِّتۡ أَقۡدَامَكُمۡ ﴾	7	127
سورة الحجرات		
﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ ﴾	13	142
سورة الطور		
﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَٱتَّبَعَتۡهُمۡ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَٰنٍ أَلۡحَقۡنَا بِهِمۡ ذُرِّيَّتَهُمۡ ﴾	21	169
سورة النجم		
﴿ وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلۡهَوَىٰٓ ﴾	4 -3	122
﴿ فَٱسۡجُدُواْ لِلَّهِ وَٱعۡبُدُواْ ﴾	62	57
سورة القمر		
﴿ فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَغۡلُوبٞ فَٱنتَصِرۡ ﴾	10	149
سورة الرحمن		
﴿ هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ﴾	60	59
سورة الجمعة		
﴿ هُوَ ٱلَّذِي بَعَثَ فِي ٱلۡأُمِّيِّـۧنَ رَسُولٗا مِّنۡهُمۡ ﴾	2	151
سورة الطلاق		
﴿ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ ﴾	4	68

سورة الملك		
﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ﴾	2	141
سورة نوح		
﴿ثُمَّ إِنِّى دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا﴾	9-8	159
﴿وَقَالُوا۟ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا﴾	24-23	54
سورة الجن		
﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا﴾	28-26	122
سورة الإخلاص		
﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾	4-1	61

فهرس الأحاديث والآثار

التسلسل	طرف الحديث	الصفحة
.1	أتت النبيﷺ امرأة	113
.2	اتَّزِرُوا وَارْتَدُوا وَانْتَعِلُوا	164
.3	أَتَشْفَعُ فِي حَدٍّ مِنْ حُدُودِ الله	143
.4	أخذ حصيات في يده	114
.5	أَدْرَكْتُ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ الله	65
.6	إذا قسمت الأرض	69
.7	أَرَأَيْتَ إِنْ جِئْتُ وَلَمْ أَجِدْكَ	117
.8	أَرَأَيْتَ لَوْ مَرَرْتَ بِقَبْرِي	58
.9	ارفقوا فإن الرفق	5
.10	اسْمَعُوا وَأَطِيعُوا، وَإِنِ اسْتُعْمِلَ عَلَيْكُمْ	142
.11	اقْتَدُوا بِاللَّذَيْنِ مِنْ بَعْدِي	113
.12	ألا تستخلف علينا	121
.13	ألا لا وصية لوارث	75
.14	إِنَّ اللهَ زَوَى لِي الْأَرْضَ	129
.15	إِنَّ اللهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ	142
.16	إن الله ليزع أي ليردع بالسلطان	106
.17	أن الميت يعذب	69
.18	إِنَّ أُمَّتِي لَا تَجْتَمِعُ عَلَى ضَلَالَةٍ،	90-87
.19	إِنَّ كُلَّ نَبِيٍّ أُعْطِيَ سَبْعَةَ نُجَبَاءَ	115

.20	أَنْتَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ	113-112
.21	إِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ،	106
.22	إنه بلغني أن ناسا يفضلوني	118
.23	إِنَّهُم يَبْكُونَ عَلَيْهَا	70
.24	إِنِّي رَأَيْتُ اللَّيْلَةَ فِي المَنَامِ ظُلَّةً	109
.25	إِنِّي رَأَيْتُ كَأَنَّ دَلْوًا دُلِّيَ مِنَ السَّمَاءِ	109
.26	بَيْنَمَا أَنَا عَلَى بِئْرٍ أَنْزِعُ مِنْهَا	108
.27	تخلف عنَّا النبي ﷺ في سفر	72
.28	تَصَدَّقُوا، فَإِنَّهُ يَأْتِي عَلَيْكُمْ	130
.29	تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ الله	129
.30	خَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ	109
.31	رُبَّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ	142
.32	رَحِمَ اللهُ أَبَا بَكْرٍ زَوَّجَنِيَ ابْنَتَهُ	115
.33	سَلْ لَنَا رَسُولَ الله ﷺ إِلَى مَنْ نَدْفَعُ صَدَقَاتِنَا بَعْدَكَ	110
.34	السلطان ظل الله في الأرض	106
.35	ضع حجرك إلى جنب حجري	111
.36	فَلاَ تَفْعَلُوا فَإِنِّي لَوْ كُنْتُ آمِرًا	58
.37	فَلَمَّا قَعَدَ أَبُو بَكْرٍ عَلَى الْمِنْبَرِ	119
.38	فَمَنْ كُنْتُ مَوْلاهُ	112
.39	فَوَ الَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَيُتِمَّنَّ اللهُ هَذَا الْأَمْرَ	129
.40	فوَ اللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا	ب
.41	قال: أبو بكر وعمر	118

.42	قضى رسول الله ﷺ	69
.43	كيف أصبح رسول الله ،	112
.44	كَيْفَ تَقْضِي إِذَا عَرَضَ لَكَ قَضَاءٌ	79
.45	لا أرى ذلك، ولا يصحّ	74
.46	لاَ تَسُبُّوا أَصْحَابِي، فَلَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ	166-120
.47	لاَ تُشَدُّ الرِّحَالُ	63
.48	لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُقَاتِلَ الْمُسْلِمُونَ الْيَهُود	130
.49	لاَ تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَكْثُرَ فِيكُمُ المَالُ،	130
.50	لَا يَذْهَبُ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ	128
.51	لَمَّا أَرَادَ أَنْ يَبْعَثه إِلَى الْيَمَنِ	81
.52	لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَار	129
.53	مَا رَأَيْتُ قَوْماً كَانُوا	65
.54	متى استعبدتم الناس	145
.55	مَثَلُ القَائِمِ عَلَى حُدُودِ الله	151
.56	مروا أبابكر فليصل في الناس	116
.57	مَنْ أَدْرَكَ مِنْكُمْ عيسى	165
.58	من أول الناس دخولا الجنة	119
.59	مَنْ حَلَفَ بِغَيْرِ الله	63
.60	مَنْ رَأَى مِنْكُمْ مُنْكَرًا	152
.61	مَنْ كَانَ حَالِفًا	63
.62	مَنْ مَاتَ لَا يُشْرِكُ بالله	15
.63	من نظر إلى	74

.64	وقال لا نترك كتاب الله بقول امرأة	68
.65	وَمَنْ لَقِيَنِي بقراب الأرض	15
.66	يَا أَبَا ذَرٍّ أَعَيَّرْتَهُ بِأُمِّهِ	142
.67	يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَلَا إِنَّ رَبَّكُمْ وَاحِدٌ	141
.68	يا عجبا لابن عمر	69
.69	يَا عَدِيُّ اطْرَحْ عَنْكَ	61
.70	يَا غُلَامُ إِنِّي أُعَلِّمُكَ كَلِمَاتٍ،	60
.71	يا فاطمة ألا تتقي الله يعني في قولها	70
.72	يا مَعْشَرَ الشَّبَابِ	73
.73	يَحْمِلُ هَذَا الْعِلْمَ	71
.74	يَنْهَى عِنِ الصَّلاَةِ عِنْدَ طُلُوعِ الشَّمْسِ	51
.75	اليوم انقطعت خلافة النبوة	120

فهرس الأعلام

التسلسل	العلم	الصفحة
.1	ابن القيم	51
.2	ابن تيمية	47
.3	ابن جرير الطبري	125
.4	ابن خلدون	102
.5	ابن عساكر	114
.6	ابن فارس	46
.7	أبو الحسن الندوي	12
.8	أبو الطاهر المدني	27
.9	أبو زرعة الرازي	120
.10	أبو طالب المكي	84
.11	أبوبكر بن العربي	112
.12	أحمد بن عرفان	87
.13	أرانك زيب عالمكير	19
.14	بار محمد اللاهوري	20
.15	البغوي	29
.16	الجويني	104
.17	الحسين أحمد بن فارس	47
.18	الراغب الأصفهاني	103
.19	رفيع الدين الدهلوي	32

.20	السيد قطب	126
.21	الشاه عبد القادر	33
.22	الشعبي	123
.23	شهاب الدين	92
.24	الطاهر بن عاشور	147
.25	عباس العقاد	13
.26	عبد الأحد السرهندي	58
.27	عبد الحميد بن باديس	3
.28	عبد الحي اللكنوي	44
.29	عبد العزيز الدهلوي	17
.30	عمر بن أحمد بن عقيل	29
.31	غلام علي آزاد البلكرامي	18
.32	اللاهوري	20
.33	مالك بن نبي	3
.34	الماوردي	103
.35	محمد أبو زهرة	104
.36	محمد أفضل السيالكوتي	28
.37	محمد أمين الكشميري	33
.38	محمد بن الحسن	75
.39	محمد رشيد رضا	98
.40	محمد عاشق البهلتي	33
.41	محمد فاضل السندي	29

.42	مرتضى البلكرامي	96
.43	المرزا مظهر العلوي	41
.44	الملك المغولي أكبر	92
.45	المودودي	37
.46	نظام الدين السهالوي	95

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم برواية حفص عن عاصم

أولاً: كتب التفسير وأصوله.

1- التحرير والتنوير، محمد الطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر – تونس، (ب، ط)، 1984 هـ.

2- تفسير ابن باديس (في مجالس التذكير من كلام الحكيم الخبير)، عبد الحميد محمد بن باديس، تعليق، أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط: 1، 1416هـ - 1995م.

3- تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، دار الهيئة المصرية العامة للكتاب، (ب، ط)، (ب، ت).

4- تفسير القرآن العظيم (ابن كثير)، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري الدمشقي، تح، محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية- بيروت ط: 1، 1419هـ.

5- تفسير المراغي، أحمد بن مصطفى المراغي، دار مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده -مصر، ط: 1، 1365هـ- 1946م.

6- جامع البيان في تفسير القرآن، لابن جرير الطبري، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1424 هـ - 2004 م.

7- الجامع لأحكام القرآن، لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرجي شمس الدين القرطبي، دار الكتب المصرية –القاهرة، ط: 2، 1384هـ - 1964 م.

8- زهرة التفاسير. محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي –مصر، (ب، ط)، (ب، ت)

9- الفوز الكبير في أصول التفسير، الإمام الدهلوي، سليمان الندوي، دار الصحوة- القاهرة، ط: 2، 1407هـ- 1986م.

10- في ظلال القرآن، للسيد قطب، دار الشروق – بيروت، ط: 17، 1412هـ.

ثانياً: كتب الحديث.

11- الإرشاد إلى مهمات علم الإسناد، ولي الله الدهلوي، تعليق، بدر بن علي العتيبي، دار الأفاق، ط: 1، (ب، ت).

12- أصول الحديث، د محمد عجاج الخطيب، دار الفكر العربي، ط: 1، 1998م.

13- التاريخ الكبير، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم أبي عبدالله البخاري الجعفي (ت256هـ)، تح: السيد هاشم الندوي، دار الفكر، (ب، ط)، (ب، ت).

14- تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي، لجلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح، محمد أيمن بن عبد الله الشبراوي، دار الحديث، القاهرة- مصر، ط: 1، 1425هـ- 2004م.

15- التقييد والإيضاح شرح مقدمة ابن الصلاح، لزين الدين عبد الرحيم بن الحسين العراق، تح: د. عبد الحميد هنداوي، الناشر: المكتبة العصرية، بيروت – لبنان،: 1430هـ- 2009م.

16- التلخيص الحبير في تخريج أحاديث الرافعي الكبير، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان، ط: 1، سنة النشر: 1419هـ -1989م.

17- الجامع الصحيح سنن الترمذي، لمحمد بن عيسى أبو عيسى الترمذي السلمي، تح، أحمد محمد شاكر وآخرون، دار إحياء التراث العربي – بيروت، (ب، ط)، (ب، ت).

18- الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه(صحيح البخاري)، لمحمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة الجعفي البخاري، تح، محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، ط: 1، 1422هـ.

19- جامع بيان العلم وفضله، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تح، أبي الأشبال الزهيري، دار، ابن الجوزي، المملكة العربية السعودية، ط: 1، 1414 هـ - 1994 م.

20- الجامع لأخلاق الراوي وآداب السامع، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تح، د. محمود الطحان، الناشر: مكتبة المعارف - الرياض، (ب، ط)، 1403هـ.

21- سنن ابن ماجه، لأبي عبدالله محمد بن يزيد القزويني، تح، محمد فؤاد عبدالباقي، دار أحياء الكتب العربية- فيصل عيسى البابي الحلبي.

22- سنن أبي داود، لسليمان بن الأشعث أبو داود، تح، محمد محي الدين عبدالحميد، دار المكتبة العصرية بيروت، (ب، ط)، (ب، ت).

23- السنن الكبرى وفي ذيله الجوهر النقي، لأبي بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، الناشر: مجلس دائرة المعارف النظامية الكائنة في الهند ببلدة حيدر آباد، ط: 1، 1344هـ.

24- شرح السنة، الحسين بن مسعود البغوي، تح، شعيب الأرناؤوط - محمد زهير الشاويش، دار النشر: المكتب الإسلامي - دمشق ط: 2- 1403هـ - 1983م.

25- صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري النيسابوري، تح: محمد فؤاد عبدالباقي، دار التراث العربي – بيروت، (ب، ط)، (ب، ت).

26- الفقيه والمتفقه، لأبي بكر أحمد بن علي بن ثابت الخطيب البغدادي، تح: عادل بن يوسف العزازي، الناشر: دار ابن الجوزي، ط: 1، 1417هـ-1996م.

27- كتاب السنة، لأحمد بن عمرو بن أبي عاصم الضحاك أبو بكر، تح، محمد ناصر الدين الألباني، دار المكتب الإسلامي- بيروت ط: 1، 1400هـ.

28- كنز العمال في سنن الأقوال والأفعال، لعلاء الدين علي بن حسام الدين المتقي الهندي البرهان فوري، تح، بكري حياني - صفوة السقا، دار مؤسسة الرسالة، ط: 5، 1401هـ-1981م.

29- المستدرك على الصحيحين، لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله بن محمد بن حمدويه بن نُعيم بن الحكم الضبي الطهماني النيسابوري، تح،: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 1، 1411 هـ- 1990م.

30- مسند الإمام أحمد بن حنبل، لأبي عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال بن أسد الشيباني، تح،: شعيب الأرنؤوط - عادل مرشد، وآخرون، إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، الناشر، مؤسسة الرسالة، ط: 1، 1421 هـ - 2001 م.

31- مسند البزار المنشور باسم البحر الزخار، لأبي بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار، تح، محفوظ الرحمن زين الله، عادل بن سعد، دار مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط: 1، 2009م.

32- مسند الدارمي المعروف بـ (سنن الدارمي)، لأبي محمد عبد الله بن عبد الرحمن بن الفضل بن بَهرام بن عبد الصمد الدارمي، حسين سليم أسد الداراني، دار ابن حزم -بيروت، ط: 1، 2000م.

33- مسند الشاميين، لسليمان بن أحمد بن أيوب أبي القاسم الطبراني، تح: حمدي ابن عبدالمجيد السلفي، دار، مؤسسة الرسالة، بيروت- لبنان، ط: 1، 1405هـ- 1984م.

34- المصنف في الأحاديث والآثار، لأبي بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تح، كمال يوسف الحوت، مكتبة الرشد – الرياض، ط: 1، 1409م.

35- المصنف، لأبي بكر عبد الرزاق بن همام بن نافع الحميري اليماني الصنعاني، تح، دار المكتب الإسلامي – بيروت، ط،: 2، 1403م.

36- نصب الراية لأحاديث الهداية، لعبد الله بن يوسف الزيلعي، تح: محمد عوامة، دار مؤسسة الريان، بيروت –لبنان، دار القبلة للثقافة الإسلامية، جدة – السعودية، ط: 1، 1418هـ- 1997م.

ثالثاً: الفقه وأصوله.

37- أثر الاختلاف في القواعد الأصولية، د. مصطفى الخن، مؤسسة الرسالة، ط: 2، 2003م.

38- أثر الخلاف الفقهي في القواعد المختلف فيها، د. محمود إسماعيل مشعل، دار السلام، ط: 1، 2007م.

39- الاجتهاد بين التجديد والتفريط، محمد أنور وردة، دار الرشيد دمشق، ط: 1، 2004م.

40- الاجتهاد والتقليد في ضوء كتابات ولي الله الدهلوي، سليمان الندوي، دار ابن كثير، ط: 1، 1431ه 2010م.

41- إحكام الفصول في أحكام الأصول، لأبي الوليد سليمان بن خلف الباجي (ت474هـ)، تح: أ. د عمران علي أحمد العربي، طبعة: منشورات جامعة المرقب ليبيا- الخمس، ط: 1، 2005م.

42- الاختلاف الفقهي في المذهب المالكي، عبد العزيز بن صالح الخليفي، دار الأهلية – قطر، ط: 1، 1994م.

43- الأنصاف في بيان أسباب الاختلاف، ولي الله الدهلوي، تح أحمد راتب، راجعه عبدالفتاح أبو غدة، دار النفائس ط: 1، 1431هـ.

44- التقليد الشرعي في الأمور الفقهية وأهميته في الإسلام، المفتي عبدالرحيم الأحفوري، تقديم أبي الحسن الندوي، دار مكتبة الحرمين – دبي، ط: 1، 1424ه 2004م.

45- حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، السيد سابق، دار الجيل، بيروت – لبنان، ط: 1، 1426 هـ - 2005م،

46- حجة الله البالغة، الإمام الدهلوي، تح، سعيد أحمد بن يوسف، دار ابن كثير، ط: 1، 1431هـ -2010م.

47- عقد الجيد في أحكام الاجتهاد والتقليد، ولي الله الدهلوي، تح، محب الدين الخطيب، دار المطبعة السلفية – القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت).

48- القول المفيد في حكم التقليد، لمحمد بن علي بن محمد بن عبد الله الشوكاني اليمني، تح، عبد الرحمن بن عبد الخالق، دار القلم – الكويت، ط: 1، 1396هـ.

49- معارج القبول شرح علم الأصول إلى علم الأصول، حافظ بن أحمد حكمي، تح، عمر بن محمود، دار ابن القيم الدمام، ط: 1، 1410ه، 1995م.

50- منهاج الطالب في المقارنة بين المذاهب، د. عبد السميع أحمد إمام، دار المدار الإسلامي، ط: 1، 2001 م.

رابعاً: كتب التراجم والطبقات.

51- الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر بن عاصم النمري القرطبي، تح، علي محمد البجاوي، دار الجيل- بيروت، ، ط: 1، 1412 هـ - 1992 م.

52- الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام المسمى بنزهة الخواطر ونخبة المسامع والنواظر، لمؤرخ الهند الكبير الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني، داربن حزم- بيروت، ط: 1، 1999م.

53- تاج التراجم في طبقات الحنفية، زين الدين أبو العدل قاسم بن قطلوبغا السودوني، تح، محمد خير رمضان يوسف، دار القلم- دمشق، ط: 1، 1413 هـ - 1992 م.

54- تاريخ إربل، المبارك بن أحمد المبارك، تح، سامي بن سيد خماس، دار الرشيد -العراق، (ب، ط)، 1980م.

55- تاريخ الخلفاء، عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح، محمد محي الدين عبد الحميد، الناشر: مطبعة السعادة – مصر، ط: 1 1371هـ - 1952م.

56- تذكرة الحفاظ، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، دار الكتب العلمية بيروت-لبنان، ط: 1، 1419هـ- 1998م.

57- تقريب التهذيب، لا بن حجر، تح: محمد عوامة، دار الرشيد – سوريا، ط1: 1406ه – 1986م.

58- تهذيب التهذيب، لابن حجر، دار الفكر – بيروت، ط1: 1404هـ – 1984م.

59- الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لأبي الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني، تح، محمد عبد المعيد ضان، مجلس دائرة المعارف العثمانية - صيدر اباد، الهند، ط: 2، 1392هـ- 1972م.

60- الرياض النضرة في مناقب العشرة، لأبي العباس، أحمد بن عبد الله بن محمد، محب الدين الطبري، دار الكتب العلمية، ط: 2، (ب، ت).

61- سير أعلام النبلاء، شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن عثمان بن قَايْماز الذهبي، تح، مجموعة من المحققين بإشراف الشيخ شعيب الأرناؤوط، دار مؤسسة الرسالة، ط: 3، 1405هـ - 1985م.

62- طبقات الشافعية، لأبي بكر بن أحمد بن محمد بن عمر بن قاضي شهبة، تح، د. الحافظ عبد العليم خان، دار عالم الكتب -بيروت ط: 1، 1407 هـ.

63- طبقات المفسرين، أحمد بن محمد الأدنه وي، تح، سليمان بن صالح الخزي، دار مكتبة العلوم والحكم -السعودية، ط: 1، 1417هـ- 1997م.

64- طبقات المفسرين، للإمام عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي، تح، علي محمد عمر، دار مكتبة وهبة- القاهرة، ط: 1، 1396هـ

65- العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي، تح، محب الدين الخطيب - ومحمود مهدي الاستانبولي، دار الجيل -بيروت، (ب، ط) 1407هـ - 1987م.

66- فهرس الفهارس والأثبات ومعجم المعاجم والمشيخات والمسلسلات، لعبد الحي الكتاني، تح، إحسان عباس، دار الغرب الإسلامي-بيروت، ط: 2، 1982م.

67- معجم المؤلفين، عمر بن رضا بن محمد راغب الدمشقي، دار إحياء التراث العربي- بيروت، (ب، ط)، (ب، ت).

68- نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، محمد بن محمد بن عبد الله بن إدريس الحسني الطالبي، المعروف بالشريف الادريسي، عالم الكتب- بيروت، ط: 1، 1409هـ.

خامساً: كتب التاريخ.

69- ازدهار الإسلام في شبه القارة الهندية، د: حازم محمد محفوظ، دار الثقافة للنشر، ط: 1، (ب، ت).

70- أسرار خلافة الخلفاء، الإمام الدهلوي، ترجمة، مصطفى محي الدين الهدوي، دار الكتب العلمية، بيروت ط: 1، 2009م.

71- الإسلام والمسلمون في باكستان وبنجلاديش والهند منذ الفتح العربي حتى العصر الحديث، د: حازم محمد محفوظ، قدم له، حسين مجيب المصري، رابطة آداب الحديث، القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت).

72- البداية والنهاية لعماد الدين أبي الفداء اسماعيل بن عمر بن كثير القرشي، تح، علي شيري، دار احياء التراث العربي، ط: 1، 1408هـ- 1988م.

73- بلاد الهند في العصر الإسلامي، عصام الدين عبدالرؤوف، دار الفكر العربي، القاهرة. ط: 2، 2011م.

74- تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة، دار الفكر العربي، (ب، ط) 1996م.

75- تاريخ دمشق، لأبي القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر، تح، عمرو ابن غرامة العمروي، دار الفكر- دمشق، ط: 1، 1402 هـ - 1984م.

76- تاريخ لإسلام في الهند، د. عبد المنعم النمر، المؤسسة الجامعية للدراسات ط: 1، 1401هـ- 1981م.

77- الحركة السنوسية، علي محمد الصلابي، دار المعرفة، ط: 5، 1432هـ-2011م.

78- حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة، لعبد الرحمن بن أبي بكر، جلال الدين السيوطي، تح، محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط: 1، 1387 هـ - 1967 م.

79- الكامل في التاريخ، لأبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري، عز الدين ابن الأثير، تح، عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربي- بيروت، ط: 1، 1417هـ -1997م.

80- مقدمة تاريخ ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد بن محمد ابن خلدون، تح، خليل شحادة، ط: 2، دار الفكر- بيروت 1408هـ -1988م.

81- نظام الحكم في عهد الخلافة الراشدة، د. السيد السيد ابو الحق، دار الطباعة المحمدية – القاهرة، ط: 1، 1408 هـ – 1987م.

سادساً: كتب اللغة.

82- تاج العروس من جواهر القاموس، محمّد بن محمّد بن عبد الرزّاق الحسيني الزبيدي، تح، مجموعة من المحققين، دار الهداية، (ب، ط)، (ب، ت).

83- القاموس المحيط، محمد بن يعقوب الفيروزآبادي، دار مؤسسة الرسالة- بيروت، (ب، ط)، (ب، ت).

84- كتاب التعريفات، علي بن محمد الجرجاني، دار الكتب العلمية -بيروت ط: 1، 1403هـ- 1983م.

85- لسان العرب، محمد بن مكرم بن منظور الأفريقي المصري، دار صادر -بيروت، ط: 1، (ب، ت).

86- معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عبدالحميد، دار عالم الكتاب، ط: 1، 1429 هـ - 2008 م.

87- مفردات ألفاظ القرآن الكريم، الراغب الأصفهاني، تح، صفوان عدنان داوودي، دار القلم - دمشق، ط: 1، 1412هـ- 1992م.

88- مقاييس اللغة، أبو الحسين أحمد بن فارس، تح، زهير عبدالمحسن سلطان، دار مؤسسة الرسالة، ط: 2. 1404، ه 1986م.

سابعاً: كتب الدعوة.

89- أبو الحسن الندوي الإمام المفكر الداعية المربي الأديب، سيد عبد الماجد الفوري، دار ابن كثير، ط: 3، 1426ه- 2005م.

90- أثر دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب في حركة عثمان بن فودي الإصلاحية في غرب أفريقيا، مصطفى مسعد، ، الناشر، جامعة الإمام مح بن سعود الإسلامية، الرياض، ط: 2، 1411هـ-1991م.

91- أدب الاختلاف في الإسلام، طه جابر فياض العلواني، دار الوفاء، ط: 1، 1980م.

92- أصول الدعوة إلى الله، يوسف المرعشلي، دار ابن حزم- بيروت، ط: 1، 1431ه- 2010م.

93- أصول الدعوة، د. عبدالكريم زيدان، دار مؤسسة الرسالة- بيروت، ط: 1، 1434هـ- 2012م

94- الإمام المجدد والمحدث الشاه ولي الله الدهلوي حياته ودعوته، محمد بشير، دار ابن حزم، بيروت، ط: 1، 1420هـ - 1999م.

95- تجديد الدين مفهومه وضوابطه وآثاره، د. إيهاب حفظي عز العرب، ، دار إيتراك للطباعة والنشر القاهرة، ط: 1، 2011م.

96- تجديد الفكر الإسلامي، محمد إبراهيم الفيومي، دار الفكر العربي-مصر، ط: 1، 1422هـ-2001م.

97- الدعوة الإسلامية أصولها ووسائلها، أحمد غلوش، دار الكتاب المصري، القاهرة، (ب، ط).

98- الدعوة الإسلامية وتطورها في شبه القارة الهندية، د. محي الدين الألوائي، دار القلم - دمشق، ط: 1، 1406هـ- 1986م.

99- الدعوة الإسلامية، عبدالله سمك، دار التقوى- مصر، ط: 1، 1428هـ-2007م.

100-الدعوة إلى الله على بصيرة، عبد النعيم محمد حسنين دار الكتاب المصري، ، ط: 1، 1405هـ-1984م.

101-الدعوة إلى في سورة إبراهيم الخليل، محمد سيدي الحبيب، دار الوفاء- جدة، ط: 1، 1986م.

102-رجال الفكر والدعوة في الإسلام، أبو الحسن الندوي، دار القلم، الكويت، ط: 3، 1420هـ، 1999م.

103-زعماء الاصلاح في العصر الحديث، أحمد أمين، دار الكتب العلمية-بيروت، ط: 1، 1426ه-2005م.

104-الشيخ مصطفى الغلاييني في مفاهيمه الإصلاحية، منى حسين، المكتبة العصرية بيروت، ط: 1، 1419هـ-1999م.

105-فجر الحركة الإسلامية المعاصرة (الوهابية، السنوسية، المهدية)، السيد يوسف، مصر العربية للنشر والتوزيع، ط: 1، 2000م.

106-فقه الدعوة، حبنكه الميداني، دار القلم- دمشق، ط: 2: 2004م.

107-فلسفة التجديد الإسلامي(الشيخ الإبراهيمي)، محمد زرمان، ، دار التيسير-القاهرة، (ب، ط)، (ب، ت).

108-محاضرات في أدب الحوار، د. أحمد بو سجادة، ألقيت على طلبة الدراسات العليا الجامعة الأسمرية، ليبيا، 2009-2010م.

109-محاضرات في الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، دار ابن كثيرط: 1، 1422ه، 2001م

110-المدخل إلى علم الدعوة الإسلامية، أبو الفتوح البيانوني، دار مؤسسة الرسالة، ط: 3.

111-مقالات إسلامية في الفكر والدعوة، أبو الحسن الندوي، دار ابن كثير، ط: 1، 1424هـ-2004م.

ثامناً: كتب العقيدة

112-الحجة في بيان المحجة وشرح عقيدة أهل السنة، أبو القاسم إسماعيل الأصبهاني، (ب، ط)، 1419هـ - 1999م، دار الراية –الرياض

113-الدهلوي وآراؤه الكلامية والفلسفية، تقديم، وفاء العمري، إشراف، أ. د السيد محمد سيد، أ. د محفوظ عزام، الناشر المكتبة الأزهرية للتراث، (ب، ط)، (ب، ت).

114-رسالة التوحيد، الشيخ محمد عبده، دار الشروق القاهرة، ط: 1، 1414ه 1994م.

115- شرح العقيدة الطحاوية، عبدالرحمن بن ناصر بن براك، دار التدمرية، ط: 2، 1429 هـ- 2008م.

116- شرح العقيدة الوسطية، محمد بن خليل حسن هراس، دار الصحوة للنشر، ط: 3، 1415هـ.

117- المدخل المفيد إلى علم التوحيد، د. محمد يسري، (ب، د)، ط: 1، 2004م.

تاسعاً: كتب متنوعة.

118- آثار ابن باديس، عبد الحميد محمد بن باديس، تح، عمار طالبي، دار ومكتبة الشركة الجزائرية، ط: 1، 1388 هـ- 1968م.

119- الأحكام السلطانية والولايات الدينية - أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري البغدادي الماوردي، مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده ط: 2، 1386هـ- 1966م.

120- أديان الهند الكبرى، د: أحمد شلبي، مكتبة النهضة المصرية. ط: 11، 2000.

121- الإسلام المعجزة المتجددة في عصرنا، صالح بن محمد اليافعي، دار الإيمان – الإسكندرية، (ب، ط)، (ب، ت).

122- إسلام بلا مذاهب، مصطفى الشكعة، دار المصرية اللبنانية، ط: 14، 1418هـ ـ1997م.

123- الإسلام في قفص الاتهام، شوقي أبو خليل، دار الفكر- دمشق، ط: 5، 1402ه، 1982م.

124- الإسلام ومستقبل البشرية، عبدالله عزام، دار مركز شهيد عزام -بيشاور باكستان، ط: 2 1400هـ- 1980م.

125- إمام الهند، شاه ولي الله الدهلوي، د: إيهاب حفظي، (ب، د)، (ب، ط).

126- الإيمان بالجن بين الحقيقة والتهويل، علي بن نايف السحود، دار المعمور بهائج ماليزيا، ط: 1، 1432ه 2010م.

127- التبيان في الفرق والأديان، محمود محمد حمودة، دار مؤسسة الوراق، ، ط: 1 2001م.

128- حاضر العالم الإسلامي، جميل المصري، الناشر مكتبة العبيكان، ط: 9، ذ1425ه- 2004م.

129- حقوق الإنسان، محمد الغزالي، دار النهضة- مصر، ط: ، 1 (ب، ت).

130- الخلافة والإمامة ديانة وسياسة، عبد الكريم الخطيب، دار الكتاب العربي -مصر، ط: 1، 1383هـ -1963م.

131- درء تعارض العقل والنقل، لابن تيمية، تح، محمد رشاد، دار الكنوز الأدبية - الرياض ط: 2، 1411هـ-1991م

132- دراسات في اليهودية والمسيحية وأديان الهند، محمد ضياء الرحمن الأعظمي، مكتبة الرشد الرياض، ط: 2، 1424هـ- 2003م.

133- زهرة البساتين من مواقف علماء الربانيين، جمع وترتيب، د. سيد حسين العفاني، دار العفاني القاهرة (ب، ط)، (ب، ت).

134- شروط النهضة، مالك بن نبي، دار الفكر-دمشق، (ب، ط)، (ب، ت).

135- صورتان متضادتان عن أهل السنة والشيعة، أبو الحسن الندوي، دار إحياء التراث الإسلامي، (ب، ط)، (ب، ت).

136- عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة، فوزي محمد حميد، منشورات الدعوة الإسلامية العالمية، ط: 2، 1428هـ- 1999م.

137- غياث الأمم في التياث الظلم، عبد الملك بن عبد الله بن يوسف بن محمد الجويني، الملقب بإمام الحرمين، تح، عبد العظيم الديب، دار مكتبة إمام الحرمين ط: 2، 1401هـ.

138- قوت القلوب في معاملة المحبوب ووصف طريق المريد إلى مقام التوحيد، محمد بن علي بن عطية الحارثي، أبو طالب المكي، تح، د. عاصم إبراهيم الكيالي، دار الكتب العلمية – بيروت، ط: 2، 1426 هـ -2005 م.

139- الله، عباس محمود العقاد، دار نهضة مصر (ب، ط)، (ب، ت).

140- المجددون في الإسلام من القرن الأول إلى الرابع عشر، عبدالمتعال الصعيدي، تقديم د. محمد صابر، (ب، ط)، (ب، ت).

141- مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، لابن القيم الجوزية، دار الكتب العلمية – بيروت، (ب، ط)، 1419هـ، 1998م.

142- مقارنات الأديان الديانات القديمة، محمد أبو زهرة، دار الفكر، القاهرة، (ب، ط).

143- مقارنة الأديان، محمد أحمد الخطيب، دار المسيرة- عمان، ط: 1، 1428هـ- 2008م.

144- مقومات النصر في القرآن والسنة، أحمد أبو الشباب، المكتبة العصرية- بيروت، ط: 1، 1420هـ - 1999م.

145- الملل والنحل، محمد بن عبدالكريم الشهرستاني، تح، محمد سيد كيلاني، دار المعرفة بيروت، (ب، ط) 1404هـ.

146- المنتقى من منهاج الاعتدال في نقض كلام أهل الرفض والاعتزال، للذهبي، تح، محب الدين الخطيب، (ب، د)، (ب، ط).

147- منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة القدرية، لابن تيمية، تح، محمد رشاد سالم، دار جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ط: 1، 1406 هـ - 1986م.

148- موسوعة أعلام المجددين في الإسلام، سامح كريم، مكتبة الدار العربية للكتاب- القاهرة، ط: 1، 2010 م.

149- وهذه مشكلاتنا، محمد سعيد رمضان البوطي، مكتبة الفرابي- دمشق، ط: ، 1995م.

عاشراً: الرسائل العلمية والدوريات.

150- أثر الشاه ولي الله الدهلوي في العلوم، مقال للسيد محبوب، ترجمة محمد عارف جميل، مجلة شهرية تصدر عن دار العلوم ديوبند- العدد 9.

151- بحث بعنوان الخلافة وإمكانية عودتها قبل ظهور المهدي، د. سعد عبد الله عاشور، د. نسيم شحدة ياسين سنة النشر، 1425هـ، 2004م الجامعة الإسلامية غزة

152- الرسالة العلمية الماجستير، بعنوان بهادر شاه، تقديم، ابتسام صالح، إشراف أ. د أمجد حسين، جامعة القاهرة 1980م.

153- مجلة المنار، مجموعة من المؤلفين محمد رشيد رضا وغيره من كتاب المجلة.

فهرس المحتويات

الموضوع	الصفحة
الآية	-
الإهداء	-
الشكر والتقدير	-
المقدمة	أ
أولاً: أهمية الموضوع.	أ
ثانياً: أسباب اختيار الموضوع.	ب
ثالثاً: الدراسات السابقة.	ج
رابعاً: الصعوبات	د
خامساً: الإشكالية	هـ
سادسا: أهداف الدراسة	هـ
سابعاً: المنهج المتبع	هـ
ثامناً: الخطوات المتبعة	و
تاسعاً: خطة البحث	و
تمهيد	10-1
أولاً: مفهوم الإصلاح.	1
ثانياً: نماذج من رجال الإصلاح.	5
الفصل الأول **ترجمة الإمام ولي الله الدهلوي**	44-11
المبحث الأول: عصر الإمام ولي الله الدهلوي وبيئته.	12

المطلب الأول: الحياة الدينيةِ.	12
المطلب الثاني: الحياة الاجتماعية.	17
المطلب الثالث: الحياة السياسية.	19
أسباب زوال الدولة المغولية	23
المبحث الثاني: حياته ونشأته.	25
المطلب الأول اسمه ونسبه ومولده ووفاته.	25
أولاً: اسمه ونسبه.	25
ثانياً مولده ووفاته.	26-25
المطلب الثاني: شيوخه ونشأته العلمية.	27
أولاً: شيوخه.	27
ثانيا: نشأته العلمية.	30
المطلب الثالث: رحلاته العلمية.	31
المبحث الثالث: آثاره العلمية وثناء العلماء عليه	32
المطلب الأول: تلاميذه.	32
المطلب الثاني: مؤلفاته.	35
ثناء العلماء عليه.	41
الفصل الثاني **جهود الإمام الدهلوي في الإصلاح الديني**	99-45
المبحث الأول: الإصلاح العقدي.	46
المطلب الأول: التوحيد ومراتبه عند الدهلوي.	46
أولاً: معنى التوحيد في اللغة.	46
ثانياً: معنى التوحيد في الاصطلاح.	47

ثالثاً: مراتب التوحيد عند الدهلوي.	48
المطلب الثاني: اختلاف الطوائف في الاعتقاد.	50
أولاً: عبدة النجوم والكواكب.	50
ثانياً: المشركون.	52
ثالثاً: النصارى.	54
المطلب الثالث: صور من المعتقدات الشركية وإبطالها.	57
المبحث الثاني: الإصلاح الفقهي.	65
المطلب الأول: أسباب اختلاف الصحابة في الفروع.	65
أولاً: الأسباب المتعلقة بفهم القرآن الكريم.	66
ثانياً: اختلافهم حول فهم السنة.	68
المطلب الثاني: أسباب اختلاف الفقهاء.	71
أولاً: اختلاف القراءات.	71
ثانياً: الاشتراك في دلالة اللفظ.	72
ثالثاً: اختلافهم في حجية الحديث المرسل.	73
رابعا: لم تكن قواعد الجمع بين المختلفات مضبوطة.	74
خامسا: أنه رأى قوما من الفقهاء.	75
المطلب الثالث: مسألتا الاجتهاد والتقليد عند الدهلوي.	79
أولاً: الاجتهاد.	79
شروط الاجتهاد.	80
أنواع المجتهدين.	81
ثانياً: التقليد.	84
المبحث الثالث: إصلاحاته في الجانب التعليمي	91

المطلب الأول: عنايته بنشر علوم القرآن.	91
المطلب الثاني: اهتمامه بالسنة ونشر علومها.	95
الفصل الثالث **اصلاحات الإمام الدهلوي في الجوانب السياسية والاجتماعية والدعوية**	167-100
المبحث الأول: دفاعه عن الخلافة والخلفاء الراشدين.	101
المطلب الأول: مفهوم الخلافة وأهميتها.	101
أولاً: الخلافة لغةً.	101
ثانياً: الخلافة اصطلاحاً.	102
ثالثاً: أهمية الخلافة.	105
المطلب الثاني: خلافة الخلفاء وموقف الرافضة منها.	108
أولاً: الأدلة على خلافة الخلفاء.	108
ثانياً: موقف الرافضة منها.	111
أفكارهم ومعتقداتهم.	111
المطلب الثالث: الأدلة على عودة الخلافة.	124
أولاً: الأدلة من القرآن الكريم.	125
ثانياً: الأدلة من السنة النبوية.	128
ثالثا: تصريحات مشاهير العلماء وفلاسفة الغرب على مستقبل الاسلام	131
المبحث الثاني: إصلاحاته في الجانب الاجتماعي.	134
المطلب الأول: الطبقية ومشكلاتها.	134
الطبقة الأولى: البراهمة.	134
الطبقة الثانية: الجند والكشترية	134
الطبقة الثالثة: الزراع والتجار وتسمى الويشية	136

الطبقة الرابعة: الشودر	137
المطلب الثاني: نظرة الإسلام إلى الطبقية.	141
المبحث الثالث: إصلاحاته في الجانب الدعوي.	147
المطلب الأول: مفهوم الدعوة وأهميتها.	147
أولاً: مفهوم الدعوة.	147
الدعوة لغة.	147
الدعوة اصطلاحاً.	149
ثانياً: أهمية الدعوة.	151
المطلب الثاني: خطاباته لمختلف طبقات الأمة.	153
أولاً: خطابه للسلاطين المسلمين.	153
ثانياً: خطابه للأمراء وأركان الدولة.	154
ثالثاً: خطابه للعسكريين.	154
رابعاً: خطابه للتجار والمحترفين.	155
خامساً: خطابه لأولاد المشايخ والمرشدين.	155
سادساً: خطابه للعلماء والطلاب.	156
سابعاً: خطابه للخطاب والنساك.	157
ثامناً: خطابه لعامة المسلمين.	157
المطلب الثالث: نماذج من وصاياه للأمة الإسلامية.	161
الوصية الأولى.	161
الوصية الثانية.	161
الوصية الثالثة.	162
الوصية الرابعة.	162

الوصية الخامسة.	163
الوصية السادسة.	163
الوصية السابعة.	164
الوصية الثامنة.	165
الخاتمة	168
أولاً: النتائج.	168
ثانياً: التوصيات.	170
الفهارس العامة	
فهرس الآيات.	172
فهرس الأحاديث والآثار.	179
فهرس الأعلام.	183
قائمة المصادر والمراجع.	186
فهرس المحتويات.	203